"سالاندر وبلومكفيست لا يزالان قويين كما كانوا."
نيويورك تايمز

ديفيد
لاغركرانتز

الفتاة التي عاشت مرتين

استكمالاً لسلسلة ميلنينيوم
لستيغ لارسون



ترجمة / كاميليا

الفتاة التي عاشت مرتين

THE GIRL WHO LIVED TWICE



للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks



ترجمة / كاميليا

ديفيد لاغركرانتز

DAVID LAGERCRANTZ

الفتاةُ التي عاشت مرتين

THE GIRL WHO LIVED TWICE

شخصيات سلسلة ميلينيوم

ليزبيث سالاندر	قرصانة إلكترونية عبقرية في الرياضيات، منطوية ومتمردة، تحمل ماضيًا مليئًا بالانتهاكات، تحركها غريزة العدالة والانتقام.
ميكائيل بلومكفيست	صحفي استقصائي بارز في مجلة «ميلينيوم»، شريك سالاندر في أهم التحقيقات، ولعب دورًا محوريًا في تبرئتها قانونيًا.
ألكسندر زالاتشينكو	جاسوس روسي منشق وزعيم إجرامي، والد ليزبيث، حظي بحماية فصيل سري داخل جهاز الأمن السويدي قبل تصفيته.
رونالد نيدرمان	الأخ غير الشقيق لليزبيث، عملاق عديم الإحساس بالألم، متورط في الجريمة المنظمة، قُتل بتدبير منها.
كاميلا سالاندر	الشقيقة التوأم لليزبيث، عدوّتها اللدودة، مرتبطة بعصابات إجرامية وتُعرف باسم «كيرا».
أجنيتا سالاندر	والدة ليزبيث وكاميلا، عانت العنف الأسري وتوفيت في دار رعاية بعمر ٤٣ عامًا.
بيتر تيليبوريان	طبيب نفسية أطفال سادي، استغل منصبه وأسهم في محاولة إعلان عدم أهلية سالاندر.

وصي سالاندر السابق ومحاميها، من القلائل

هولغر بالمغرين الذين وثقت بهم، قُتل بسبب وثائق تدين من أساؤوا إليها.

دراغان أرمانسكي رئيس شركة «ميلتون للأمن» ورب عمل سالاندر السابق، يتمتع بثقتها.

ميريام وو صديقة سالاندر وعشيقتها أحيانًا، تُعرف باسم «ميمي».

إريكا بيرغر رئيسة تحرير مجلة «ميلينيوم»، شريكة بلومكفيست العاطفية أحيانًا وصديقته المقربة.

غريغر بيكمان زوج إريكا بيرغر، يعمل مهندسًا معماريًا.

مالين إريكسون مديرة تحرير مجلة «ميلينيوم».

أنيكا جيانيني شقيقة بلومكفيست، محامية دفاع مثلت سالاندر قانونيًا.

يوري بوغدانوف قرصان إلكتروني ضمن «مجتمع العنكبوت» التابع لكاميلا، مدمن سابق ومجرم صغير.

«إد ذي نيد» (إدوين نيدهام) خبير أمن معلومات في وكالة الأمن القومي الأمريكية، فظّ اللسان ولامع تقنيًا.

يان بوبلانسكي كبير مفتشي شرطة ستوكهولم، قاد التحقيق في قضية سالاندر، يُلقب بـ «الضابط بوب».

سونيا موديغ مفتشة شرطة عملت لسنوات مع بوبلانسكي في قضايا معقدة.

هانز فاست ضابط شرطة مثير للجدل، سرّب معلومات خلال تحقيق سابق مرتبط بسالاندر.

فرح شريف أستاذة علوم حاسوب وخطيبة يان بوبلانسكي.

نادي سفافيلسيو للدراجات النارية	عصابة دراجات نارية عنيفة ارتبطت بزالاتشينكو ونيدرمان.
هاكر ريبابليك (جمهورية القراصنة)	تحالف قراصنة إلكترونيين، تُعد سالاندر (واسب) أبرز أعضائه.
سابو (Säpo)	جهاز الأمن السويدي، ضم فصيلًا سريًا لحماية زالاتشينكو.
موست (Must)	جهاز الاستخبارات والأمن العسكري السويدي.
إم.إس.بي (M.S.B)	الوكالة السويدية للطوارئ المدنية.

استهلال

في ذلك الصيف، ظهر في الحي متسول لم يسبق لأحد أن رآه من قبل. لم يعرف أحد اسمه، ولم يكترث لأمره أحد، باستثناء زوجين شابين اعتادا المرور به كل صباح؛ إذ أطلقا عليه لقب "القزم المجنون". والحق أنه كان قصير القامة، لا يتجاوز طوله المتر والنصف، غير أنه كان مضطرب السلوك بلا شك؛ فبين الحين والآخر، كان ينتفض واقفًا ممسكًا بأذرع المارة، متمتمًا بكلمات مبهمة لا يكاد يفهمها أحد.

كان يقضي جل نهاره مفترشًا قطعة من الورق المقوى بجوار النافورة وتمثال ثور في ساحة ماريتورغيت، وهناك، كان يفرض قدرًا من الهيبة والاحترام. فبرأسه المرفوع وظهره المنتصب دومًا، كان يبدو أشبه بزعيم قبيلة جار عليه الزمان. كان ذلك كل ما تبقى له من رصيد اجتماعي، ولهذا السبب ظل بعض المارة يلقون إليه بالعملات المعدنية أو الأوراق النقدية، وكأنهم استشعروا فيه عظمة غابرة. ولم يكونوا مخطئين في ظنهم؛ فقد مر عليه زمن كان الناس فيه ينحنون إجلالًا له. بيد أن كل تلك المكانة، وكل ذلك الصيت، قد انتُزع منه منذ أمد بعيد. كان فاقدًا لعدة أصابع، ولم تزد البقع الداكنة التي كست وجنتيه مظهره إلا سوءًا، إذ بدت وكأنها ظلال الموت نفسه.

لم يكن هناك ما يلفت الانتباه في مظهره سوى سترته الشتوية المبطنة، وهي سترة زرقاء من ماركة مارموت لا بد وأنها كانت باهظة

الثمن. بدت تلك السترة نشازًا في المشهد، ليس فقط لما يعلوها من أوساخ وبقع، بل لأنها كانت رداءً شتويًا أثقل مما يحتمله طقس الصيف في ستوكهولم. كانت المدينة ترزح تحت وطأة حر خانق، وبينما كانت قطرات العرق تنحدر على وجنتي الرجل، كان المارة يرمقون سترته بنظرات يملؤها الضيق، وكأن مجرد رؤيتها تشعرهم بحرارة لا تُطاق. ومع ذلك، لم يكن المتسول يتخلى عنها أبدًا.

بدا الرجل غائبًا عن العالم، ولا يُتوقع منه أن يشكل تهديدًا لأحد، غير أن الأقاويل ترددت لاحقًا بأن ملامحه اكتست تعبيرًا أكثر حزمًا مع بداية شهر أغسطس. وفي ظهيرة اليوم الحادي عشر، شوهد وهو يكب بجهد جهيد على كتابة نص طويل في ورقة مسطرة بحجم A٤، وفي مساء اليوم ذاته، قام بتعليقها كما تُعلق صحف الحائط في موقف الحافلات عند محطة سودرا.

كان النص سردًا مفككًا عن عاصفة ما، وتضمن ذكرًا صريحًا لاسم أحد أعضاء الحكومة. وقد تمكنت طبيبة شابة تحت التدريب تدعى إلس ساندبرغ — كانت تنتظر الحافلة رقم ٤ — من فك طلاسم أجزاء من النص، فلم تملك إلا أن تشعر بالفضول من منظور مهني؛ إذ كان تشخيصها المبدئي لحالة الكاتب هو الفصام الزوري (البارانويدي).

ولكن ما إن وصلت الحافلة بعد عشر دقائق، حتى نسيت الأمر برمته، ولم يبق في نفسها سوى شعور غامض بالانقباض. كان الأمر أشبه بلعنة كاساندرا: لن يصدق أحد هذا الرجل لأن روايته كانت مغلفة بجنون مطبق. ومع ذلك، يبدو أن رسالته قد وصلت بطريقة ما؛ ففي صباح اليوم التالي مباشرة، ترجل رجل يرتدي قميصًا أبيض من سيارة

أودي زرقاء، وانتزع تلك "الصحيفة الجدارية" بعنف، ثم كور قصاصاتها وحملها معه إلى سيارته.

في ليلة الجمعة، الرابع عشر من أغسطس، شق المتسول طريقه نحو ساحة نورا بانتورغيت للحصول على بعض الخمر الرخيص. وهناك التقى بسكير آخر، وهو عامل صناعي سابق يدعى هيكي يارفينن، ينحدر من منطقة أوستربوتن.

قال يارفينن:

— "مرحبًا يا أخي. هل أنت يائس؟"

لم يأتِ الرد في البداية، ثم انهمر سيل من الكلمات التي بدت في مسامع هيكي محض تفاخر، فهسهس قائلًا: "يا له من هراء محض"، ثم أضاف — دونما حاجة لذلك، كما اعترف هو نفسه لاحقًا — أن الرجل يبدو مثل "صيني لعين".

فصرخ فيه المتسول:

— "أنا من خامبا ـ شين... أكره الصين!"

ثم سدد لكمة إلى هيكي بيده العليلة، وبرغم افتقارها للمهارة أو التقنية، إلا أن الضربة حملت قوة وسطوة غير متوقعة. سال الدم من فم هيكي، وراح يكيل الشتائم بالفنلندية بغزارة وهو يترنح مبتعدًا، هابطًا نحو محطة مترو تونلبانا في المحطة المركزية.

شوهد المتسول بعد ذلك عائدًا إلى حيه المألوف، وكان في حالة سكر شديد وإعياء واضح. كان اللعاب يسيل من فمه، وهو يمسك بحلقه متمتمًا:

— "متعب جدًا... يجب أن أجد دارامسالا، و إيهاوا، إيهاوا طيبة جدًا... هل تعرف؟"

لم ينتظر سماع أي إجابة، بل عبر شارع رينغفاغن كمن يسير أثناء نومه، وبعد ذلك بقليل، ألقى زجاجة خالية من الملصقات على الأرض، وتلاشى بين الأشجار والشجيرات في حديقة تانتولوندن. هطل مطر خفيف طوال الليل، ومع بزوغ الفجر كانت ريح شمالية تعصف بالمكان.

وبحلول الساعة الثامنة، سكنت الرياح وتلاشت الغيوم عن صفحة السماء، وهناك شوهد الرجل جاثيًا على ركبتيه، مستندًا بجسده إلى شجرة بتولا.

وفي الشارع، كانت الاستعدادات جارية لسباق ميدناتسلوم المزمع إقامته تلك الليلة، وكان الحي يضج بأجواء احتفالية بهيجة.

كان المتسول قد فارق الحياة.

لم يكترث أحد، ولم يعلم أحد، أن هذا الرجل الغريب قد عاش حياة حفلت بمصاعب وبطولات لا يمكن تصورها، والأدهى من ذلك، لم يدرِ أحد أنه لم يعشق في حياته سوى امرأة واحدة، وأنها هي الأخرى – في زمن آخر – قد قضت نحبها في عزلة موحشة تدمي القلوب.

.

I

المجهول

١٥ – ٢٥ أغسطس

يموت كثيرون فلا يحظون باسم، والبعض لا يحظى حتى بقبر.
وآخرون لا ينالون سوى صليب أبيض وسط آلاف الصلبان، كما في المقابر العسكرية في فرنسا.
وقلة قليلة يُقام لها صرح كامل، مثل قبر الجندي المجهول عند قوس النصر في باريس أو في حديقة ألكسندر بموسكو.

-١-

١٥ أغسطس

كانت الكاتبة إنجيلا دوفا أول من استجمع شجاعته لعبور الشارع والاقتراب من الشجرة، لتكتشف أن الرجل قد فارق الحياة. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف حينها، والرائحة لا تُطاق. كان الذباب والبعوض يطن في الأرجاء، ولم تكن دوفا صادقة تمامًا حين صرحت لاحقًا بأن هيئة الرجل كانت تثير الشجن.

كان الرجل قد تقيأ وعانى من إسهال حاد. وبدلًا من التعاطف، شعرت هي بالجزع، وراح خيالها يصور لها برعب مشهد موتها هي. حتى ضابطا الشرطة ساندرا ليندفال وسمير إيمان، اللذان وصلا إلى مسرح الحدث بعد ربع ساعة، بدا عليهما وكأن هذه المهمة نوع من العقاب لهما.

التقطا صورًا للجثة وفحصا المحيط المباشر، لكن بحثهما لم يمتد إلى المنحدر أسفل طريق زينكنز فاغ، حيث كانت ترقد زجاجة كحول نصف فارغة وفي قاعها طبقة رقيقة من الرواسب. ورغم أن أيًا منهما لم يلحظ أي مؤشر صارخ على وجود جريمة، إلا أنهما فحصا الرأس والصدر بعناية. لم يعثرا على أثر لعنف أو أي علامة أخرى تشير لسبب الوفاة، باستثناء اللعاب الكثيف الذي سال من فمه. وبعد التشاور مع رؤسائهما، قررا عدم تطويق المنطقة.

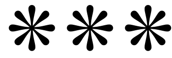
وبينما كانا ينتظران سيارة الإسعاف لنقل الجثمان، فتشا جيوب تلك السترة المبطنة القذرة التي بدت بلا هيئة ولا تناسب الطقس إطلاقًا. عثرا على قصاصات كثيرة من الورق الشفاف الذي يُستخدم لبيع النقانق في الشوارع، وبعض العملات المعدنية، وورقة نقدية من فئة العشرين كرونة، وإيصالًا من متجر أدوات مكتبية في شارع هورنسغاتان، لكنهما لم يجدا بطاقة هوية أو أي أوراق أخرى قد تكشف عن اسم الميت.

افترضا أن معرفة هويته لن تكون صعبة، فالرجل يحمل علامات مميزة كثيرة. لكن هذا الافتراض، كغيره، ثبت خطؤه. وحين أُجري التشريح في وحدة الطب الشرعي في سولنا، وأُخذت صور بالأشعة لأسنان الرجل، لم يُعثر لها على تطابق في أي قاعدة بيانات، وكذلك الحال مع بصمات أصابعه المتبقية. وبعد إرسال العينات إلى المختبر الجنائي الوطني، قامت الطبيبة الشرعية الدكتورة فريدريكا نيمان بفحص أرقام هواتف كُتبت بخط اليد على ورقة وُجدت في جيب بنطال الرجل، رغم أن ذلك لم يكن بأي حال من صميم مسؤولياتها.

كان أحد الأرقام يعود لـ ميكائيل بلومكفيست في مجلة «ميلينيوم».

تناست الأمر لساعات، لكن في وقت لاحق من المساء، وبعد شجار محتدم مع إحدى ابنتيها المراهقتين، ذكّرت نفسها بأنها خلال العام الماضي وحده أجرت تشريحًا لثلاث جثث دُفنت لاحقًا دون أن تُعرف هوية أصحابها، فلعنت ذلك، ولعنت الحياة عمومًا.

كانت في التاسعة والأربعين، أمًا عزباء لطفلتين، تعاني آلام الظهر والأرق وشعورًا بأن الحياة بلا معنى. ودون تفكير طويل، اتصلت بـ ميكائيل بلومكفيست.



اهتز الهاتف. كان الرقم مجهولًا فتجاهله بلومكفيست. كان قد غادر شقته للتو سائرًا في هورنسغاتان باتجاه سلوسن والمدينة القديمة (غاملا ستان) دون أن يعرف وجهته. هام في الأزقة بلا هدف حتى جلس أخيرًا في مقهى مفتوح وطلب جعة «جينيس».

كانت السابعة مساءً، والجو لا يزال دافئًا. تناهت إلى مسامعه أصوات ضحك وتصفيق قادمة من شيبشولمن، فرفع بصره إلى السماء الزرقاء مستشعرًا نسيمًا لطيفًا قادمًا من الماء. حاول إقناع نفسه بأن الحياة ليست بهذا السوء في نهاية المطاف. لكن حتى بعد كأس جعة، ثم ثانية، لم يقتنع، فدفع الحساب وقرر العودة للمنزل لإنجاز بعض العمل، أو ربما الغرق في مسلسل تلفزيوني أو رواية بوليسية.

ثم ما لبث أن غيّر رأيه فجأة ويمم شطره صوب موزيباكه وشارع فيسكارغاتان. كانت ليزبيث سالاندر تسكن في فيسكارغاتان ٩. لم يكن واثقًا من وجودها في المنزل — فمنذ جنازة هولغر بالمغرين، وصيها السابق، وهي تسافر في أنحاء أوروبا ولا ترد على رسائله الإلكترونية والنصية إلا لمامًا — لكنه قرر تجربة حظه. صعد الدرج من الساحة واستدار ليواجه المبنى المقابل لل

شقق السكنية، فغمرته الدهشة. منذ آخر زيارة له، كست الجدارَ المصمت بالكامل لوحةُ فن شوارع ضخمة. لم يتوقف لتأملها، رغم أنها كانت لوحة تدعو للغرق في تفاصيلها السريالية، كرجل ضئيل مضحك يرتدي بنطالًا بنقشة الترتان ويقف حافي القدمين فوق عربة مترو خضراء.

أدخل الرمز عند الباب الرئيسي، ودلف إلى المصعد محملقًا في المرآة بالداخل. لا يكاد يظهر عليه أثر الصيف الحار المشمس؛ فقد رأى نفسه شاحبًا غائر العينين، ولا يزال يرزح تحت وطأة انهيار سوق الأسهم الذي ظل يصارعه طوال شهر يوليو. كانت قصة مهمة بلا شك، فوضى لم تنجم فقط عن التقييمات المرتفعة والتوقعات المتضخمة، بل عن هجمات قراصنة وحملات تضليل أيضًا. والآن، ينقب كل صحفي استقصائي محترم في الأمر، ورغم ما كشفه هو – بما في ذلك اكتشاف مصنع الذباب الإلكتروني في روسيا الذي كان المسؤول الأول عن نشر الأكاذيب – إلا أنه شعر وكأن العالم يسير بخير دون جهوده. ربما كان عليه أن يأخذ قسطًا من الراحة، ويمارس بعض التمارين التي هو في أمس الحاجة إليها، وربما يهتم أكثر بزميلته إريكا التي كانت تخوض غمار الطلاق من غريغر.

توقف المصعد، فدفع البوابة الحديدية وخرج، موقنًا بالفعل أن زيارته ستكون مضيعة للوقت. سالاندر مسافرة، وتتجاهله حتمًا. لكنه لمح باب شقتها مفتوحًا على مصراعيه، فتذكر كم كان مرعوبًا طوال الصيف من أن يلاحقها أعداؤها. اندفع للداخل صائحًا:

– "مرحبًا... مرحبًا!"

فصدمته رائحة طلاء جديد ومواد تنظيف.

سمع وقع خطوات خلفه. كان شخص ما يزفر كالثور على الدرج، فالتفت ليجد نفسه في مواجهة رجلين مكتنزين يرتديان سترات عمل زرقاء، ويحملان شيئًا ضخمًا. كان مضطربًا لدرجة عجز معها عن استيعاب هذا المشهد الطبيعي تمامًا.

قال:

– "ماذا تفعلان؟"

– "ماذا يبدو لك أننا نفعل؟"

بدا وكأنهما رجلا نقل يحملان أريكة زرقاء، قطعة أثاث أنيقة وعصرية، وهو يعلم – أكثر من أي شخص آخر – أن ليزبيث ليست ممن يكترثون للأناقة الداخلية. كاد ينطق بشيء حين تناهى إليه صوت من داخل الشقة. ظنه لبرهة صوت ليزبيث فانشرح صدره، لكنه كان مجرد تمنٍّ؛ فالصوت لا يشبه صوتها من قريب أو بعيد.

قالت:

– "زائر مرموق. لِمَ أدين بهذا الشرف؟"

التفت ليرى امرأة سوداء فارعة الطول تقف عند العتبة، تتأمله بنظرة ساخرة. كانت ترتدي الجينز وبلوزة رمادية أنيقة، وشعرها مجدول وعيناها اللوزيتان تلمعان ببريق حيّره أكثر. هل يعرفها؟

تمتم بصعوبة:

– "لا، لا... أنا فقط..."

– "أنت فقط..."

– "أخطأت الطابق."

– "أو ربما لم تعلم أن الآنسة الصغيرة باعت شقتها؟"

لم يكن يعلم. وشعر بالحرج، خاصة مع استمرار ابتسامة المرأة نحوه. كاد يشعر بالارتياح حين انصرفت لمراقبة الحمالين لتتأكد من عدم ارتطام الأريكة بإطار الباب، ثم اختفت داخل الشقة مجددًا. أراد الهرب ليستوعب الخبر. أراد شرب المزيد من الجعة. لكنه تسمر مكانه وكأنه تجمد، ونظر إلى صندوق البريد. اختفى اسم ف. كولا وحل محله ليندر. من تكون ليندر هذه بحق الجحيم؟

بحث عن الاسم في هاتفه فظهرت صورتها.

كادي ليندر، أخصائية نفسية وعضو غير تنفيذي في مجالس إدارات عدة. لم يعطه ذلك الكثير لينطلق منه، وشعر بالفضول. لكن تفكيره انصب في المقام الأول على ليزبيث، وما إن تمالك نفسه حتى عادت كادي ليندر للظهور في المدخل. كانت نظراتها فضولية الآن بقدر ما هي مازحة. عيناها تتحركان ذهابًا وإيابًا. كانت نحيلة، ذات معصمين دقيقين وترقوة بارزة، وتفوح منها رائحة عطر خفيفة.

قالت:

– "هيا، أخبرني. هل جئت فعلًا للمكان الخطأ؟"

أجاب:

– "سأتجاوز عن هذا السؤال."

أدرك فورًا أنها إجابة غير موفقة. لكنه فهم من ابتسامتها أنها كشفت ارتباكه، فأراد المغادرة بأقل الخسائر الممكنة. لن يكشف تحت أي ظرف أن ليزبيث سالاندر عاشت في هذا العنوان باسم مستعار، بغض النظر عما تعرفه ليندر أو تجهله.

قالت:

– "هذا لا يجعلني أقل فضولًا."

ضحك وكأن الأمر مسألة خاصة تافهة.

– "إذًا لست هنا للتحري عني؟ أقصد، هذا المكان لم يكن رخيصًا بالضبط."

– "ما لم تقطعي رأس حصان وتدسيه في فراش أحدهم، فالأرجح أنني سأتركك بسلام."

– "لا أذكر كل تفاصيل المفاوضات، لكن لا أظن أن هذا الأمر طُرح."

قال باسترخاء مصطنع:

– "يسرني سماع ذلك. في هذه الحالة، أتمنى لك كل التوفيق."

أراد المغادرة مع حمالي الأثاث اللذين كانا في طريقهما للخروج، لكن بدا أن ليندر تأمل في استمرار المحادثة، وراحت تعبث بجدائلها بتوتر. خطر له أن ما فسره كثقة بالنفس مستفزة قد يكون في الواقع غطاءً لشيء مختلف تمامًا.

سألته:

– "هل تعرفها؟"

– "مَن؟"

– "المرأة التي عاشت هنا."

رد السؤال عليها:

– "وهل تعرفينها أنتِ؟"

– "لا، لا أعرف حتى اسمها. لكني مع ذلك أحبها."

– "لماذا؟"

– "رغم كل الفوضى في البورصة، كانت المزايدة جنونية. لم يكن باستطاعتي المواصلة فانسحبت. لكني حصلت على الشقة لأن «الآنسة الصغيرة» – كما سماها المحامي – أرادتني أن أحصل عليها. صدّق أو لا تصدق، تم الأمر في أسبوعين!"

– "مذهل."

– "أليس كذلك؟"

– "ربما فعلتِ شيئًا راق للآنسة الصغيرة؟"

– "أنا في الواقع مشهورة إعلاميًا بمشاكساتي مع العجائز الذين يجلسون في مجالس الإدارة."

– "من الوارد أنها تستحسن هذا النوع من الأمور."

– "ربما. لو استطعت إغراءك بجعة احتفالًا بالانتقال، قد نتحدث عن الأمر. يجب أن أقول..." ترددت مرة أخرى ثم أكملت: "أحببتُ قصتك عن التوأمين. كانت مؤثرة جدًا."

– "شكرًا. أنتِ لطيفة جدًا. لكن عليّ الذهاب حقًا."

أومأت برأسها، وبالكاد استطاع قول "أراكِ لاحقًا". لم يعرف كيف غادر المكان، كل ما عرفه أنه خرج إلى أمسية صيفية. لم يلحظ كاميرتي المراقبة الجديدتين فوق مدخل الشارع، ولا حتى المنطاد المحلق فوقه مباشرة. عبر موزيباكه وأكمل نزولًا نحو أورفادرسغراند. وعند شارع غوتغاتان فقط، أبطأ خطاه وقد شعر بالخواء التام. كل ما حدث هو أن ليزبيث انتقلت، وهو أمر كان يجب أن يسعده؛ فهي أكثر أمانًا الآن. لكن بدلًا من الفرح لها، شعر بلومكفيست بالأمر كصفعة على وجهه. كان شعورًا عبثيًا.

إنها ليزبيث سالاندر. وهي من هي. لكنه شعر بالألم رغم ذلك. كان بإمكانها أن تعطيه إشارة ما. مد يده لهاتفه ليرسل لها رسالة، سؤالًا، ثم تراجع.. الأفضل أن يترك الأمر. سار على طول هورنسغاتان ورأى أصغر المشاركين يركضون دورتهم في سباق ميدناتسلوم، وحدق بذهول في أعداد الآباء المهللين والمصفقين على الرصيف، وكأنه عاجز تمامًا عن فهم حماسهم. كان عليه التركيز ليعبر الشارع في فجوة بين العدائين. وفي الأعلى عند بيلمانسغاتان واصلت أفكاره شرودها، فتذكر آخر مرة كان فيها مع سالاندر.

كان ذلك في مطعم كفارنن مساء جنازة هولغر، ولم يجد أي منهما الحديث سهلًا. وفي ظل تلك الظروف لم يكن ذلك مفاجئًا. الشيء الوحيد الذي بقي معه من لقائهما هو إجابتها على سؤاله:

– "ما خطوتك التالية؟"

– "سأكون انا الصياد لا الطريدة."

الصياد لا الطريدة.

لم ينجح أبدًا في جعلها تشرح ما تعنيه، وتذكر كيف اختفت لاحقًا عبر ساحة ميدبورغاربلاتسن، مرتدية بدلة مفصلة سوداء جعلتها تبدو كصبي غاضب أُجبر على ارتداء ملابس رسمية لمناسبة ما. كان ذلك في أوائل يوليو، ليس منذ زمن بعيد، لكنه بدا كأنه دهر مرّ. فكر في ذلك وفي أمور أخرى وهو يكمل طريقه للمنزل. وحين فتح بابه أخيرًا وارتمى على الأريكة مع جعة «بيلسنر أوركويل»، رن هاتفه مجددًا.

كانت طبيبة شرعية، دكتورة تدعى فريدريكا نيمان.

-٢-

١٥ أغسطس

كانت سالاندر تقبع في غرفة فندق تطل على ساحة مانيجنايا في قلب موسكو، وعيناها مسمرتان على شاشة حاسوبها المحمول، تراقب ميكائيل بلومكفيست وهو يخرج من مدخل البناية في شارع فيسكارغاتان. لم يبدُ عليه اعتدادُه المعهود بنفسه، بل بدا تائهًا غارقًا في شروده. شعرت بوخزة لشيء لم تتبين كنهه تمامًا، ولم تجد في نفسها رغبة في سبر أغواره. رفعت بصرها عن الشاشة لتتأمل القبة الزجاجية في الساحة بالخارج، وهي تتلألأ بأضواء شتى الألوان.

تلك المدينة التي لم تكن تثير اهتمامها حتى عهد قريب، أصبحت الآن تناديها، وراودتها فكرة عابرة بأن تترك كل شيء خلفها وتخرج لتنغمس في صخب المدينة. لكنها نفضت الفكرة عن رأسها معتبرة إياها ضربًا من الحماقة؛ فلا بد لها من الانضباط. لقد أمضت جلّ وقتها مؤخرًا حبيسة شاشة حاسوبها، حتى إنها لم تكن تنعم إلا بقسط يسير من النوم. ومع ذلك، كان مظهرها يبدو أكثر ترتيبًا مما كانت عليه منذ أمد بعيد؛ فقد قصت شعرها قصيرًا، وتخلصت من جميع الأقراط التي كانت تخترق جسدها، وارتدت قميصًا أبيض وبدلة سوداء، تمامًا

كما فعلت في جنازة هولجر؛ ليس تكريمًا لذكراه في واقع الأمر، بل لأن ذلك أصبح عادة لها ولرغبتها في التواري عن الأنظار.

لقد عقدت العزم على أن تكون هي من يبدأ بالهجوم، لا أن تنتظر كفريسة حوصرت في زاوية ضيقة، وهذا ما دفع بها إلى موسكو، وهو السبب ذاته الذي جعلها ترتب لزرع كاميرات مراقبة في شارع فيسكارغاتان في ستوكهولم. لكن الثمن الذي كانت تدفعه كان أغلى مما توقعت؛ ليس فقط لأن الأمر نبش في ماضيها وأرق مضجعها، بل لأن أعداءها كانوا يتخفون وراء ستائر من الدخان وتشفيرات يستحيل اختراقها، مما كان يضطرها لقضاء ساعات طوال في محو آثارها. كانت تعيش كأنها سجينة هاربة. لم يكن أي مما تبحث عنه متاحًا بيسر، ولم تقترب من هدفها إلا الآن، بعد شهر من العمل الدؤوب. لكن اليقين لم يكن حليفها دائمًا؛ ففي بعض الأحيان كانت تتساءل —رغم كل شيء— إن كان العدو يسبقها دومًا بخطوة.

اليوم، حين خرجت في مهمة استطلاعية، ساورها شعور بأنها مراقبة. وفي الليل، كانت تصيخ السمع لخطوات في ردهة الفندق، وبالأخص لخطوات رجل —كانت واثقة أنه رجل— يعاني من خلل في تقدير المسافات، يظهر في عدم انتظام مشيته؛ إذ كان يبطئ خطوه غالبًا أمام باب غرفتها، وكأنه هو الآخر يتنصت.

ضغطت على زر الإرجاع. ظهر بلومكفيست مجددًا وهو يخرج من الشقة في فيسكارغاتان بملامح يكسوها الانكسار، وأخذت تتأمل ذلك المشهد وهي تجرع ما تبقى في كأس الويسكي. كانت غيوم داكنة تنجرف فوق مبنى "الدوما" باتجاه الساحة الحمراء والكرملين. كانت العاصفة في طريقها، ولعل ذلك كان من حسن حظها. وقفت وفكرت في

أخذ حمام ساخن، لكنها استقرت على تغيير قميصها فحسب، فاختارت قميصًا أسود؛ إذ بدا ذلك ملائمًا للموقف. ومن مخبأ سري في حقيبتها، أخرجت مسدسها من طراز بيريتا تشيتا، وهو السلاح الذي اشترته في يومها الثاني في موسكو، ودسته في الجراب تحت سترتها، ثم جلست على السرير تتأمل الغرفة.

لم تكن تحب الغرفة، ولا الفندق برمته؛ فقد كان مفرطًا في الفخامة والتبهرج. ولم يكن الأمر يقتصر على وجود رجال من طينة والدها يتسامرون في الحانة بالأسفل —حمقى متغطرسون يشعرون باستحقاق مطلق في امتلاك عشيقاتهم ومرؤوسيهم— بل كانت هناك عيون ترقبها، وأخبار قد تُنقل إلى أجهزة المخابرات أو العصابات. كثيرًا ما وجدت نفسها تجلس كما هي الآن، قابضة على قبضة يدها، مستعدة للعراك.

دخلت الحمام ورشت وجهها بالماء البارد، لكن ذلك لم يجدِ نفعًا كبيرًا. كان جبينها متشنجًا من قلة النوم، ورأسها يئن من الصداع.

هل حان وقت الرحيل بهذه السرعة؟

لعل ذلك هو الأفضل. أصاخت السمع أولًا لأي أصوات في الردهة، ثم انسلّت خارجًا. كانت غرفتها في الطابق العشرين، بالقرب من المصاعد. كان هناك رجل في منتصف العمر ينتظر بالفعل؛ وسيم الملامح، شعره قصير، يرتدي بنطال جينز وسترة جلدية وقميصًا أسود مثل قميصها تمامًا. علمت أنها رأته في مكان ما من قبل. كان هناك شيء غريب في عينيه؛ فقد كانتا تلمعان بألوان مختلفة. تجاهلته وسمرت بصرها في الأرض بينما كان المصعد يهوي بهما إلى الأسفل.

خطت إلى الردهة ومنها مباشرة إلى الساحة. أمامها، كانت القبة الزجاجية الكبيرة تتلألأ في الظلام. وتحت هذه الخارطة الدوارة للعالم، يمتد مركز تجاري من أربعة طوابق. وفي الأعلى، ينتصب تمثال برونزي لـ القديس جرجس وهو يصرع التنين. كان القديس جرجس شفيع موسكو، وكانت تراه في كل ركن من أركان المدينة، شاهرا سيفه.

أحيانًا، كانت تضع يدها على كتفها الأيسر، في إيماءة حماية لتنينها الخاص، أو تلمس جرح رصاصة قديم في الكتف ذاته، أو ندبة نصل في وركها، وكأنها تذكر نفسها بآلام الماضي.

كان عقلها مشغولًا بالحرائق والكوارث، وفكرت أيضًا في والدتها. ومع ذلك، كانت حريصة على تجنب كاميرات المراقبة. لذا، كانت حركاتها متوترة وغير منتظمة وهي تسرع نحو شارع "تفيرسكوي"، ذلك الجادة الفخمة بحدائقها ومنتزهاتها، ولم تتوقف إلا عندما وصلت إلى مطعم فرساي، أحد أرقى مطاعم المدينة.

بدا المبنى وكأنه قصر من طراز الباروك، بأعمدته وزخارفه الذهبية وكريستاله؛ محاكاة براقة للقرن السابع عشر. لم تكن تتمنى شيئًا أكثر من الابتعاد عن هذا المكان، لكن حفلة ستقام هناك الليلة لأثرياء المدينة، وكانت تراقب التحضيرات من بعيد. حتى الآن، لم يكن هناك سوى مجموعات صغيرة من النساء الشابات الجميلات، لعلّهن فتيات مرافقات استُؤجرن لهذه المناسبة. كما كان الموظفون يعملون بجد لوضع اللمسات الأخيرة.

وعندما اقتربت أكثر، لمحت المضيف: فلاديمير كوزنيتسوف. كان يقف عند المدخل الرئيسي ببدلة عشاء بيضاء وحذاء من الجلد اللامع. ورغم أنه لم يكن طاعنًا في السن —إذ ناهز الخمسين بالكاد—

إلا أنه كان يشبه "بابا نويل" بشعره ولحيته البيضاء، وبطنه المنتفخ الذي لا يتسق مع ساقيه النحيفتين. رسميًا، كان يُعد قصة نجاح؛ مجرمًا صغيرًا تعثرت به السبل ثم قلب حياته ليصبح طاهيًا مشهورًا يتخصص في شرائح لحم الدببة وصلصات الفطر. لكنه في الخفاء كان يدير سلسلة من مصانع الذباب الإلكتروني[1] التي تبث أخبارًا كاذبة، غالبًا ما تحمل محتوى معاديًا للسامية بشكل علني. لم يكتفِ كوزنيتسوف بإثارة الفوضى والتأثير على الانتخابات السياسية فحسب، بل كانت يداه ملطختين بالدماء أيضًا.

لقد كان مذنبًا بتأجيج الإبادات الجماعية، وحوّل الكراهية إلى تجارة مربحة. مجرد رؤيته عند المدخل منح سالاندر دفعة من الحماس. تحسست ملمس مسدسها "البيريتيا" في جرابه وتلفتت حولها. كان كوزنيتسوف يشد لحيته بتوتر؛ فكانت هذه ليلته الكبرى.

في الداخل، كانت هناك فرقة رباعية وترية تعزف، وعلمت سالاندر أن فرقة جاز "الروسية المتأرجحة" ستتبعها. بُسطت سجادة حمراء تحت مظلة سوداء عريضة، يحدها حبل ورجال أمن اصطفوا في صفوف متراصة، مرتدين بدلات رمادية وسماعات أذن، وجميعهم مسلحون. نظر كوزنيتسوف إلى ساعته؛ لم يصل ضيف واحد بعد. ربما كانت نوعًا من اللعبة؟ فلا أحد يرغب في أن يكون أول الواصلين.

لكن الشارع كان غاصًا بالمارة الذين جاؤوا للمشاهدة. يبدو أن الخبر قد شاع بأن شخصيات هامة ستصل، وفكرت سالاندر أن هذا

---

[1] مصنع الذباب الإلكتروني *Troll Factory* : مصطلح يُستخدم لوصف مؤسسة أو شبكة منظمة تنتج محتوى مضلل أو مثير للجدل على الإنترنت، بهدف التأثير على الرأي العام، التضليل السياسي، أو نشر الدعاية. غالبًا ما تعمل هذه الشبكات من دول محددة، وتستغل وسائل التواصل الاجتماعي لنشر رسائلها بشكل ممنهج ومنسق.

ليس بالأمر السيئ؛ إذ سيسهل عليها الانخراط وسط الزحام. ثم بدأ المطر يهطل، رذاذًا في البداية، ثم تحول إلى وابل منهمر. لمع البرق في الأفق، ودوّى الرعد. تفرق الجمع إلا من قلة صامدة تحت مظلاتهم. ولم يمض وقت طويل حتى وصلت أولى سيارات الليموزين والضيوف. استقبلهم كوزنيتسوف واحدًا تلو الآخر بانحناءة، بينما كانت امرأة بجانبه تشطب الأسماء في دفتر أسود صغير. بدأ المطعم يمتلئ ببطء برجال في منتصف العمر، وعدد أكبر من الشابات.

سمعت سالاندر همهمة الأصوات من الداخل، وبصوت خافت، موسيقى الفرقة الوترية. بين الحين والآخر، كانت تلمح شخصيات مرت عليها خلال بحثها، وراقبت كيف كانت تعبيرات كوزنيتسوف وحركاته تتغير وفقًا لمكانة كل واصل. كان جميع الضيوف يحظون بابتسامة وانحناءة يرى أنها تليق بهم، أما المتميزون حقًا فكانوا يحظون بنكتة صغيرة أيضًا، رغم أن معظم الضحك كان يصدر من كوزنيتسوف نفسه.

كان يبتسم ويقهقه كأنه مهرج في بلاط ملكي، بينما وقفت سالاندر متجمدة ومبللة، ترقب هذا المشهد. لاحظها أحد الحراس وأومأ لزميله؛ لقد استغرقها التأمل أكثر من اللازم، وهذا لم يكن جيدًا، ليس جيدًا على الإطلاق. تظاهرت بالابتعاد لكنها اختبأت في مدخل بناية قريب. لاحظت حينها أن يديها ترتجفان، ولم تظن أن السبب هو المطر أو البرد، بل كان التوتر العصبي الذي أوصلها إلى حافة الانهيار.

أخرجت هاتفها المحمول للتأكد من أن كل شيء معدّ. يجب أن يكون الهجوم منسقًا بدقة متناهية، وإلا هلكت. راجعت الخطة مرة،

مرتين، ثلاثًا. لكن الدقائق كانت تسرقها، وبدأت الشكوك تساورها. المطر ينهمر ولا شيء يحدث. بدا الأمر وكأنه فرصة أخرى ضائعة.

بدا أن جميع الضيوف قد وصلوا، حتى كوزنيتسوف نفسه دخل إلى الداخل. كانت الحفلة في أوجها؛ الرجال يجرعون الكؤوس ويتحرشون بالفتيات. قررت العودة إلى الفندق. لكن في تلك اللحظة، توقفت سيارة ليموزين أخرى، وأسرعت المرأة التي عند المدخل إلى الداخل لتستدعي كوزنيتسوف، الذي خرج يهرول من المطعم والعرق يتصبب من جبينه وكأس الشمبانيا في يده. قررت سالاندر البقاء في نهاية المطاف؛ فهذا الضيف مهم، وكان ذلك جليًا من تصرفات حراس الأمن والتوتر السائد في الأجواء، فضلًا عن نظرة البلاهة التي اعتلت وجه كوزنيتسوف. انسلّت سالاندر عائدة إلى مكمنها في مدخل البناية، لكن لم يخرج أحد من السيّارة.

لم يقفز أي سائق في المطر ليفتح الباب؛ ظلت السيارة رابضة مكانها فحسب. هندم كوزنيتسوف شعره وربطة عنقه، وشد بطنه إلى الداخل وتجرع كأسه. توقفت سالاندر عن الارتجاف؛ فقد لمحت في عيني كوزنيتسوف شيئًا تعرفه حق المعرفة، ودون تردد، شنت هجومها.

دّست هاتفها في جيبها وتركت الأكواد البرمجية تؤدي عملها، بينما أخذت تتلفت حولها، مسجلة كل تفصيل في محيطها بدقة فوتوغرافية: لغة جسد الحراس، قرب أيديهم من أسلحتهم، الفجوات بين أكتافهم على طول السجادة الحمراء، التعرجات وبرك الماء على الرصيف أمامها.

ظلت واقفة بلا حراك، في حالة تشبه الغيبوبة، تراقب حتى اللحظة التي ترجل فيها السائق من الليموزين، وفتح مظلة ثم فتح الباب

الخلفي. حينها، تقدمت بخطوات رشيقة كقطة، ويدها تقبض على مقبض المسدس تحت سترتها.

-٣-

١٥ أغسطس

لم تكن علاقة بلومكفيست بهاتفه المحمول على ما يرام، وكان حريًا به أن يقتني رقمًا خاصًا منذ زمن بعيد. لكنه ظل مترددًا؛ فبصفته صحفيًا، لم يرغب في أن يعزل نفسه عن الجمهور. ومع ذلك، كان يرزح تحت وطأة سيل المكالمات التي لا تنقطع، وقد استشعر أن شيئًا ما قد تغير خلال العام المنصرم.

أصبحت النبرة أكثر حدة وغلظة. بات الناس ينهالون عليه بالشتائم والصراخ، أو يلقون إليه بمعلومات وإخباريات شديدة الغرابة والجنون. ولذا، كاد يتوقف تمامًا عن الرد على الأرقام المجهولة؛ فكان يترك هاتفه يهتز ويرن، وإذا حدث وردّ – كما يفعل الآن – فغالبًا ما يجد نفسه يقطب جبينه دون قصد.

قال وهو يتناول زجاجة جعة من الثلاجة:

– "بلومكفيست."

جاءه صوت نسائي قائلًا:

– "أعتذر. هل أعاود الاتصال لاحقًا؟"

أجاب بنبرة أكثر ليونة:

– "لا، لا عليكِ. ما الأمر؟"

– "اسمي فريدريكا نيمان، طبيبة في المجلس الوطني للطب الشرعي في سولنا."

داهمه الخوف فجأة.

سأل:

– "ماذا حدث؟"

– "لم يحدث شيء، بخلاف ما يحدث دائمًا، وأنا واثقة أن الأمر لا علاقة له بك. لكننا استقبلنا جثةفي..."

قاطعها:

– "امرأة؟"

– "لا، لا، إنه رجل بالتأكيد. حسنًا، عبارة «بالتأكيد» قد تبدو غريبة هنا، أليس كذلك؟ لكنه رجل، ربما في الستينيات من عمره أو أصغر قليلًا، ومن الواضح أنه ذاق الويلات وعاد من الجحيم. لم أرَ شيئًا كهذا في حياتي."

– "هلّا دخلتِ في صلب الموضوع؟"

– "أعتذر، لم أقصد إقلاقك. لا أظن أنك كنت تعرفه. كان متشردًا بائسًا، يقبع في قاع الهرم الاجتماعي حتى بمقاييس تلك الفئة."

– "إذًا ما علاقتي أنا به؟"

– "لقد عثرنا على رقم هاتفك المحمول في جيبه."

قال بلومكفيست بضيق:

– "الكثيرون يملكون رقمي."

وشعر فورًا أنه افتقر لللباقة.

تابعت فريدريكا نيمان:

– "أنا أتفهم ذلك تمامًا. لا بد أنك تتعرض لطوفان من المكالمات. لكن هذا الأمر يمسني بشكل شخصي."

– "بأي طريقة؟"

– "أؤمن بأن حتى أكثرنا تحطمًا وبؤسًا يستحق قدرًا من الكرامة في موته."

قال محاولًا تعويض جفاءه قبل لحظات:

– "بالتأكيد."

– "بالضبط. ولطالما كانت السويد بلدًا متحضرًا في هذا الصدد. ولكن مع مرور كل عام، نتلقى مزيدًا من الجثث التي نعجز عن تحديد هوية أصحابها، وهذا الأمر يزعجني حقًا. لكل إنسان الحق في هوية عند موته. الحق في اسم، وتاريخ."

– "صحيح."

قالها، لكن تركيزه كان قد تشتت بالفعل، وتوجه نحو حاسوبه المحمول على المكتب دون أن يشعر تقريبًا.

قالت المرأة:

– "أحيانًا أكون واثقة أن هناك صعوبات حقيقية تحول دون ذلك. لكن غالبًا ما يعود السبب ببساطة إلى نقص الموارد أو الوقت، أو الأسوأ من ذلك، انعدام الرغبة، وينتابني شعور سيء بأن هذا قد يكون الحال مع هذه الجثة."

– "ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟"

– "حقيقة أننا لم نجد أي تطابق في أي قاعدة بيانات، ولأن الرجل يبدو كشخص بلا أدنى أهمية. حثالة الحثالة. من النوع الذي نشيح بوجوهنا عنه وننساه ببساطة."

– "أمر محزن للغاية."

كان يبحث في الملفات التي أنشأها على مر السنين والخاصة بـ سالاندر.

قالت فريدريكا نيمان:

– "مع قليل من الحظ قد أكون مخطئة. لقد أرسلت العينات للتو، وقريبًا قد نعرف المزيد عن هذا الرجل. أنا الآن في منزلي، وفكرت في محاولة تسريع الأمور قليلًا. أنت تسكن في شارع بيلمانسغاتان، أليس كذلك؟ إنه ليس ببعيد عن المكان الذي عُثر عليه فيه، ربما تصادفتما من قبل. أو ربما اتصل بك؟"

– "أين عُثر عليه إذًا؟"

– "بجوار شجرة في حديقة تانتولوندن. كنت لتتذكره لو رأيته. وجهه بني داكن ومتسخ، تملؤه تجاعيد عميقة. لحيته خفيفة. من المؤكد أنه تعرض لأشعة شمس حارقة وبرد قارس. جسده يحمل آثار قضمات الصقيع، وهو فاقد لمعظم أصابع يديه وقدميه. وتظهر عضلاته علامات إجهاد شديد. أخمّن أنه ينحدر من مكان ما في جنوب شرق آسيا. ربما كان وسيمًا في زمن مضى. ملامحه نظيفة، رغم أن وجهه مدمر. بشرته مائلة للاصفرار بسبب تلف الكبد. وهناك بقع سوداء على وجنتيه، علامات نخر وتموّت في الأنسجة. من الصعب دائمًا تحديد العمر في هذه المرحلة المبكرة، كما تعلم بالتأكيد. لكني أرجح أنه كان يناهز الستين، كما قلت، ولزمن طويل كان على حافة الجفاف. كان قصير القامة، طوله يزيد قليلًا عن ١٥٠ سنتيمترًا."

قال بلومكفيست:

– "لست متأكدًا. الوصف لا يذكرني بأحد."

كان يبحث عن رسائل من سالاندر بين ملفاته، لكنه لم يعثر على شيء. يبدو أنها توقفت حتى عن اختراق أجهزته هذه الأيام، مما زاد من قلقه. كاد يشعر في عظامه بأنها في خطر.

قالت فريدريكا نيمان:

– "لم أنتهِ بعد. لم أذكر الشيء الأكثر لفتًا للانتباه فيه؛ سترته المبطنة."

– "ما المميز فيها؟"

– "كانت ضخمة ودافئة لدرجة تجعلها ملفتة للنظر بوضوح في هذا الحر."

– "كما تقولين، كنت سأتذكر ذلك."

أغلق الحاسوب ونظر عبر النافذة نحو خليج ريدارفجاردن. مرة أخرى فكر في أن بيع سالاندر لشقتها كان تصرفًا حكيمًا على الأرجح.

– "لكنك لا تتذكر، صحيح؟"

– "لا..." قالها مترددًا، ثم أضاف: "أليس لديك صورة ترسلينها لي؟"

– "لا أعتقد أن ذلك سيكون تصرفًا أخلاقيًا."

– "كيف تعتقدين أنه مات؟"

لم يكن بكامل تركيزه.

– "حسنًا، التسمم قضى عليه، هذا ما أرجحه. تسمم ذاتي بلا شك، ناجم في المقام الأول عن الكحول بالطبع. كانت رائحته تفوح منه، لكن هذا لا ينفي احتمالية وجود مواد أخرى في جسده. سأعرف المزيد من المختبر الجنائي خلال أيام. طلبت فحصًا شاملًا للمخدرات

والسموم يغطي أكثر من ثمانمئة مادة. لكن الصورة العامة تشير إلى فشل بطيء ومستمر في الأعضاء، وتضخم في القلب."

جلس بلومكفيست على الأريكة وأفرغ ما تبقى من الجعة، وصمت لفترة بدت طويلة بوضوح.

سألت الطبيبة:

— "هل ما زلت معي؟"

— "نعم، أنا هنا. كنت أفكر فقط..."

— "بماذا؟"

كان يفكر في ليزبيث.

قال:

— "في أنه ربما كان أمرًا جيدًا أن رقمي كان بحوزته."

— "ماذا تعني؟"

— "ربما شعر أن لديه قصة يرويها، وأنا واثق أن هذا سيشجع الشرطة على بذل جهد أكبر. في بعض الأحيان، عندما أكون في قمة نشاطي، أستطيع إثارة قلقهم."

ضحكت وقالت:

— "أنا واثقة من ذلك."

— "وأحيانًا أكتفي بإزعاجهم فقط."

وأحيانًا أثير حنق نفسي، فكّر في سرّه.

— "لنأمل أن يكون الاحتمال الأول."

— "نعم، لنأمل ذلك."

أراد إنهاء المكالمة. أراد أن يختلي بأفكاره. لكن الطبيبة الشرعية رغبت في الحديث أكثر، ولم يطاوعه قلبه على إغلاق الخط في وجهها.

تابعت قائلة:

– "لقد ذكرتُ أنه كان من نوع الرجال الذي يرغب المرء عادة في نسيانه، أليس كذلك؟"

– "فعلتِ."

– "لكن هذا ليس صحيحًا تمامًا، ليس بالنسبة لي. يبدو الأمر وكأن... وكأن لجسده حكاية يرويها."

– "بأي معنى؟"

– "يبدو وكأنه خاض غمار الجليد والنار معًا. كما قلت، لا أظن أنني رأيت شيئًا كهذا من قبل."

– "رجل صلب."

– "نعم، ربما. كان مهلهل الثياب، قذرًا بشكل لا يوصف. رائحته نتنة. ومع ذلك كان يتمتع بنوع من الوقار. أظن أن هذا ما أحاول قوله. شيء ما منحه بعض الاحترام، رغم كل الذل. لقد خاض نضالًا شريفًا."

– "هل كان جنديًا؟"

– "لم أرَ أي ندوب معارك، لا شيء من هذا القبيل."

– "أو رجلًا من قبيلة بدائية ما؟"

– "مستبعد. لقد تلقى رعاية لأسنانه، ومن الواضح أنه يجيد الكتابة. هناك وشم لعجلة بوذية على معصمه الأيسر."

– "فهمت."

– "حقًا؟"

– "فهمتُ أنه جعلك تكترثين لأمره بطريقة ما. سأتحقق من بريدي الصوتي لأرى إن كان قد تواصل معي."

– "شكرًا لك."

وربما تحدثا لفترة أطول قليلًا، لم يكن متأكدًا، فقد كان لا يزال مشتت الذهن بعض الشيء.

بعد أن أنهى المكالمة، ظل بلومكفيست جالسًا غارقًا في التفكير. كانت أصوات الهتاف والتصفيق تصل إليه من سباق ميدناتسلوم في شارع هورنسغاتان، فمرر أصابعه في شعره. لا بد أنه لم يقصه منذ ثلاثة أشهر تقريبًا. كان بحاجة للسيطرة على حياته. بل كان بحاجة لأن تكون له حياة من الأساس، أن يستمتع بوقته كالآخرين، لا أن يكتفي بالعمل ودفع نفسه إلى أقصى الحدود. وربما أيضًا أن يجيب على هاتفه وألا يكون منصبًا كليًا على أخباره اللعينة.

دلف إلى الحمام، ليس لأن ذلك جعله يشعر بتحسن. كانت الملابس معلقة لتجف. لطخات من معجون الأسنان ورغوة الحلاقة تلوث الحوض، وشعيرات متناثرة في حوض الاستحمام. سترة مبطنة، فكّر، في عز الصيف؟ هناك سر في هذا الأمر، أليس كذلك؟ لكنه وجد صعوبة في التركيز. أفكار كثيرة تتزاحم في رأسه، فمسح الحوض والمرآة، وطوى الغسيل، ثم التقط هاتفه ليتحقق من البريد الصوتي.

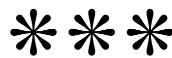
كان لديه سبع وثلاثون رسالة صوتية لم يفتحها. بحق السماء، لا ينبغي لأحد أن يكون لديه سبع وثلاثون رسالة غير مسموعة. والآن، وبتعابير وجه متألمة، استمع إليها واحدة تلو الأخرى. يا إلهي، ما خطب الناس؟ صحيح أن هناك من أراد تزويده بمعلومات، وآخرين كانوا مهذبين ومحترمين، لكن الغالبية كانت غاضبة ببساطة. "أنت تكذب بشأن الهجرة"، هكذا صرخوا. "تخفي عنا حقيقة المسلمين". "تحمي اليهود في النخبة المالية". كان الأمر أشبه بمن يُرشق بالقاذورات، وكاد

يغلق الهاتف. لكنه واصل الاستماع بشجاعة، وأخيرًا سمع شيئًا لم يكن من هذا الصنف ولا ذاك. كانت مجرد لحظة من الاضطراب.

"مرحبًا... مرحبًا..." قال صوت بلكنة إنجليزية واضحة، وأنفاسه تتلاحق بثقل، وبعد صمت قصير أضاف: "أجب... حوّل."

بدا وكأنه نداء عبر جهاز لاسلكي، وتلته بضع كلمات أخرى لم يفهمها بلومكفيست، ربما بلغة أخرى؟ كان اليأس والوحدة يجللان الصوت. هل يمكن أن يكون المتسول؟ جائز. لم تكن هناك طريقة للمعرفة. أغلق بلومكفيست الخط ودخل المطبخ، وفكر في الاتصال بـ مالين فرود أو أي شخص آخر قد يحسن مزاجه. لكنه قاوم هذا الدافع، وبدلًا من ذلك أرسل رسالة نصية مشفرة إلى سالاندر. ما الذي يهم إن كانت لا تريد أن يكون لها أي شأن به؟

إنه مرتبط بها، وسيظل كذلك.



كانت كاميلا، أو كيرا كما تطلق على نفسها هذه الأيام، تجلس في سيارتها الليموزين في جادة تفيرسكوي، تنظر بإعجاب إلى ساقيها الطويلتين. كانت ترتدي فستانًا أسود من ديور وحذاءً أحمر عالي الكعب من غوتشي، وعقدًا ماسيًا من غراف يلمع ببريق مزرق فوق عنقها مباشرة.

كانت فاتنة بجمال مدمر، ولم يكن أحد يدرك ذلك أفضل منها، وكثيرًا ما كانت تتباطأ في المقعد الخلفي لسيارتها كما تفعل الآن. كانت تهوى تخيل المشهد: كيف ينتفض الرجال قليلًا حين تطل عليهم، وكيف لا يملك الكثيرون منهم إلا التحديق بها. علمتها التجربة أن قلة قليلة فقط يملكون الشجاعة لإطرائها وملاقات نظراتها. لطالما حلمت

كيرا بأن تتألق كشخص لا مثيل له، والآن أغمضت عينيها واستمعت لصوت المطر وهو يقرع هيكل السيارة. ثم نظرت عبر النوافذ ذات الزجاج المظلل.

لم يكن هناك سوى حفنة من الرجال والنساء يرتجفون في الخارج تحت مظلاتهم، وبدا أنهم غير مهتمين تقريبًا بمعرفة من سيترجل من السيارة. ألقت نظرة متململة نحو المطعم. حشود من الضيوف يتبادلون الأنخاب، يضحكون وثرثرون. بضعة موسيقيين يقفون على منصة صغيرة في الداخل. وهناك كوزنيتسوف، يجر قدميه خارجًا بعينيه الخنزيريتين وكرشه المتدلي — يا له من منظر! كان مهرجًا بحق. رغبت في الخروج من السيارة وصفعه على وجهه. لكن كان عليها الحفاظ على رباطة جأشها، وهالتها الملكية، وألا تفضح بأدنى تعبير ذلك الشعور الذي داهمها مؤخرًا بأنها سقطت في هاوية. لم يتمكنوا بعد من تحديد مكان أختها، فاستشاطت غضبًا. ظنت أن الأمر سيكون سهلًا بمجرد كشف عنوانها وغطائها. لكنهم لم يعثروا لها على أثر. حتى معارف كيرا في الاستخبارات العسكرية الروسية (G.R.U) — ولا حتى غالينوف نفسه — استطاعوا تعقبها. علموا بوقوع هجمات قرصنة متطورة ضد "مزارع الذباب الإلكتروني" التابعة لـ كوزنيتسوف وأهداف أخرى. قد تكون مرتبطة بها، لكن لم يكن مؤكدًا ما هو حجم الدور الذي تلعبه ليزبيث في ذلك. مهما يكن، كان يجب أن يتوقف هذا الآن. كانت كيرا بحاجة للسلام أخيرًا.

تناهى صوت الرعد من بعيد. مرت سيارة شرطة، فأخرجت مرآة وابتسمت لنفسها، كأنما لتستجمع شجاعتها. وحين رفعت بصرها، رأت كوزنيتسوف يتململ ويعبث بربطة عنقه وياقته. الأحمق متوتر،

وهذا أمر جيد. أرادته أن يتصبب عرقًا ويرتجف، ولم ترد سماع أي من نكاته السمجة.

قالت:

– "الآن."

ترجل سيرغي وفتح الباب الخلفي.

نزل حراسها الشخصيون، لكنها تريثت، بانتظار أن يفتح سيرغي المظلة. ثم وضعت قدمًا واحدة على الرصيف وتوقعت سماع التنهيدة المعتادة، الشهقة، الـ "أوه!". لكن لم يكن هناك شيء، لا شيء سوى المطر وعزف الآلات الوترية للموسيقيين في المطعم، وهمهمة الأصوات. فكرت أن تكون باردة ومترفعّة، ورأسها مرفوع عاليًا، وما كادت تلحظ إشراق وجه كوزنيتسوف بالترقب والقلق وهو يفتح ذراعيه مرحبًا، حتى شعرت بشيء آخر أيضًا: رعب خالص، مطلق، يخترق كيانها.

استشعرت وجود شيء ما فوق كتفها الأيمن، على بعد مسافة قصيرة بمحاذاة واجهة المبنى، شيئًا مراوغًا، فاختلست النظر في ذلك الاتجاه. بدا أن شبحًا مظلمًا يتجه نحوها مباشرة، وإحدى يديه داخل سترته. أرادت أن تصرخ في حراسها أو ترتمي على الرصيف، لكنها بدلًا من ذلك تجمدت في حالة من التركيز التام، وكأنها أدركت أن أي حركة، ولو كانت طفيفة، قد تكلّفها حياتها في هذه اللحظة. ربما عرفت بالفعل من يكون، رغم أنها لم تستطع تمييز شيء سوى طيف خارجي، ظل يقترب.

لكن شيئًا ما في طريقة حركة ذلك الشبح، وخطواته الحازمة، منح كيرا نذير شؤم مرعبًا، وقبل أن يتسنى لها استيعاب وقع الصدمة بالكامل، أيقنت أنها هالكة لا محالة.

-٤-

١٥ أغسطس

هل كان ثمة فرصة يوماً لالتئام شملهما، أو لتربطهما علاقة أخرى غير هذا العداء المستعر؟

ربما لم يكن الأمر مستحيلاً تماماً. ففي نهاية المطاف، تشاركتا في زمن مضى شيئاً جوهرياً: كراهيتهما لوالدهما، ألكسندر زالاتشينكو، وخوفهما المقيم من أن يضرب والدتهما اجنيتا حتى الموت.

في ذلك الحين، كانت الأختان تعيشان في غرفة ضيقة أشبه بالخزانة في شقة بشارع لونداتان في ستوكهولم. وعندما كان والدهما يظهر —تفوح منه عادةً رائحة التبغ والكحول الكريهة— ويجر والدتهما إلى غرفة النوم ليعتدي عليها، كانتا تسمعان كل صرخة، وكل ضربة، وكل أنين مخنوق. أحياناً، كانت ليزبيث وكاميلا تنشدان السلوى في عناق يجمعهما، فلم يكن لديهما سواهما؛ كان رعباً مشاعاً، وهشاشة مشتركة. لكن حتى ذلك العزاء، سُلب منهما في النهاية.

تفاقم الأمر حين بلغتا الثانية عشرة؛ إذ لم يزدد العنف قسوة فحسب، بل صار أكثر تكراراً. بدأ زالاتشينكو يقيم معهم بشكل متقطع، وكان ينهال بالضرب على اجنيتا ليلة بعد ليلة. وفي الوقت نفسه، تسلل تغير خفي إلى العلاقة بين الأختين؛ لم يكن واضحاً في البداية، لكن فضحته تلك اللمعة المثيرة في عيني كاميلا، والنشاط

المفاجئ في خطوتها وهي تهرع لاستقبال والدها عند الباب. كانت تلك هي نقطة التحول.

ومع اقتراب الصراع من حافة الهلاك، اختارت كل منهما جبهة مغايرة في تلك الحرب، ولم تعد هناك أي فرصة للصلح بعد ذلك. ليس بعد أن تعرضت اجنيتا لضرب مبرح على أرضية المطبخ أودى بها إلى عجز دماغي دائم، وليس بعد أن ألقت ليزبيث زجاجة حارقة "مولوتوف" على زالاتشينكو وراقبته وهو يحترق في المقعد الأمامي لسيارته "المرسيدس". منذ ذلك الحين، صار الأمر قضية حياة أو موت.

منذ ذلك الوقت، ظل الماضي قنبلة موقوتة تنتظر الانفجار. والآن، وبعد مرور سنوات، وبينما تنسل سالاندر من مدخل البناية في شارع تفيرسكوي، مرت أيام "لونداتان" أمام عينيها في شريط خاطف كأنه ومضات البرق.

عادت إلى حاضرها. حددت الثغرة التي ستطلق منها النار، وعرفت بدقة كيف ستهرب بعدها. لكن ذكريات الماضي كانت حاضرة في وجدانها أكثر مما أدركت؛ لذا كانت تتحرك ببطء شديد. ولم تبدأ ليزبيث في تسريع خطاها إلا حين وطئت قدما كاميلا السجادة الحمراء بحذائها ذي الكعب العالي وفستانها الأسود، ومع ذلك ظلت في وضعية القرفصاء، دون أن تصدر حركتها أي صوت.

كانت أصوات الضحك وموسيقى الآلات الوترية وقعقعة الكؤوس تنسكب من باب المطعم المفتوح، بينما استمر المطر في الهطول. مرت سيارة شرطة عبر البرك المائية، فسمرت سالاندر بصرها عليها ثم على صف الحراس، متسائلة متى سينتبهون لوجودها مرة أخرى.

أقبل أن أطلق النار أم بعدها؟

لا سبيل للمعرفة. لكنها حتى الآن كانت في أمان؛ فالظلام والضباب يلفان المكان، وكل العيون شاخصة نحو كاميلا.

كانت كاميلا تتوهج كعادتها، وشعت عينا كوزنيتسوف ببريق يشبه بريق أعين الفتيان في ساحات المدارس قبل سنوات طوال. كانت تملك قدرة على جعل الحياة تتوقف عن الحركة؛ تلك القوة التي ولدت بها. راقبت سالاندر أختها وهي تتهادى للأمام، ورأت كوزنيتسوف يعتدل في وقفته ويفتح ذراعيه في إيماءة متوترة لكنها مرحبة، ورأت الضيوف يتزاحمون عند المدخل للفوز بنظرة واحدة. لكن في تلك اللحظة تحديداً، انطلق صوت من الشارع، صوت كانت سالاندر تتوقعه: "Там, посмотрите" — "هناك، انظروا!". لقد رصدها حارس ذو أنف يشبه أنوف الملاكمين وشعر أشقر، ولم يعد هناك مجال للتردد.

وضعت يدها على مسدس "البيريتيا" في جرابه، وشعرت بنفس البرودة القارسة التي اعتلتها حين ألقت علبة الحليب المملوءة بالبنزين على والدها. لمحت في تلك اللحظات الخاطفة كاميلا وهي تتجمد ذعراً، بينما امتدت أيدي ثلاثة حراس على الأقل نحو أسلحتهم. كان عليها أن تتحرك الآن، بسرعة البرق ودون رحمة.

لكنها أصيبت بالشلل، لسبب لا تدركه. كل ما شعرت به هو ظل من طفولتها يكتسحها مرة أخرى، وأدركت أنها لم تفقد فرصتها فحسب، بل باتت الآن تقف عزلاء أمام صف من الأعداء المسلحين. ولا مفر.

لم تلحظ كاميلا تردد تلك الشخصية القابعة في الظل. لم يكن هناك سوى صرختها هي، والحركة المفاجئة للرؤوس والأجساد والأيدي التي تسحب الأسلحة. لم تكن تشك في أن الأوان قد فات، وأن

الرصاص سيمزق صدرها في أي لحظة. لكن الهجوم لم يأتِ، ووجدت متسعاً من الوقت لتهرع نحو المدخل وتحتمي خلف كوزنيتسوف. لثوانٍ معدودة، لم تكن واعية إلا لأنفاسها المتلاحقة والاضطراب المحموم من حولها.

مر وقت قصير قبل أن تدرك أنها لم تنجُ فحسب، بل إن الموقف قد انقلب لصالحها. لم تعد هي من تواجه خطر الموت، بل تلك الشخصية الداكنة هناك، التي لم ترَ وجهها بعد. انحنت تلك الشخصية برأسها لتتفقد شيئاً في هاتف محمول. لا بد أنها ليزبيث. وبشهوة للدم تدق في عروقها، تمنت كاميلا أن ترى تلك الشخصية وهي تتعذب وتموت. وبدأت، بعد أن استعادت هدوءها، تتأمل المشهد الفوضوي.

كان المشهد أجمل مما حلمت به. فبينما كانت هي محاطة بحراس يرتدون سترات واقية من الرصاص، كانت ليزبيث تقف وحيدة على الرصيف، والعديد من الأسلحة مصوبة نحوها. كان أمراً مذهلاً بحق. أرادت كاميلا إطالة تلك اللحظة، وأدركت منذ الآن أنها لحظة ستستعيدها مراراً وتكراراً. لقد انتهى أمر ليزبيث، وستُسحق قريباً. ولتمنع أي تردد قد يخامر الحراس، صرخت:

— "أطلقوا النار! إنها تريد قتلي!"

وبعد ثانية، تهيأ لها أنها سمعت دوي رصاص اختلط بصفارات إنذار خارقة لسيارة شرطة تبدو وكأنها تتجه نحوها مباشرة. شعرت بالضجيج والصخب يدوي في جسدها بالكامل. ورغم أن ليزبيث لم تعد مرئية —إذ تدافع الناس أمامها— إلا أنها تخيلت أختها تموت في وابل من الرصاص، وتخر صريعة على أرض الشارع والدم يغطيها.

لكن... ثمة خطأ ما. لم تكن تلك طلقات مسدس، بل كانت... ماذا؟ قنبلة؟ انفجار؟ ضجيج أصم الآذان اجتاحهم من داخل المطعم. ورغم أن كاميلا لم تكن تريد تفويت ثانية واحدة من إذلال ليزبيث وسحقها، إلا أنها التفتت بذهول نحو الحشود في الداخل، ولم تستطع استيعاب ما تراه.

توقف عازفو الكمان عن العزف، وراحوا يحدقون برعب في الضيوف أمامهم. تسمّر كثير من الحاضرين في أماكنهم، واضعين أيديهم على آذانهم، بينما قبض آخرون على صدورهم أو صرخوا خوفاً. لكن الأغلبية اندفعت نحو المخرج في حالة من الذعر. ولم تفهم كاميلا ما يحدث إلا عندما انفتح باب المطعم على مصراعيه وخرج أوائل الفارين إلى المطر. لم تكن قنبلة، بل كانت موسيقى، رُفع صوتها إلى حد جنوني جعلها تبدو وكأنها هجوم صوتي عالي التردد، لا مجرد نغمات.

كان رجل مسن أصلع يصرخ:

— "ماذا يحدث؟ ماذا يجري؟"

وسقطت امرأة ترتدي فستاناً أزرق داكناً، في العشرين من عمرها تقريباً، على ركبتيها وهي تغطي رأسها بيدها، كأنها تخشى انهيار السقف فوقها. أما كوزنيتسوف، الذي كان يقف بجانبها تماماً، فقد تمتم بشيء ابتلعه هذا الضجيج الصاخب. وفي تلك اللحظة، أدركت كاميلا خطأها؛ لقد سمحت لتركيزها بأن يفتر. التفتت بغضب نحو الشارع، متجاوزة السجادة الحمراء وسيارة الشرطة، لكن أختها لم تعد هناك.

كأن الأرض ابتلعتها. نظرت كاميلا بيأس إلى الفوضى العارمة والضيوف الذين يصرخون في ارتباك، ولم يكد يسعفها الوقت لتطلق صرخة إحباط حتى أطاحت بها ضربة عنيفة على كتفها. اصطدم مرفقها ورأسها بالرصيف. وبينما كان جبينها ينبض بالألم وشفتاها تنزفان، والأقدام تدوس من حولها، سمعت صوتاً مألوفاً ببرودة قاتلة فوق رأسها مباشرة:

– "انتظري فقط يا أختي، فسأنال انتقامي."

كانت مشوشة تماماً لدرجة تمنعها من القيام بأي رد فعل. وعندما رفعت رأسها واستعادت وضوح رؤيتها، لم يظهر لـ ليزبيث أي أثر، بل رأت فقط سيلاً من البشر يندفعون خارجين من المطعم. صرخت مرة أخرى:

– "اقتلوها!"

لكن حتى هي لم تعد تصدق إمكانية حدوث ذلك.

***

لم يلحظ فلاديمير كوزنيتسوف سقوط كاميلا على الأرض، فقد كان مغيباً عما يدور حوله من جنون. فوسط ذلك الضجيج، التقط شيئاً أرعبه أكثر من أي شيء آخر: سلسلة من الكلمات الصارخة بإيقاع متقطع ونابض، وفي البداية رفض تصديق أذنيه.

هز رأسه وتمتم: "لا، لا"، محاولاً طرد الفكرة كأنها خيال مرعب أو خدعة من عقله المحموم. لكنها كانت تلك الأغنية حقاً—تلك الأغنية الكابوس— وتمنى لو تبتلعه الأرض ويموت.

لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً، لا يمكن.

أخذ يئن بينما كانت الجوقة تصرخ في وجهه كأنها موجة ضغط ناتجة عن انفجار قنبلة:

نقتل العالم بالأكاذيب.
نعطي القادة
قوة الشلل
نغذي القتلة بالكراهية،
بترٌ، ودمارٌ، وتهنئة.
لكن أبداً، أبداً
لا نعتذر.

لم تكن هناك أغنية على وجه الأرض تثير رُعبه مثل هذه.

وبمقارنتها بهذا، لم يعد يهمه أن الحفلة التي كان يتطلع إليها قد أُفسدت، أو أنه قد يُقاضى من قبل "الأوليغارشيين[٢]" الغاضبين بسبب تمزق طبلات آذانهم. كل ما كان يشغل باله هو الموسيقى. فمجرد عزفها هنا، الآن، يعني أن شخصاً ما قد اخترق أعمق أسراره. كان يواجه خطر الفضيحة أمام العالم أجمع. انقبض صدره ذعراً وبالكاد استطاع التنفس، لكنه بذل قصارى جهده ليتظاهر بأن شيئاً لم يكن. وعندما تمكن رجاله أخيراً من إيقاف هذا الضجيج، تظاهر بالتنفس الصعداء.

أعلن وسط الجلبة:

— "سيداتي وسادتي، أرجو المعذرة. هذا يثبت لكم أنه لا يجب الوثوق بالتكنولوجيا أبداً. أعتذر بشدة. لكن دعونا نستكمل الحفل؛ فالمشروبات والمفاجآت الأخرى لا تنتهي..."

---

[٢] الأوليغارشيون في روسيا: يُقصد بهم رجال أعمال برزوا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في التسعينيات، استحوذوا على أصول الدولة بأسعار زهيدة، وتركزت بأيديهم ثروات هائلة ونفوذ سياسي واسع، غالباً بعلاقات وثيقة مع السلطة.

تطلع حوله باحثاً عن الفتيات، كأن جمالهن قد ينقذ الموقف. لكن الفتيات الوحيدات اللواتي رآهن كنّ ملتصقات بالجدران، وقد تملكهن رعب الموت، فلم يكمل جملته. أدرك الضيوف أنه ينهار، وبما أن الموسيقيين قد انسحبوا بالفعل إلى الشارع، بدا أن معظم الحاضرين ليس لديهم رغبة سوى في العودة إلى منازلهم. في الواقع، كان كوزنيتسوف ممتناً لذلك؛ فقد أراد أن يختلي بنفسه وبمخاوفه.

كان هذا هو الوقت المناسب للاتصال بمحاميه وبمعارفه في "الكرملين"، لعلّه يجد بعض السلوى. أراد أن يسمع تأكيداً بأنه لن يُوصم كمنبوذ أو مجرم حرب في الصحافة الغربية. كان كوزنيتسوف يتمتع بحماية أقوياء؛ كان رجلاً مهماً ارتكب جرائم فظيعة دون أن يؤرقه ضميره. ومع ذلك، لم يكن شخصاً قوياً في جوهره، ليس عندما تُعزف أغنية "نقتل العالم بالأكاذيب" في حفلته الخاصة الفخمة.

عندما تحدث مثل هذه الأمور، يعود لكونه "نكرة" رخيصاً، مجرماً من الدرجة الثانية، قادته الصدفة البحتة ذات بعد ظهر ليكون في نفس "الحمام التركي" مع عضوين من "الدوما[٣]"، حيث قص عليهما بعض القصص الخيالية. لم يملك كوزنيتسوف أي مواهب أخرى —لا تعليم ولا مهارات خاصة— لكنه كان يجيد نسج الأكاذيب المذهلة، وبدا أن هذا هو كل ما يتطلبه الأمر. منذ ذلك الحين، عمل بجد لبناء دائرة من الأصدقاء ذوي النفوذ، وصار لديه اليوم مئات الموظفين، معظمهم يفوقونه ذكاءً بمراحل: رياضيون، واستراتيجيون، وعلماء نفس، ومستشارون من مخابرات "FSB" و"GRU"، وقراصنة، وعلماء

---

[٣] الدوما: هو مجلس النواب في روسيا، ويُعد الغرفة السفلى في البرلمان الروسي، يتولى سنّ القوانين والموافقة على التشريعات والميزانية، ويشكّل أحد أعمدة السلطة التشريعية في الدولة.

كمبيوتر، ومهندسون، وخبراء في الذكاء الاصطناعي والروبوتات. صار غنياً وقوياً، والأهم من ذلك، لم يربطه أحد في الخارج بوكالات المعلومات والأكاذيب.

لقد برع في إخفاء مسؤوليته وملكيتهم لهذه المؤسسات، وكان مؤخراً يشكر حظه العاثر على ذلك. ليس بسبب تورطه في انهيار البورصة —بل على العكس، كان يرى في ذلك ريشة في تاج نجاحه— ولكن بسبب المهمات في "الشيشان" التي انفجرت في وسائل الإعلام وأدت إلى احتجاجات وضجة في الأمم المتحدة. والأسوأ من ذلك كله، أنها أدت إلى ظهور أغنية احتجاجية من نوع "الهارد روك" أصبحت ضربة عالمية.

كانت تلك الأغنية تُعزف في كل مظاهرة ضد جرائم القتل، وفي كل مرة كان يرتعد خوفاً من أن يقترن اسمه بها. فقط خلال الأسابيع القليلة الماضية، وبينما كان يخطط لحفلته، بدأت الحياة تعود لطبيعتها. استطاع الضحك والمزاح مرة أخرى، وقص حكاياته، وتوافد الضيوف المهمون واحداً تلو الآخر الليلة. كان قد استعاد ثقته بنفسه واستمتع بالتجربة، حتى بدأت تلك الأغنية تصدح فجأة —وبصوت كاد يفجر رأسه.

— "اللعنة، اللعنة، اللعنة!"

قال جون:

— "عفواً؟"

نظر إليه رجل مسن وقور يرتدي قبعة ويحمل عصاً —لم يستطع كوزنيتسوف في ارتباكه تحديد هويته— بنظرة استنكار. ورغم أنه أراد أن

يخبر العجوز بأن يذهب إلى الجحيم، إلا أنه خشي أن يكون أكثر نفوذاً منه، فأجابه بأدب جم قدر استطاعه:

– "أعتذر عن لغتي، أنا غاضب فحسب."

تابع العجوز قائلاً:

– "عليك مراجعة أمنك المعلوماتي."

وكأنني أفعل شيئاً آخر! هكذا فكر، ثم أجاب:

– "لا علاقة للأمر بذلك."

– "وما هو السبب إذاً؟"

– "لقد كان خطأً... كهربائياً."

كهربائياً! هل أنا غبي تماماً؟ هل الأسلاك أصيبت بماس كهربائي وعزفت أغنية "نقتل العالم بالأكاذيب" من تلقاء نفسها؟ شعر بالإحراج ونظر بعيداً، وهو يلوح بيده بوهن لبعض آخر الضيوف الذين كانوا يستقلون سيارات الأجرة. بدأ المطعم يفرغ من رواده، فبحث بعينيه عن فيليكس، كبير تقنييه الشاب. أين ذهب ذلك المعتوه عديم الفائدة؟

أخيراً وجده عند المسرح، يتحدث في هاتفه، بلحيته الصغيرة المضحكة وسترة العشاء الخرقاء التي تتدلى عليه كأنها كيس خيش. بدا مضطرباً، وكان له الحق في ذلك. فقد وعد ذلك الغبي بأن شيئاً لن يسوء، والآن انطبقت السماء على رؤوسهم. أومأ له كوزنيتسوف بغضب.

رد فيليكس بإيماءة استخفاف، مما جعل كوزنيتسوف يرغب في لكمه أو ضرب رأسه بالحائط. ومع ذلك، عندما اقترب فيليكس في النهاية، كان رد فعل كوزنيتسوف مختلفاً تماماً؛ فقد بدا عاجزاً.

– "هل سمعت ما هي تلك الأغنية؟"

قال فيليكس:

– "سمعتها."

– "إذاً، هناك شخص في الخارج يعرف الحقيقة."

– "أفترض ذلك."

– "ماذا تظن أنه سيحدث؟"

– "لا أملك أدنى فكرة."

– "هل يعني هذا أن نتوقع تعرضنا للابتزاز الآن؟"

لم يرد فيليكس وعض على شفتيه، بينما حدق كوزنيتسوف بشرود في الشارع.

قال فيليكس:

– "أعتقد أن علينا توقع ما هو أسوأ بكثير من الابتزاز."

لا تقل ذلك، هكذا فكر كوزنيتسوف، لا تقله.

– "لماذا؟"

تهدج صوته.

– "لأن بوغدانوف اتصل بي للتو..."

– "بوغدانوف؟"

– "رجل كيرا."

كيرا، فكر كوزنيتسوف، كيرا الجميلة والمقيتة، ثم تذكر: هكذا بدأ كل شيء، بوجهها الجميل يلتوي في تكشيرة مرعبة، وفمها يصرخ "أطلقوا النار! اقتلوا!"، وعيناها مثبتتان على تلك الشخصية الداكنة عند الجدار. وبالعودة بذاكرته، بدا أن كل هذا مرتبط بذلك الضجيج الصاخب الذي تلا ذلك.

قال:

– "ماذا قال بوغدانوف؟"

– "قال إنه يعرف من اخترقنا."

كهربائياً! كيف بحق الجحيم قلت "كهربائياً"؟

– "إذاً لقد تعرضنا للاختراق؟"

– "هذا ما يبدو عليه الأمر."

– "لكن ذلك كان من المفترض أن يكون مستحيلاً. مستحيلاً أيها الأحمق اللعين!"

– "لا، ولكن هذا الشخص..."

– "ما خطب هذا الشخص اللعين؟"

– "إنها ماهرة للغاية."

– "إذاً هي امرأة؟"

– "ويبدو أنها لا تسعى وراء المال."

– "ماذا تريد إذاً؟"

أجاب فيليكس:

– "الانتقام."

ارتجف جسد كوزنيتسوف بالكامل، ولكم فيليكس على ذقنه. ثم انصرف ليغرق نفسه في الخمر والشمبانيا حتى فقد وعيه.

***

كانت سالاندر هادئة وهي تدخل غرفتها في الفندق. سكبت لنفسها كأساً من الويسكي وتجرعته دفعة واحدة، وتناولت بعض المكسرات من وعاء على طاولة القهوة. ثم أخذت وقتها في حزم حقيبتها، ولم يكن في حركاتها أي تسرع أو توتر.

فقط عندما أغلقت سحاب حقيبتها واستعدت للرحيل، لاحظت أن جسدها متشنج بشكل غير طبيعي. كانت عيناها تبحثان عن شيء تحطمه —زهرية، لوحة، ثريا الكريستال في السقف— لكن في النهاية، اكتفت بالدخول إلى الحمام والتحديق في المرآة، متأملة كل تفصيلة في وجهها. لم ترَ شيئاً.

في مخيلتها، كانت لا تزال في شارع تفيرسكوي، يدها تمتد نحو سلاحها، ثم تنسحب اليد ذاتها. تذكرت ما جعل الأمر يبدو سهلاً، وما جعله صعباً للغاية، وأدركت أنها —لأول مرة طوال الصيف— لا تملك أدنى فكرة عما يجب فعله. كانت... حسناً، ماذا كانت؟ تائهة، على الأرجح. ولم تشعر حتى بأي نشوة حينما التقطت هاتفها وعرفت مكان سكن كاميلا.

عبر خرائط جوجل، رأت منزلاً حجرياً كبيراً محاطاً بالشرفات والحدائق والمسابح والتماثيل. حاولت أن تتخيل كل ذلك وهو يحترق، تماماً كما احترق والدها في سيارته "المرسيدس" في شارع لونداتان، لكن ذلك لم يمنحها أي شعور بالراحة. ما بدا وكأنه خطة محكمة تحول إلى فوضى عارمة، وأدركت أن ترددها، الآن وقبل كل تلك السنوات، كان خطراً مميتاً وعائقاً لها. فمدت يدها لتجرع مزيداً من الويسكي.

بعد أن دفعت فاتورة الفندق عبر الإنترنت، حملت حقيبتها وغادرت. وعندما ابتعدت عدة كتل سكنية، أخرجت المسدس، ومسحته جيداً، ثم ألقته في فتحة تصريف مياه. استقلت سيارة أجرة، وحجزت رحلة إلى كوبنهاغن في الصباح الباكر مستخدمة أحد جوازات سفرها المزورة، ثم نزلت في فندق "شيراتون" بجوار مطار شيريميتيفو.

في ساعات الصباح الأولى، رأت أن بلومكفيست قد أرسل لها رسالة نصية. أخبرها أنه قلق، وذكرها ذلك بلقطات الكاميرا في شارع فيسكارغاتان. قررت التسلل إلى حاسوبه عبر بابها الخلفي المعتاد. لم تكن تدري لماذا؛ ربما كانت بحاجة فقط لتوجيه تفكيرها إلى شيء آخر غير تلك الصور التي تلاحق مخيلتها. جلست إلى المكتب.

بعد برهة، وجدت بعض الوثائق المشفرة، وافترضت أنها لا بد أن تكون مهمة بالنسبة له. ومع ذلك، بدا وكأنه أراد لها أن تقرأها. ففي الملفات التي أنشأها لها، ترك خيوطاً وإشارات لا يفهمها سواها. وبعد أن تجولت في خادمه لنحو نصف ساعة، انغمست في قراءة مقال طويل كتبه عن انهيار البورصة ومصانع الذباب الإلكتروني. لقد نجح في كشف قدر كبير من المعلومات، لكن ليس بقدر ما كشفته هي. وبعد أن قرأت المقال مرتين، أضافت شيئاً في نهايته وأدرجت رابطاً لوثائق ورسائل بريد إلكتروني متنوعة. في ذلك الوقت، كان التعب قد بلغ منها مبلغه لدرجة أنها لم تلحظ خطأها في تهجئة اسم كوزنيتسوف، كما أنها لم تلتزم بأسلوب بلومكفيست المعتاد في الكتابة. لكنها حرصت على تسجيل الخروج واستلقت على السرير دون أن تنزع بدلتها أو حذاءها.

عندما استسلمت للنوم، حلمت بوالدها واقفاً وسط بحر من النيران، يخبرها بأنها أصبحت ضعيفة، وأنه لن يكون لها أدنى فرصة أمام كاميلا.

-٥-

١٦ أغسطس

استيقظ ميكائيل بلومكفيست في السادسة من صباح يوم الأحد.

لا بد أنها الحرارة، حدّث نفسه. كان الجو خانقًا، نذيرًا بعاصفة وشيكة، وقد تشبعت شراشفه ووسائده بالعرق. كان رأسه ينبض بالألم، وللحظة تساءل عما إذا كان مريضًا، حتى استعاد شريط أحداث الليلة الماضية. تذكر سهرته المتأخرة واحتساءه بضعة كؤوس، فتمتم بشتيمة وضوء الصباح يتسلل الآن من تحت الستائر. سحب الغطاء فوق رأسه محاولًا العودة للنوم.

لكنه ارتكب خطأ تفقد هاتفه ليرى ما إذا كانت سالاندر قد ردت على رسالته النصية. وبالطبع، لم تفعل. عاد يستغرق في التفكير بها وبحاله، وهو ما نأى به عن أي استرخاء، لينتهي به المطاف جالسًا في سريره.

كانت الطاولة بجوار السرير تئن تحت وطأة كومة من الكتب التي بدأ قراءتها ولم يكملها قط. فكر لبرهة في البقاء في السرير للقراءة، أو ربما العمل على مقاله، لكنه عدل عن ذلك وتوجه إلى المطبخ وأعد لنفسه كوبًا من "الكابتشينو"، ثم أحضر صحف الصباح وانكب على قراءة الأخبار. وبعد نصف ساعة، كان قد أجاب على عدد من رسائل

البريد الإلكتروني، وراح يتجول في شقته يرتب الفوضى هنا وهناك أثناء حركته.

في التاسعة والنصف، تلقى رسالة نصية من صوفي ميلكر، زميلته الشابة التي انتقلت حديثًا إلى الحي مع زوجها وابنيها. أرادت صوفي مناقشة فكرة قصة صحفية، ولم يكن لديه أدنى رغبة في ذلك. لكنه كان يعز صوفي، لذا اقترح أن يلتقيا في مقهى كافيبار في شارع سانت بولسغاتان خلال نصف ساعة. ردت عليه برمز "الإبهام المرفوع". لم يكن يحب الرموز التعبيرية (Emojis)؛ فاللغة بدت له كافية تمامًا للتعبير. لكنه لم يشأ أن يبدو "دقة قديمة"، فقرر الرد بصورة مبهجة صغيرة.

وبأصابعه الخرقاء، أرسل قلبًا أحمر بدلًا من وجه مبتسم. قد يُساء فهم ذلك. ولكن تبأً... فكر في سرّه، حتى هذه الرموز طالها التضخم. في هذه الأيام، لم يعد للقلب الأحمر أي معنى حقيقي، أليس كذلك؟ دلف إلى الحمام للاستحمام والحلاقة، وارتدى سروال جينز وقميصًا صيفيًا.

كانت السماء زرقاء صافية والشمس مشرقة بوهج ساطع. نزل الدرج الحجري نحو شارع هورنسغاتان، وانعطف نحو ساحة ماريتورغيت وجال ببصره في الأرجاء. تفاجأ بقلة الآثار المتبقية من احتفالات الليلة الماضية؛ حتى أعقاب السجائر لم يكن لها أثر على الممرات المكسوة بالحصى. سلات المهملات أُفرغت، وإلى اليسار، خارج فندق ريفال، كانت فتاة شابة ترتدي سترة برتقالية تلتقط القمامة من العشب بملقط طويل. تجاوزها مارًا بالتمثال وسط الساحة.

إنه التمثال الذي يمر به أكثر من غيره في المدينة كلها. ومع ذلك، لم يكن بوسعه أن يخبرك عما يمثله، شأنه شأن الكثير من الأشياء

القابعة أمام أنوفنا. لو سأله أحدهم، لربما خمن أنه القديس جورج والتنين. لكنه في الواقع الإله ثور يصرع ثعبان البحر يورمونغاند. طوال تلك السنوات لم يكلف نفسه عناء قراءة النقش، وهذه المرة أيضًا تجاوزت نظراته التمثال لتقع على أب شاب يدفع ابنه على أرجوحة في الملعب، وعلى المقاعد والعشب حيث جلس الناس بوجوه متجهة صوب الشمس. بدا صباح أحدٍ عاديًا تمامًا. ومع ذلك، استشعر أن شيئًا ما مفقود. لا بد أنها خدعة من ذاكرتي، فكر، وكان قد همّ بالمضي قدمًا منعطفًا نحو سانت بولسغاتان، حين أدرك الأمر فجأة.

ما كان مفقودًا هو شخص لم يره منذ فترة، لكنه اعتاد الجلوس على قطعة من الورق المقوى بجوار التمثال، بلا حراك، مثل راهب متأمل. رجل ببعض أصابع مبتورة لا تتجاوز كونها جذوعًا، وبوجه عتيق لوحته عوامل الجو، وسترة زرقاء مبطنة ضخمة. لفترة من الزمن، كان جزءًا من مشهد حياة بلومكفيست اليومية، وإن كان مجرد خلفية هامشية، كما يحدث غالبًا حينما يكون عمله مكثفًا.

كان غارقًا في ذاته لدرجة منعته من الرؤية حقًا. لكن ذلك المسكين كان جالسًا هناك طوال الوقت، وهو أمر لم يكن بلومكفيست واعيًا به حتى، ولم يصبح مرئيًا بوضوح – للمفارقة – إلا الآن بعد رحيله. والآن، لم يجد بلومكفيست صعوبة في استحضار تفاصيله: البقع الداكنة على وجنتيه، شفتيه المتشققتين، وذلك الوقار في هيئته الذي كان يتناقض مع المعاناة البادية على جسده. وحتى عندما سألته الطبيبة الشرعية عن الرجل الذي مات، لم يربط بين الأمرين.

كيف استطاع محوه من ذاكرته تمامًا؟ بطريقة ما، كان يعرف الإجابة.

في الماضي، كان وجود شخص مثله في الشارع أمرًا صارخًا ومؤلمًا بوضوح. لكن في هذه الأيام، لا يكاد المرء يسير خمسين مترًا دون أن يحاول أحدهم استجداء بضع كرونات منه. نساء ورجال يتسولون في كل مكان: على الأرصفة، خارج المتاجر، عند مراكز إعادة التدوير، وعلى الدرج المؤدي إلى المترو (تونلبانا). نشأت "ستوكهولم" جديدة محطمة بالكامل، وفي وقت قصير جدًا، اعتاد الجميع على المشهد. كانت تلك هي الحقيقة المحزنة.

تزايدت أعداد المتسولين في الوقت الذي توقف فيه سكان ستوكهولم عن حمل النقود السائلة، ومثل أي شخص آخر، تعلم هو أيضًا أن يشيح بوجهه. غالبًا لم يكن يشعر حتى بالذنب، بل يغمره شعور بالكآبة، ليس بالضرورة بسبب الرجل أو حتى محنة المتسولين عمومًا؛ بل ربما بسبب زوال الوقت، وكيف تتغير الحياة ونحن بالكاد نلاحظ ذلك.

كانت شاحنة متوقفة خارج مقهى كافيبار، في مساحة ضيقة جدًا جعلته يتساءل كيف ستتمكن من الخروج أبدًا. وكالعادة، كان يعرف عددًا كبيرًا جدًا من الناس داخل المقهى. لم يكن في مزاج للدردشة، لذا اكتفى بإلقاء تحيات فاترة للغاية قبل أن يطلب "إسبريسو" مزدوجًا وشطيرة توست بالفطر، وجلس إلى طاولة بجوار النافذة تطل على شارع سانت بولسغاتان وترك أفكاره تأخذه بعيدًا. بعد لحظة شعر بيد على ظهره. كانت صوفي، التي ابتسمت له بحذر. طلبت شايًا بالحليب وزجاجة مياه غازية "بيرييه"، ثم رفعت هاتفها المحمول مظهرة القلب الأحمر.

قالت:

– "مغازلة؟ أم مجرد تحفيز للموظفين؟"

– "أصابع خرقاء."

– "إجابة خاطئة."

– "في هذه الحالة، تعليمات جيدة للموارد البشرية من إريكا."

– "لا تزال خاطئة، لكنها أفضل."

سأل:

– "كيف حال العائلة؟"

– "الأم تعتقد أن العطلة الصيفية كانت طويلة أكثر من اللازم. عليك إبقاء هؤلاء الأطفال مستمتعين طوال الوقت، المشاغبون الصغار."

– "منذ متى تعيشين هنا الآن؟"

– "خمسة أشهر تقريبًا، وأنت؟"

– "أوه، منذ مائة عام."

ضحكت.

قال:

– "أعني ذلك نوعًا ما. عندما تعيشين هنا للمدة التي عشتها أنا، ينتهي بك الأمر ألا تري أي شيء بعد الآن. تمشين في نوع من الذهول."

– "حقًا؟"

– "أنا على الأقل. لكن عندما تكونين جديدة في المنطقة، تكون عيناك مفتوحتين على آخرهما على الأرجح."

– "ربما."

– "هل تذكرين متسولًا كان يرتدي سترة مبطنة كبيرة ويجلس في ماريتورغيت؟ كان لديه بقع داكنة على وجهه وفقد معظم أصابع إحدى يديه."

ابتسمت بأسى وقالت:

– "أوه نعم، أذكره جيدًا."

– "لماذا تقولينها بهذه الطريقة؟"

– "لأنه لم يكن من السهل نسيانه."

– "حسنًا، أنا نسيته."

نظرت إليه صوفي بدهشة:

– "ماذا تعني؟"

– "لا بد أنني رأيته عشر مرات على الأقل، ومع ذلك لم أسجل وجوده حقًا في عقلي. الآن فقط، وهو ميت، يبدو حيًا بالنسبة لي."

– "هل مات؟"

– "اتصلت بي الطبيبة الشرعية بالأمس."

– "لماذا أنت بالذات؟"

– "لأن رقم هاتفي كان في جيب الرجل، وربما كانت تأمل أن أستطيع المساعدة في تحديد هويته."

– "لكنك لم تستطع؟"

– "إطلاقًا."

– "ربما اعتقد أن لديه قصة ما ليخبرك بها."

– "على الأرجح."

أنهت صوفي الشاي وجلسا في صمت لبرهة.

قالت أخيرًا:

– "لقد اعترض طريق كاترين ليندلس قبل أسبوع."

– "فعل ذلك؟"

– "أصيب بحالة هيجان حين لمحها. رأيت ذلك من مسافة بعيدة، في شارع سويدنبورغسغاتان."

– "ماذا أراد منها؟"

– "ربما رآها على التلفاز."

كانت كاترين ليندلس تظهر على التلفاز بين الحين والآخر. كانت كاتبة افتتاحيات وكاتبة عمود، محافظة تشارك غالبًا في مناظرات حول القانون والنظام، أو الانضباط المدرسي ومعايير التدريس. كانت جميلة بطريقة تتسم بالأناقة الرسمية. ترتدي بدلات مفصلة ببراعة وبلوزات حريرية ذات ربطات عنق، وشعرها مصفف بعناية فائقة دومًا. كان بلومكفيست يراها جادة وتفتقر للخيال. وقد سبق لها انتقاده في صحيفة سفينسكا داغبلادت.

سأل:

– "ماذا حدث؟"

– "أمسك بذراعها وراح يصرخ."

– "يصرخ بماذا؟"

– "لا فكرة لدي. لكنه كان يلوح بعصا ما. ترك كاترين في حالة انهيار تام. حاولت تهدئتها وساعدتها في إزالة بقعة قذرة عن سترتها."

– "يا إلهي، لا بد أن ذلك كان مريعًا لها."

لم يقصد أن يبدو ساخرًا، لكن صوفي التقطت النبرة فورًا.

– "أنت لم تحبها أبدًا، أليس كذلك؟"

قال مدافعًا:

– "لا عيب فيها، أظن ذلك. إنها فقط يمينية أكثر من اللازم ومفرطة في الرسمية بالنسبة لي، هذا كل ما في الأمر."

– "الآنسة الصغيرة المثالية، صحيح؟"

– "لم أقل ذلك."

– "بلى، لكنك عنيته. هل لديك أدنى فكرة عن كمية القذارة التي تتلقاها عبر الإنترنت؟ يُنظر إليها على أنها نوع من العاهرات من الطبقة العليا، درست في مدرسة لوندسبيرغ الداخلية وتنظر باستعلاء للناس العاديين. لكن هل لديك أي فكرة عما مرت به؟"

– "لا يا صوفي، ليس لدي."

لم يستطع فهم سبب غضبها المفاجئ.

– "في هذه الحالة سأخبرك. لقد نشأت في ظروف بائسة، في مجتمع 'هيبيز[٤]' منهار في غوتنبرغ. كان والداها يتعاطيان عقاقير الهلوسة (L.S.D) والهيروين، وكان المنزل فوضى عارمة، أناس يجلسون في كل مكان غائبين عن الوعي بسبب المخدرات. بدلاتها وترتيبها كانا طريقتها في النجاة. إنها مناضلة. متمردة، بطريقة ما."

– "مثير للاهتمام."

– "بالضبط، وأعرف أنك تظنها رجعية، لكنها تفعل قدرًا هائلًا من الخير في حربها ضد الخرافات الروحانية وترهات 'العصر الجديد' التي نشأت عليها. إنها أكثر إثارة للاهتمام مما يدركه الناس بكثير."

– "هل أنتما صديقتان؟"

[٤] حركة الهيبيز: حركة سياسية نشأت في الولايات المتحدة خلال ستينيات القرن العشرين، داعيةً إلى السلام ورفض الحروب والقيم الاستهلاكية، وممجِّدة الحرية الفردية والحياة الجماعية. انتقلت أفكارها إلى أوروبا، ومنها السويد، حيث جذبت بعض الشباب لكنها اصطدمت بواقع اجتماعي واقتصادي مختلف. مع تراجع الحركة، انتهى حال كثير من أتباعها إلى الفقر، الإدمان، والتهميش، فتحولت المثالية الحالمة لدى بعضهم إلى حياة بائسة على هامش المجتمع.

– "نعم."

– "شكرًا يا صوفي. في هذه الحالة سأحاول رؤيتها بمنظور مختلف مستقبلًا."

قالت وهي تضحك باعتذار:

– "لا أصدقك."

لكن الطريقة التي تمتمت بها أوضحت أن الأمر يعني لها الكثير. سألته بعد ذلك كيف تسير الأمور مع قصته. أخبرها أنه لا يحرز تقدمًا سريعًا بالضبط. قال إن الخيط الروسي قد انقطع.

– "لكن لديك مصادر جيدة، أليس كذلك؟"

– "ما لا تعرفه مصادري، لا أعرفه أنا أيضًا."

– "ربما ينبغي عليك التوجه إلى سانت بطرسبرغ، لمعرفة المزيد عن مصنع الذباب الإلكتروني ذاك. ما اسمه مجددًا؟"

– "نيو إيجنسي هاوس؟"

– "ألم يكن نوعًا من المراكز المحورية؟"

– "يبدو ذلك طريقًا مسدودًا أيضًا."

– "هل أستمع لنسخة متشائمة بشكل غير معتاد من بلومكفيست؟"

كان بوسعه سماع ذلك هو أيضًا، لكن لم تكن لديه أي رغبة في الذهاب إلى سانت بطرسبرغ. المكان يعج بالصحفيين بالفعل، ولم يستطع أحد معرفة من يقف وراء المصنع، أو إلى أي مدى تورطت أجهزة الاستخبارات والحكومة. لقد سئم من الأمر. سئم من الأخبار عمومًا، ومن كل التطورات السياسية الكئيبة حول العالم. طلب "إسبريسو" آخر وسأل صوفي عن فكرتها للمقال.

أرادت الكتابة عن معاداة السامية في حملات التضليل الإعلامي.

لم يكن هذا جديدًا، لأن الذباب الإلكتروني لم يستطيعوا مقاومة التلميح بأن انهيار سوق الأسهم برمته كان مؤامرة يهودية. إنه نفس الهراء القبيح الذي يُجتر منذ قرون، وكُتب عنه وحُلل مرات لا تحصى من قبل، لكن صوفي كانت تملك زاوية أكثر تحديدًا. أرادت تصوير كيفية تأثير ذلك على الناس في حياتهم اليومية – تلاميذ المدارس، المعلمون، المثقفون – الأفراد العاديون الذين لم يلقوا بالًا يذكر لكونهم يهودًا حتى تلك اللحظة.

قال بلومكفيست:

– "رائع، انطلقي في هذا."

طرح عليها بضعة أسئلة وقدم اقتراحًا أو اثنين، وتحدث بشكل عام عن الكراهية في المجتمع بين الشعبويين والمتطرفين. أخبرها عن كل الأغبياء الذين تركوا رسائل مسمومة على بريده الصوتي. وبعد فترة، سئم من الاستماع لنفسه وعانق صوفي. اعتذر – دون أن يعرف حقًا لماذا – وودعها، ثم عاد للمنزل ليبدل ملابسه ويخرج للركض.

-٦-

١٦ أغسطس

كانت كيرا مستلقية في فراشها في ذلك المنزل الفسيح في منطقة "روبليوفكا" غرب موسكو، حين وصلتها رسالة مفادها أن كبير القراصنة لديها، يوري بوغدانوف، يود التحدث إليها. أجابت بأنه عليه الانتظار، ولم تكتفِ بذلك، بل قذفت فرشاة شعرها باتجاه مدبرة منزلها كاتيا، ثم سحبت اللحاف فوق رأسها. لقد كانت ليلة من جحيم؛ فذكرى تلك الجلبة في المطعم، وخطوات أختها الواثقة وظلها القابع في الظلام، لم تفارق مخيلتها. كانت تلمس كتفها بين الحين والآخر، ذلك الكتف الذي لا يزال يئن من أثر اصطدامها بالرصيف؛ لم يكن الألم الجسدي هو ما يؤرقها، بل كان ذلك "الحضور" الطاغي لأختها الذي لم تستطع الفكاك منه.

لماذا لا ينتهي هذا الكابوس؟

لقد عملت بجد وحققت الكثير، لكن الماضي كان يعود دوماً، مرة تلو أخرى، وفي كل مرة يرتدي لباساً جديداً. لم يكن في طفولتها أي شيء جميل، ومع ذلك كانت هناك أجزاء أحبتها بطريقتها الخاصة، والآن تُنتزع منها تلك الأجزاء أيضاً، واحداً تلو الآخر.

منذ صغرها، كانت كاميلا تتوق للرحيل بعيداً، بعيداً عن شارع "لونداتان"، وعن حياتها مع أختها وأمها، مخلفة وراءها الفقر

والضعف. علمت منذ نعومة أظفارها أنها تستحق حياة أفضل. كانت تحمل في ذاكرتها طيفاً بعيداً ليوم قضته في بهو متجر "إن كي" الشهير؛ رأت امرأة ترتدي معطفاً من الفرو وبنطالاً منقوشاً وهي تضحك، كانت فاتنة لدرجة جعلتها تبدو وكأنها تنتمي لعالم آخر تماماً. اقتربت كاميلا منها حتى وقفت بجوار ساقيها، وفي تلك اللحظة وصلت صديقة للمرأة لا تقل عنها أناقة وقبلتها على وجنتيها.

قالت الصديقة:

– "يا إلهي، أهذه ابنتك؟"

التفتت المرأة الأولى ونظرت للأسفل، لتقع عيناها على كاميلا لأول مرة. أجابت بالإنجليزية مع ابتسامة:

– "أتمنى لو كانت كذلك."

لم تفهم كاميلا الكلمات، لكنها أدركت من النبرة أنها كانت جملة إطراء. وبينما كانت تبتعد، سمعت المرأة تتابع حديثها بالسويدية:

– "إنها طفلة جميلة بحق، ومن المؤسف أن والدتها لا تلبسها بشكل أفضل."

تركت تلك الكلمات جرحاً غائراً في نفسها. نظرت بحدة إلى اجنيتا –حتى في ذلك الحين كانت تنادي أمها اجنيتا– التي كانت تتأمل واجهات عرض زينة الميلاد مع ليزبيث، وأدركت حينها حجم الهوة السحيقة بينهما. كانت هاتان المرأتان (الغريبتان) تتألقان وكأن الحياة سُخرت لمتعتهما وحدهما، بينما كانت اجنيتا منحنية الظهر، شاحبة الوجه، ترتدي ثياباً بالية وقبيحة. اشتعل بداخلها شعور حارق بالظلم، وفكرت:

لقد وُجدت في المكان الخطأ.

تكررت مثل هذه اللحظات في طفولتها؛ أوقات شعرت فيها بأنها مبجلة وملعونة في آن واحد. مبجلة لأن الناس كانوا يصفونها بالجميلة كأميرة صغيرة، وملعونة لأنها جزء من عائلة تعيش على الهامش، في الظلال.

صحيح أنها بدأت تسرق بعض الأشياء لتتمكن من شراء الملابس ومشابك الشعر؛ لم يكن الأمر كبيراً، مجرد عملات معدنية في الغالب، ثم بعض الأوراق النقدية، وبروش قديم لجدتها، والمزهرية الروسية التي كانت على الرف. لكن الصحيح أيضاً أنها اتُّهمت بأكثر من ذلك بكثير، وصار جلياً لها أن اجنيتا وليزبيث تتحالفان ضدها. شعرت مراراً بأنها غريبة في منزلها، كأنها طفلة مبدلة وُضعت تحت الرقابة. ولم تتحسن الأمور حين كان والدها زالا يأتي للزيارة ويقذف بها جانباً كأنها جرو منبوذ.

في أوقات كهذه، كانت تشعر أنها الشخص الأكثر وحدة في العالم. كانت تحلم بالهروب والعثور على شخص آخر يرعاها، شخص يستحقها أكثر. لكن ببطء، بدأ الضوء يتسلل إلى حياتها، ربما كان بريقاً زائفاً، لكنه كان كل ما تملك. بدأ الأمر بملاحظتها لأشياء صغيرة: ساعة يد ذهبية، رزم من المال في جيوب السراويل، نبرة آمرة عبر الهاتف؛ إشارات ضئيلة دلت على أن هناك ما هو أكثر في زالا من مجرد العنف. وتدريجياً، بدأت تلمح تلك الثقة بالنفس، والسلطة، والطبيعة القوية والمتمرسة؛ تلك القوة التي كان يشع بها.

والأهم من ذلك كله، كانت الطريقة التي بدأ ينظر بها إليها. كان يطيل النظر إليها من رأسها حتى أخمص قدميها، وأحياناً كان يبتسم، ولم يكن بوسعها مقاومة تلك الابتسامة. لم يكن يبتسم عادةً، مما جعل

لتلك اللحظات قوة هائلة، وكأن كشافاً ضوئياً قد سُلط عليها وحدها.

وفي مرحلة ما، توقفت عن الخوف من زياراته، بل بدأت تتخيل أنه هو من سينتزعها من ذلك المكان ليأخذها إلى عالم أكثر ثراءً وجمالاً.

ذات مساء، حين كانت في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها، وكانت اجنيتا وليزبيث خارج المنزل، كان والدها في المطبخ يحتسي الفودكا. فانضمت إلي والدها زالا، الذي مسح على شعرها وقدم لها مشروباً مزجه بالعصير.

قال لها:

– "هذا يسمى سكرو درايفر."

ثم حكى لها زالا كيف نشأ في دار للأيتام في "سفيردلوفسك" بجبال الأورال، حيث كان يُضرب كل يوم، لكنه شق طريقه نحو القوة والثراء، وصار له أصدقاء في كل أنحاء العالم. كانت قصته تبدو كأنها من قصص الخيال، ثم وضع إصبعه على شفتيه وهمس لها بأن هذا سر بينهما. ارتجفت من الحماسة، وحينها فقط استجمعت شجاعتها لتخبره كم كانت اجنيتا وليزبيث لئيمتين معها.

قال لها:

– "إنهما يشعران بالغيرة؛ فالجميع يحسدون من هم بمثل تميزنا أنا وأنتِ."

ووعدها بأنه سيحرص على أن يكونوا أكثر لطفاً معها. بعد ذلك، تغيرت الحياة في المنزل تماماً.

ومع زيارات زالا، دخل العالم الكبير الفسيح إلى حياتها أيضاً. لم تحبه فقط لأنه كان منقذها، بل لأن شيئاً لم يكن يزعزع ثباته؛ لا الرجال الرسميون ذوو المعاطف الرمادية الذين كانوا يزورونه أحياناً،

ولا حتى رجال الشرطة عريضو الأكتاف الذين طرقوا الباب ذات صباح. لكنها هي وحدها كانت تملك التأثير عليه.

كانت تستطيع جعله رقيقاً ومتفهماً، ولفترة طويلة لم تدرك الثمن الذي كانت تدفعه، ولا أنها كانت تخدع نفسها. رأت في ذلك الوقت ببساطة أنه أجمل أيام حياتها؛ فأخيراً هناك من يهتم بها، وكانت سعيدة. صار والدها يزورها أكثر فأكثر، ويغدق عليها الهدايا والمال في الخفاء.

لكن في اللحظة التي بدا فيها أن شيئاً جديداً وعظيماً على وشك أن يصبح ملكاً لها، انتزعت ليزبيث كل شيء. ومنذ ذلك الحين، ناصبت أختها العداء بكل جوارحها، بكراهية صارت هي السمة الأبرز والأكثر ديمومة في شخصيتها. والآن، أرادت تدمير ليزبيث، ولن تتراجع لمجرد أن أختها تسبقها بخطوة.

بعد مطر الليل، كانت الشمس تلفح المكان خلف الستائر. سمعت صوت آلات قص العشب وأصواتاً بعيدة، فأغمضت عينيها وفكرت في تلك الخطوات الليلية التي كانت تقترب من غرفتهما في شارع لونداتان. ثم قبضت يدها اليمنى بقوة، وأزاحت اللحاف عنها ونهضت.

سأستعيد زمام المبادرة.

***

كان يوري بوغدانوف ينتظر منذ ساعة، لكنه لم يكن عاطلاً عن العمل؛ بل كان يكدّ وحاسوبه المحمول على ركبتيه، والآن فقط ألقى نظرة قلقة نحو الشرفة والحديقة الكبيرة بالخارج. لم يكن لديه أخبار سارة ليرويها، وكان يتوقع التوبيخ ومزيداً من العمل الشاق، ومع ذلك، كان يشعر بالقوة والحماس، وقد استنفر شبكته بالكامل. رن هاتفه؛ إنه

كوزنيتسوف مجدداً. كوزنيتسوف الأحمق الهستيري اللعين. رفض المكالمة.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة وعشر دقائق، وكان البستانيون يتناولون غداءً مبكراً بالخارج. كان الوقت يداهمه، فنظر إلى حذائه. اليوم، صار بوغدانوف ثرياً يرتدي بدلات فُصّلت خصيصاً له وساعات باهظة الثمن، لكن أثر حياة الشوارع لم يفارقه تماماً؛ فقد كان مدمناً سابقاً نشأ في الأزقة، وترك ذلك أثراً في هيئته وحركاته لا يمحوه الزمن.

كان وجهه زاوياً مليئاً بالندوب، وكان طويلاً ونحيفاً، بشفتين ضيقتين ووشوم بدائية على ذراعيه. ورغم أن كيرا لم تكن لترغب في التباهي به في المجتمعات الراقية، إلا أنه ظل لا يُقدر بثمن بالنسبة لها، وهذا ما منحه القوة الآن حين سمع وقع كعب حذائها يتردد على الأرضية الرخامية. ها هي ذي، بجمالها الأثيري المعتاد، ترتدي بدلة زرقاء فاتحة وقميصاً أحمر مغلق الأزرار حتى الأعلى، وجلست في المقعد المجاور له.

قالت:

– "حسناً، ماذا لديك؟"

– "مشاكل."

– "أسمعني إياها."

– "تلك المرأة..."

– "ليزبيث سالاندر."

– "ليس لدينا تأكيد بعد، ولكن نعم، لا بد أنها هي، خاصة بالنظر إلى دقة الهجوم وتطوره. كوزنيتسوف مهووس بأنظمته المعلوماتية

لدرجة أنه كلف خبراء بفحصها من كل الزوايا الممكنة، وقد تلقى ضمانات بأن اختراقها مستحيل."

– "من الواضح أنهم كانوا على خطأ."

– "بالفعل، ولا نزال نجهل الطريقة التي اتبعتها، لكن العملية نفسها –بمجرد دخولها– كانت بسيطة نسبياً. لقد اتصلت بتطبيق Spotify، وبالسماعات التي جُهزت للأمسية، وعزفت تلك الأغنية."

– "لكن الناس كادوا يفقدون عقولهم بسببها."

– "كان هناك جهاز "إيكولايزر" أيضاً، وللأسف كان رقمياً وبرمجياً، ومتصلاً بالـ WiFi."

– "استخدم كلمات أستطيع فهمها."

– "جهاز "الإيكولايزر" يتحكم بمستوى الصوت ويضبط الترددات، وليزبيث –لنفترض أنها هي– ربطت هاتفها بذلك الجهاز وأحدثت أسوأ أنواع الصدمات الصوتية. كان الأمر مروعاً بحق، لدرجة أن الصوت كان يُحس في القلب. يبدو أن هذا هو السبب في أن الكثيرين كانوا يقبضون على صدورهم؛ لم يدركوا أن الصوت هو ما يسبب لهم ذلك الألم."

– "إذاً، كان هدفها إثارة الفوضى."

– "أرادت إرسال رسالة قبل كل شيء. الأغنية تسمى (نقتل العالم بالأكاذيب)، لفرقة (Crazy sisters)، فرقة "الهارد روك" الاحتجاجية تلك."

– "أتقصد أولئك العاهرات ذوات الشعر الأحمر؟"

قال بوغدانوف:

– "هنّ بعينهنّ."

دون أن يعترف بأنه يرى تلك الفرقة رائعة حقاً. وتابع:

– "الأغنية كُتبت عن جرائم قتل المثليين في الشيشان، لكنها في الواقع لا تتحدث عن القتلة أنفسهم، ولا حتى عن آلة الدولة، بل عن الشخص الذي أدار حملة الكراهية على وسائل التواصل الاجتماعي والتي أدت إلى ذلك العنف."

– "بمعنى آخر، تتحدث عن كوزنيتسوف نفسه؟"

– "بالضبط، ولكن المشكلة هي..."

– "...أن لا أحد في الخارج يفترض به معرفة ذلك."

– "بل لا يفترض بأحد أن يعرف أصلاً أنه يقف خلف وكالات المعلومات تلك."

– "وكيف عرفت ليزبيث إذاً؟"

– "نحن نحقق في الأمر، ونحاول طمأنة جميع المتورطين. كوزنيتسوف في حالة جنون؛ إنه محطم ومرعوب تماماً."

– "وكيف ذلك؟ ليست هذه المرة الأولى التي يوقع فيها بين الناس."

– "بالتأكيد، لكن الأمور خرجت عن السيطرة في الشيشان؛ فقد دُفن الناس أحياء."

قالت كيرا بحدة:

– "هذه مشكلة كوزنيتسوف اللعينة وحده."

– "صحيح، لكن ما يقلقني هو..."

– "ماذا؟"

– "قد لا يكون هدف سالاندر الرئيسي هو كوزنيتسوف على الإطلاق. لا يمكننا استبعاد معرفتها بتورطنا نحن في وكالات

المعلومات تلك. ألا تعتقدين أن انتقامها قد يكون موجهًا إليكِ أنتِ، لا إليه؟"

– "كان علينا قتلها منذ زمن بعيد."

– "هناك شيء آخر لم أذكره بعد."

– "ما هو؟"

أدرك بوغدانوف أنه لا فائدة من التأجيل أكثر.

قال:

– "بعد اصطدامها بكِ ليلة أمس، تعثرت. أدى الاصطدام إلى فقدانها توازنها ومالت للأمام—هكذا بدا الأمر على الأقل. اضطرت لسند نفسها بيدها على سيارة الليموزين الخاصة بكِ، فوق العجلة الخلفية مباشرة. في البداية ظننت أن الحركة بدت طبيعية، لكنني أعدت مشاهدة لقطات المراقبة مراراً وتكراراً، وتوصلت إلى استنتاج مفاده أن ذلك لم يكن سقوطاً على الإطلاق. فبدلاً من تثبيت نفسها، كانت في الواقع تضغط بشيء ما على جسم السيارة. ها هو ذا."

ورفع صندوقاً مستطيلاً صغيراً.

– "ما هذا؟"

– "جهاز تتبع G.P.S. لحق بكِ حتى وصولك إلى هنا."

– "إذاً هي تعرف الآن أين أعيش؟"

خرجت الكلمات من بين أسنان كاميلا المطبقة، وشعرت بطعم الدم في فمها.

أجاب بوغدانوف:

– "أخشى ذلك."

بصقت الكلمة قائلة:

– "أيها الحمقى."

تابع بوغدانوف بتوتر متزايد:

– "لقد اتخذنا كل الاحتياطات. شددنا الحراسة، وبالأخص على النظام المعلوماتي بالطبع."

– "إذاً نحن الآن في وضع الدفاع، أهذا ما تقوله؟"

– "لا، لا، ليس الأمر كذلك. أنا فقط أطلعكِ على الحقائق."

– "تأكد فقط من العثور عليها."

– "للأسف ليس الأمر بهذه السهولة. لقد فحصنا جميع كاميرات المراقبة في المنطقة، ولم تظهر في أي مكان، ولم نتمكن من تعقبها عبر أي هواتف أو حواسيب."

– "ابحث في الفنادق إذاً. أبلغ عنها كمفقودة. اقلب الدنيا رأساً على عقب، ابحث في كل ما تراه وتسمعه."

– "نحن نعمل على ذلك، وأنا واثق بأننا سنعثر عليها."

– "إياك أن تستهين بتلك الساحرة."

– "لا أستهين بها للحظة واحدة، لكنني أعتقد أنها أهدرت فرصتها؛ فكفة الامتياز مالت لصالحنا الآن."

– "كيف يمكنك أن تضمن هذا وليزبيث تعرف أين أعيش؟"

تردد بوغدانوف، باحثاً عن الكلمات المناسبة.

– "لقد قلتِ إنكِ ظننتِ أنها ستقتلكِ، أليس كذلك؟"

– "كنت متأكدة من ذلك. لكنها لا بد تخطط لشيء أسوأ."

– "أعتقد أنكِ مخطئة في هذا."

– "ماذا تقصد؟"

– "أعتقد أنها أرادت حقاً إطلاق النار عليكِ. لا أرى سبباً آخر لهجومها. نعم، لقد أرعبت كوزنيتسوف، ولكن بخلاف ذلك، ماذا جنت؟ لا شيء. كل ما فعلته هو أنها كشفت نفسها."

– "إذاً، ما الذي تلمح إليه..."

نظرت نحو الحديقة، وتساءلت أين ذهب البستانيون اللعينون.

– "ألمح إلى أنها ترددت ولم تستطع فعلها. أنها لا تملك تلك القوة في داخلها. أنها ليست بالقوة التي كنا نظنها."

قالت كيرا:

– "هذه فكرة تبعث على الارتياح."

– "أعتقد أنها الحقيقة، وإلا فلا يوجد تفسير آخر لما حدث."

شعرت فجأة بتحسن طفيف.

وقالت:

– "وأفترض أن لديها أشخاصاً تهتم لأمرهم."

– "لديها صديقاتها."

– "ولديها بلومكفيست. وقبل كل شيء، لديها ميكائيل بلومكفيست."

-٧-

١٦ أغسطس

كان بلومكفيست في مطعم غوندولن بمنطقة سلوسن، يتناول العشاء مع دراغان أرمانسكي، مؤسس شركة «ميلتون للأمن». وبدأ يشعر بشيء من الندم على ذلك الآن؛ فقد كان ظهره وساقاه يؤلمانه بعد جولة الركض في أورستافيكن، وفوق ذلك، كان يشعر بملل شديد. كان أرمانسكي يسترسل في حديث رتيب حول فرص تطوير أعماله في الشرق، أو ربما كان الغرب، وفي غمرة ذلك كله، حشر طرفة عن حصان تمكن من التسلل إلى سرادق في ديورغاردن:

قال أرمانسكي:

— "... ثم دفع أولئك الحمقى البيانو الكبير إلى حوض السباحة."

لم يكن بلومكفيست واثقًا مما إذا كان لذلك علاقة بالحصان، لكنه لم يكن ينصت باهتمام كافٍ على أية حال. في أقصى المكان، كانت تجلس مجموعة من الزملاء من صحيفة «داغنز نيهيتر»، بينهم ميا سيدرلوند التي جمعته بها علاقة غرامية تعيسة، وهناك أيضًا مارتن نيستروم، الممثل في المسرح الملكي الدرامي، الذي لم يظهر بصورة مشرفة في تحقيق مجلة «ميلينيوم» حول استغلال السلطة في عالم المسرح. لم يبدُ على أي منهم السرور لرؤيته، فأبقى بلومكفيست عينيه على الطاولة، يرتشف نبيذه، ويفكر في ليزبيث سالاندر.

كانت هي القاسم المشترك الوحيد بينه وبين أرمانسكي. كان أرمانسكي رب العمل الوحيد الذي عملت لديه قط، ولم يستطع حقًا تجاوز أمرها، وهو أمر ربما لم يكن مستغربًا. فمنذ زمن بعيد، منحها أرمانسكي وظيفة كنوع من مشاريع الرعاية الاجتماعية، ليتضح لاحقًا أنها ألمع زميلة حظي بها على الإطلاق. وربما كان واقعًا في حبها لفترة ما.

قال بلومكفيست:

— "يبدو أمرًا جامحًا."

— "يمكنك قول ذلك مجددًا، والبيانو..."

قاطعه قائلًا:

— "إذًا لم تكن لديك أدنى فكرة أنت أيضًا أنها ستنتقل؟"

تمنع أرمانسكي عن تغيير الموضوع، وربما ساءه أن بلومكفيست لم يبدِ استمتاعًا أكبر بقصته. ففي النهاية، بيانو كبير في حوض سباحة... لكنه سرعان ما اكتسى بالجدية.

بدأ قائلًا:

— "في الواقع، ما كان يجدر بي إخبارك بهذا."

فكر بلومكفيست أن هذه بداية واعدة، فمال بجسده إلى الأمام.

***

كانت ليزبيث قد أخذت قيلولة واستحمت، وجلست أمام حاسوبها في غرفتها بالفندق في كوبنهاغن حين أرسل لها بليج — أقرب معارفها في مجموعة «هاكر ريبابليك» — رسالة مشفرة. كان مجرد سؤال روتيني قصير، لكنه مع ذلك أزعجها.

كتب: <ما الأخبار؟>

كل شيء يسير نحو الهاوية، فكرت في سرها.

أجابت:

<لم أعد في موسكو>

<لمَ لا؟>

<لم أتمكن من تنفيذ ما خططت له>

<ما الذي لم تتمكني من تنفيذه؟>

راودتها رغبة في الخروج إلى المدينة ونسيان كل شيء. كتبت:

<إنهاء الأمر برمته>

<ماذا؟>

وداعًا يا بليج، فكرت. وكتبت:

<لا شيء>

<لماذا لم تتمكني من إنهاء "اللا شيء"؟>

تمتمت: "لا شأن لك بهذا".

<لأنني تذكرت شيئًا ما>

<ماذا؟>

خطوات، فكرت، صوت أبيها الهامس وترددها هي، عجزها عن الفهم الكامل، ثم خيال أختها وهي تنهض من السرير وتتسلل خارج الغرفة مع زالا، ذلك الخنزير.

أجابت:

<اللعنة>

<أي نوع من اللعنات؟>

شعرت برغبة في قذف الحاسوب نحو الجدار. كتبت:

<ما هي جهات الاتصال التي نملكها في موسكو؟>

>أنا قلق عليك يا واسب. انسي أمر روسيا. اغربي من هناك<

أرحني من هذا، فكرت.

>ما هي جهات الاتصال التي نملكها في موسكو؟<

>لدينا جهات جيدة<

>من يستطيع تثبيت جهاز I.M.S.I. لاقط للإشارة في مكان صعب؟<

اعتراض اتصالات المحمول لعب أطفال، لكن من الذي يعرفه هناك في الموقع؟

كتب: >كاتيا فليب، على سبيل المثال<

>من تكون؟<

>مجنونة نوعًا ما. كانت عضوًا في مجموعة شالتاي بولتاي<

مما يعني أنها لن تكون رخيصة.

>هل يمكن الوثوق بها؟<

>يعتمد الأمر على المبلغ الذي أنتِ مستعدة لدفعه<

>أرسل لي تفاصيلها<

أغلقت حاسوبها ونهضت لترتدي ملابسها. قررت أن البدلة السوداء ستفي بالغرض لهذا اليوم أيضًا، رغم أن مطر الأمس قد جعلها مجعدة، وهناك بقعة رمادية على الكم الأيمن. كما أن النوم فيها لم يحسن من مظهرها. ولكن تباً، ولم تكن لديها نية لوضع مساحيق تجميل أيضًا. مررت أصابعها في شعرها، وغادرت الغرفة واستقلت المصعد إلى الطابق الأرضي، حيث طلبت الجعة في البار.

كانت مساحات ساحة كونغنز نيتورف تمتد في الخارج، مع بضع سحب داكنة في السماء. لكن سالاندر لم تلحظ شيئًا من ذلك. ظلت

عالقة في ذكرى يدها التي ترددت في جادة تفيرسكوي، وفي شريط الماضي الذي استمر يُعاد في رأسها. كانت غافلة عن كل شيء آخر، حتى باغتها صوت بالقرب من أذنها يسأل فجأة:

– "هل أنتِ بخير؟"

أثار ذلك حنقها. ما شأن أي أحد بذلك؟ لم ترفع بصرها حتى، ثم رأت أن رسالة نصية وصلتها من بلومكفيست.

***

مال أرمانسكي بجسده هامسًا بنبرة تآمرية:

– "في الربيع اتصلت بي ليزبيث لتطلب مني التحدث إلى اتحاد ملاك الشقق، والترتيب لتثبيت كاميرات مراقبة خارج مدخل مبناها في فيسكارغاتان. اعتقدتُ أنها فكرة جيدة."

– "إذًا أنت من رتب الأمر."

– "حسنًا، إنه ليس بالشيء الذي يمكنك إنجازه بلمحة بصر يا ميكائيل. تحتاج إذنًا من مجلس المقاطعة وأمورًا أخرى. لكن كل شيء تم هذه المرة. اضطررت للإشارة إلى أن مستوى التهديد كان كبيرًا، وقدم كبير المفتشين بوبلانسكي تقريرًا."

– "نرفع له القبعة."

– "بذلنا قصارى جهدنا، وفي بداية يوليو أرسلت رجلين لتثبيت جهازي Netgear يتم التحكم بهما عن بعد. توخينا أقصى درجات الحذر في التشفير، صدقني. لم يكن مسموحًا لأحد غيرنا بمشاهدة التسجيلات، وأخبرت فريقي في مركز المراقبة أن يبقوا أعينهم على الشاشات. كنت قلقًا على ليزبيث. خفت أن يأتوا للنيل منها."

– "كلنا كنا كذلك."

– "لكني لم أتوقع أن يثبت قلقي بهذه السرعة. بعد ستة أيام، وفي الواحدة والنصف صباحًا، التقطت الميكروفونات التي ركبناها صوت دراجات نارية، وكان ستين غرانلوند، موظف النوبة الليلية لدينا، يهمّ بإعادة توجيه الكاميرات حين سبقه شخص آخر إليها."

– "أوبس."

– "بالضبط. لم يملك ستين الوقت حتى للتفكير في الأمر. كان الدراجون رجلين بملابس جلدية من نادي سفافيلسيو للدراجات النارية."

– "يا للمصيبة."

– "تمامًا. لم يعد عنوان ليزبيث سريًا للغاية، ونادي سفافيلسيو لا يحضر عادة ومعه القهوة والكعك."

– "ليس أسلوبهم."

– "لحسن الحظ، استدار الرجلان وغادرا حين لمحا الكاميرات، وبالطبع اتصلنا بالشرطة فورًا، وتمكنوا من تحديد هوية الرجلين – كان أحدهما يدعى كوفيك، أتذكر ذلك. بيتر كوفيك. لكن ذلك لم يحل المشكلة بالطبع، لذا اتصلت بـ ليزبيث وطلبت مقابلتها فورًا. وافقت، وإن كان على مضض. جاءت إلى مكتبي، وبدت كصورة مثالية لزوجة الابن المطيعة."

– "تبدو مبالغة بعض الشيء."

– "أعني، وفقًا لمعاييرها هي. اختفت الحلقات المعدنية، وقُص شعرها قصيرًا، وبدت محترمة، فقلت في نفسي: يا إلهي، لقد اشتقت لهذه الشخصية الغريبة. لم تطاوعني نفسي على تقريعها – فقد أدركت بوضوح أنها اخترقت كاميراتنا – لذا اكتفيت بتحذيرها لتتوخى الحذر.

قلت لها: «إنهم يسعون خلفك». فقالت ببساطة: «لطالما سعى الناس خلفي»، وهذا جعلني أستشيط غضبًا. قلت لها إنها بحاجة لطلب المساعدة، والحماية: «وإلا سيقتلونك». ولكن حينها حدث شيء أخافني."

– "ماذا؟"

– "نظرت إلى الأرض وقالت: «ليس طالما بقيت سابقة لهم بخطوة»."

– "ماذا قصدت بذلك؟"

– "هذا ما سألته لنفسي، ثم عادت إلي قصة والدها."

– "بمعنى؟"

– "بمعنى أنها دافعت عن نفسها في تلك المرة بالهجوم، وانتابني شعور بأنها تخطط لشيء مماثل الآن: أن تبادر هي بالانتقام أولًا، وهذا أفزعني جدًا يا ميكائيل. رأيت عينيها، وحينها لم يعد يهم كم تبدو مهندمة ومرتبة. ما رأيته كان قاتلًا. كانت عيناها حالكتي السواد."

– "أعتقد أنك تبالغ. ليزبيث لا تخاطر دون داع. إنها عقلانية عادة."

– "هي عقلانية بالفعل... بطريقتها المجنونة الخاصة."

فكر بلومكفيست فيما قالته له سالاندر في كفارنن: أنها ستكون الصياد لا الطريدة.

سأل:

– "إذًا، ماذا حدث؟"

– "لا شيء. انصرفت ببساطة، ولم أسمع منها كلمة منذ ذلك الحين. كل يوم أتوقع أن أقرأ في مكان ما أن مقر نادي سفافيلسيو قد

نُسف عن بكرة أبيه، أو أن أختها وُجدت محروقة ومتفحمة داخل سيارة في موسكو."

– "كاميلا تحظى بحماية المافيا الروسية. ليزبيث لن تشن حربًا عليهم أبدًا."

– "هل تصدق ذلك حقًا؟"

– "لا أعرف. لكني واثق أنها أبدًا لن..."

– "ماذا؟"

– "لا شيء."

قالها وعض على شفته. شعر بالسذاجة والغباء.

تابع أرمانسكي:

– "الأمر لا ينتهي إلا عندما ينتهي يا ميكائيل. هذا كان الشعور الذي وصلني. لا ليزبيث ولا كاميلا ستستسلم حتى ترقد إحداهما ميتة."

– "أعتقد أنك تهول الأمر."

– "أتعتقد ذلك؟"

– "آمل ذلك."

صحح بلومكفيست نفسه، وسكب لهما المزيد من النبيذ واستأذن للحظة.

أمسك هاتفه وأرسل رسالة نصية إلى سالاندر.

ولدهشته، تلقى ردًا على الفور.

جاء الرد: <هدئ أعصابك يا بلومكفيست. أنا في إجازة. ابتعد عن المشاكل. ولن أفعل أي حماقة>

***

ربما كانت كلمة "إجازة" تعبيرًا قويًا بعض الشيء. لكن مفهوم السعادة لدى سالاندر كان مرتبطًا بتخفيف الألم، وبينما كانت تتجرع الجعة في بار فندق دانغليتير، كان هذا بالضبط ما شعرت به: نوع من التحرر، وكأنها بدأت للتو تدرك كم كانت متوترة طوال الصيف — كيف دفعها البحث عن أختها إلى حافة الجنون. لم يكن الأمر أنها استرخت حقًا؛ فذكريات طفولتها لا تزال تدور وتدور في دماغها. لكن مجال رؤيتها بدا وكأنه يتسع، بل بدأت تشعر بنوع من التوق، ليس بالضرورة لشيء محدد، بل لمجرد الابتعاد عن كل شيء. وكان ذلك كافيًا ليمنحها شعورًا بالحرية.

— "هل أنتِ بخير؟"

سمعت السؤال مرة أخرى فوق ضجيج البار، فالتفتت لتجد نفسها تنظر مباشرة إلى امرأة شابة تقف بجوارها.

قالت:

— "لماذا تسألين؟"

كانت المرأة في الثلاثين من عمرها ربما، سمراء ذات ملامح حادة، بعينين مسحوبتين وشعر أسود طويل ومجعد. كانت ترتدي الجينز مع بلوزة زرقاء داكنة وحذاء عالي الرقبة والكعب. كان هناك شيء قاسٍ وفاحص في مظهرها. وكانت ذراعها اليمنى مضمدة.

قالت المرأة:

— "لست متأكدة. إنها مجرد عبارة تقال عادة."

— "أظن ذلك."

— "ولكن إن لم تمانعي صراحتي، فإنك تبدين في حالة مزرية تمامًا."

سمعت سالاندر هذا مرات عديدة في حياتها. كان الناس يقتربون منها ويقولون إنها تبدو عابسة، أو غاضبة، أو بالضبط هكذا — في حالة مزرية — ولطالما كرهت ذلك. لكن لسبب ما، تقبلت الأمر الآن.

— "أفترض أنني كنت كذلك."

— "لكن الأمر أفضل الآن؟"

— "حسنًا، إنه مختلف، على أية حال."

— "أنا بولينا، بالمناسبة، وأنا نفسي لست في أفضل حالاتي."

انتظرت بولينا مولر أن تعرّف المرأة الشابة عن نفسها. لكنها لم تقل شيئًا، ولم تومئ حتى برأسها. لكنها أيضًا لم تطردها. كانت بولينا قد لاحظتها بسبب طريقة مشيها، وكأنها لا تكترث للعالم ولا تعبأ أبدًا بالتودد لأحد. كان هناك شيء جذاب بغرابة في ذلك، وفكرت بولينا أنها ربما كانت تمشي بتلك الطريقة هي الأخرى ذات يوم، قبل أن يأخذ توماس تلك الخطوات مبتعدًا عنها. لقد دُمرت حياتها ببطء شديد، وبالتدريج، لدرجة أنها بالكاد لاحظت ذلك. ورغم أن الانتقال إلى كوبنهاغن جعلها تدرك حجم الضرر، إلا أن وجود هذه المرأة جعلها تشعر به بحدة أكبر. مجرد الوقوف بجوارها جعل بولينا تدرك افتقارها للحرية. لقد انجذبت لتلك الهالة من الاستقلال التام التي تبثها هذه المرأة.

سألتها بتردد:

— "هل أنتِ من المنطقة؟"

قالت ليزبيث:

— "لا."

تابعت بولينا:

– "لقد انتقلنا للتو من ميونخ. عُين زوجي رئيسًا لفرع إسكندنافيا في شركة أنغلر للأدوية."

مجرد قولها ذلك جعلها تشعر بأنها محترمة تقريبًا.

– "فهمت."

– "لكني هربت منه هذا المساء."

قالت ليزبيث:

– "حسنًا."

– "كنت صحفية في مجلة جيو، كما تعلمين، المجلة العلمية، لكني استقلت حين انتقلنا إلى هنا."

قالت ليزبيث:

– "فهمت."

– "كنت أكتب عن الطب والبيولوجيا في الغالب."

– "حسنًا."

– "كنت أستمتع بذلك حقًا. لكن زوجي حصل على هذه الوظيفة، وسارت الأمور كما سارت. عملتُ بشكل حر قليلًا."

ظلت تجيب على أسئلة لم تُطرح أبدًا، وليزبيث تكتفي بقول "فهمت"، أو "حسنًا"، حتى سألت أخيرًا عما تشربه بولينا. "أي شيء، مهما كان"، أجابت بولينا، فحصلت على ويسكي، تولامور ديو مع الثلج، وابتسامة، أو على الأقل طيف ابتسامة. كانت ليزبيث ترتدي بدلة سوداء تحتاج للتنظيف والكي، وقميصًا أسود، ولم تضع أي مساحيق تجميل على الإطلاق. بدت منهكة، وكأنها لم تنم جيدًا منذ زمن طويل، وكان في عينيها قوة مظلمة ومقلقة. حاولت بولينا إضحاكها.

لم يكن نجاحًا باهرًا. باستثناء أن الفتاة الشابة اقتربت أكثر، وأدركت بولينا أنها أحبت ذلك. ربما كان هذا هو السبب في أنها نظرت بتوتر نحو الشارع، وخوفها من ظهور توماس يزداد الآن، وعندها اقترحت ليزبيث أن تذهبا لتناول مشروب آخر في غرفتها بدلًا من ذلك.

قالت: "لا، لا، مستحيل، لا مجال لذلك. زوجي لن يعجبه ذلك أبدًا". ثم تبادلتا القبلات وصعدتا إلى الغرفة ومارستا الحب، ولم تستطع أن تتذكر أنها اختبرت شيئًا كهذا من قبل، شيئًا مفعمًا بالغضب والرغبة في آن واحد. ثم أخبرت ليزبيث عن توماس وعن المأساة الكاملة في وطنها، وبدت الفتاة الشابة أمامها وكأنها قادرة على القتل. لكن بولينا لم تستطع التمييز عما إذا كانت تريد تدمير توماس أم العالم بأسره.

-٨-

٢٠ أغسطس

لم يظهر بلومكفيست في مقر المجلة خلال الأسبوع التالي، ولم يمنح قصته عن "مصانع الذباب الإلكتروني" أي قدر من وقته. انشغل بترتيب شقته، وخرج لممارسة رياضة الجري بضع مرات، وقرأ روايتين لـ إليزابيث ستروت، وتناول العشاء مع شقيقته أنيكا جانيني؛ وكان دافعه الأساسي للقائها هو عملها كمحامية لـ سالاندر. لكن أنيكا لم يكن لديها الكثير لترويه، باستثناء أن سالاندر تواصلت معها لتستفسر عن محامين ألمان متخصصين في قانون الأسرة.

قضى جلّ وقته في تبديد الأيام فحسب؛ فتارة يمضي ساعات في التسكع والكسل، وتارة أخرى يغرق في محادثات هاتفية طويلة مع صديقته القديمة وزميلته إريكا بيرغر، يتناقشان في آخر مستجدات قضية طلاقها. كان في تلك المحادثات نوع من التطهير النفسي الغريب، وكأنهما مراهقان عادا مجدداً للثرثرة حول شؤون حبهما. لكن الواقع كان يشي بأن الأمر يمثل مخاضاً عسيراً لـ إريكا، إذ اتصلت به مجدداً يوم الخميس بنبرة مغايرة تماماً؛ أرادت الحديث عن العمل، وانتهى بهما الأمر إلى شجار حاد. أخبرته بلهجة قاسية أنه يبالغ في انغماسه حول ذاته، ولم تتردد في تقريعه بكلمات لاذعة.

قال لها:

– "الأمر ليس كذلك يا ريكي، لكنني منهك تماماً، وأحتاج إلى عطلة."

أجابت إريكا:

– "لكنك قلت إن القصة شبه منتهية. أرسلها إلينا وسنتولى صياغتها."

– "ليست سوى كومة من الهراء القديم."

– "لا أصدق ذلك للحظة واحدة."

– "للأسف، هذه هي الحقيقة. هل قرأتِ تحقيق صحيفة واشنطن بوست؟"

– "بالطبع لا."

– "لقد تفوقوا عليّ في كل تفصيلة."

– "لا يشترط أن تكون كل مادة صحفية خبطة مدوية يا ميكائيل. مجرد رؤيتك الخاصة للأمور لها قيمة كبرى. لا يمكنك أن تكون دائماً صاحب الأخبار العاجلة، ومن الجنون أن تظن ذلك."

– "لكن المقال ليس جيداً بما يكفي، والأسلوب يبدو باهتاً ومرهقاً. فلنلغِ الفكرة."

– "لن نلغي شيئاً يا ميكائيل. ولكن حسناً... سنؤجله للعدد القادم. أظن أن لديّ ما يكفي من المواد لهذا العدد على أي حال."

– "أنا واثق من ذلك."

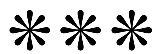
– "وماذا ستفعل بدلاً من العمل؟"

– "سأقضي بضعة أيام في سندهامن."

لم تكن تلك أكثر محادثاتهم بهجة، ومع ذلك شعر وكأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله. أخرج حقيبة ملابسه من الخزانة وشرع في

حزمها بتمهل، كأنه يتردد في الذهاب إلى هناك أيضاً. بين الحين والآخر، كانت سالاندر تتسلل إلى أفكاره، فلعن عجزه عن إخراجها من رأسه. ومهما وعدته بألا ترتكب أي حماقة، ظل القلق عليها ينهشه، ممزوجاً بشيء من الحنق؛ فقد كان غاضباً منها لأنها تلتزم الصمت وتتحدث بكلمات ملغزة. أراد معرفة المزيد عن التهديدات وكاميرات المراقبة، وعن كاميلا، وعصابة "سفافيلسيو" للدراجات النارية.

أراد أن يقلب كل حجر ليبحث عن وسيلة للمساعدة، مستحضراً كلمات الغموض التي قالتها في حانة "كفارنين". لا يزال صدى خطواتها وهي تتلاشى في المساء عند ساحة "ميدبورجاربلاتسن" يتردد في أذنيه. توقف عن حزم حقيبته، وخطا نحو المطبخ، وبينما كان يجرع "الزبادي" مباشرة من العبوة الكرتونية، رن هاتفه. الرقم غير معروف، وبما أنه في "إجازة" من العمل، فكر أنه لا ضير من الإجابة، بل وقد يتقمص نبرة مرحة: أهلاً، كم هو رائع حقاً أن تتصل لتلقي عليّ مزيداً من التقريع والشتائم.



عادت الطبيبة الشرعية الدكتورة فريدريكا نيمان إلى منزلها في "ترانجوند" بضواحي ستوكهولم، لتجد بناتها غارقات في هواتفهن على أريكة غرفة المعيشة. لم يثر ذلك دهشتها، تماماً كما لم يثر دهشتها بقاء البحيرة في مكانها خلف النافذة. كانت الفتيات يمضين كل لحظة فراغ في التحديق في تلك الشاشات، يراقبن اليوتيوب أو ما شابه. أرادت أن تصرخ فيهن ليضعن الهواتف جانباً ويقرأن كتاباً، أو يعزفن على البيانو، أو يتوقفن عن التهرب من تدريبات كرة السلة، أو على الأقل يخرجن للاستمتاع بضوء الشمس.

لكن طاقتها كانت مستنفدة؛ فقد كان يوماً عصيباً. كانت قد أنهت لتوها حديثاً مع شرطي أحمق، يظن —كحال معظم الحمقى— أنه عبقري. أخبرها أنه بحث في الأمر، مما يعني ببساطة أنه قرأ مقال "ويكيبيديا" وظن نفسه خبيراً في البوذية. لعل ذلك المعتوه يجلس الآن في مكان ما وهو يشعر بـ "التنوير". كان أسلوبه ينم عن استهتار وغباء لدرجة أنها لم تكلف نفسها عناء الرد. وجدت لنفسها مكاناً بجانب بناتها على أريكة التلفاز الرمادية، آملة أن تلقي إحداهن التحية، لكن أحداً لم يفعل. غير أن جوزفين أجابت على مضض حين سألتها فريدريكا عما تشاهده.

قالت:

— "شيء ما."

شيء ما.

أرادت فريدريكا أن تصرخ، لكنها بدلاً من ذلك نهضت وتوجهت للمطبخ ومسحت الطاولة بآلية. تصفحت "فيسبوك" على هاتفها لتثبت لنفسها أنها قادرة على مجاراة فتياتها، ثم غرقت في أحلام اليقظة بالرحيل بعيداً. بحثت عن بعض الأشياء على جوجل، وبطريقة ما لا تدركها، انتهى بها المطاف في موقع لعطلات اليونان.

كانت تتأمل صورة لرجل عجوز يجلس في مقهى على الشاطئ حين لمعت فكرة في رأسها، فقفز اسم ميكائيل بلومكفيست إلى ذهنها على الفور. كانت تتردد في الاتصال به مجدداً؛ فآخر ما تتمناه هو أن تبدو كمرأة مملة تلاحق الصحفي المشهور، لكنه كان الشخص الوحيد الذي قد يبدي اهتماماً بالأمر. لذا، طلبت رقمه في النهاية.

قال لها بلومكفيست:

– "أهلاً بكِ، يسعدني جداً اتصالكِ!"

كان صوته مفعماً بالمرح لدرجة أنها شعرت أن هذا الاتصال هو أجمل ما حدث لها طوال اليوم، رغم أن ذلك لا يعكس الكثير.

قالت فريدريكا:

– "كنت أفكر..."

قاطعها قائلاً:

– "أتعلمين؟ لقد تذكرت للتو أنني رأيت ذلك المتسول بالفعل، أو لا بد أنه هو."

– "حقاً؟"

– "كل التفاصيل تتطابق؛ سترة "الداون"، البقع على وجنتيه، وأصابعه المبتورة. لا يمكن أن يكون شخصاً آخر."

– "وأين رأيته؟"

– "في ساحة "ماريا تورجيت". من المدهش حقاً أنني نسيته، أكاد لا أصدق. كان يجلس ساكناً تماماً فوق قطعة كرتون بجانب التمثال في الساحة. لا بد أنني مررت به عشر أو عشرين مرة."

انتقلت إليه عدوى حماسه.

– "هذا مذهل. ما كان انطباعك عنه؟"

– "حسناً... لست متأكداً تماماً. لم أعره اهتماماً كبيراً، لكنني أتذكره كشخص منكسر، ولكنه معتدّ بنفسه في آن واحد؛ تماماً كما وصفتِه حين رأيتِه ميتاً. كان يجلس بظهر مستقيم ورأس مرفوع، يشبه زعماء قبائل "السيوه" في الأفلام. لا أدري كيف كان ينجح في البقاء على تلك الوضعية لساعات طوال."

– "هل بدا تحت تأثير الكحول أو المخدرات؟"

– "لا أستطيع الجزم، ربما كان كذلك. لكن لو كان غائباً عن الوعي لما استطاع الحفاظ على وضعية جلوسه تلك طويلاً. لماذا تسألين؟"

– "لأنني حصلت هذا الصباح على نتائج فحص السموم؛ كان في جسده ٢,٥ ميكروجرام من عقار "زوبيكلون" لكل جرام من دم الوريد الفخذي، وهذه كمية هائلة."

– "وما هو الـ "زوبيكلون"؟"

– "مادة توجد في بعض الحبوب المنومة، مثل "إيموفان". أستطيع القول إنه تناول عشرين قرصاً على الأقل، ممزوجة بالكحول، وفوق ذلك كمية كبيرة من "ديكستروبروبوكسيفين"، وهو مسكن ألم أفيوني."

– "وماذا يقول رجال الشرطة؟"

– "جرعة زائدة أو انتحار."

– "وعلى أي أساس؟"

سخرت بمرارة قائلة:

– "على أساس أن ذلك هو الأسهل بالنسبة لهم على ما أظن. يبدو أن المسؤول عن التحقيق يركز جهده على ألا يبذل أي مجهود."

– "وما اسمه؟"

– "الضابط المسؤول؟ هانس فاستي."

– "يا للهول... رائع حقاً!"

– "هل تعرفه؟"

يعرف بلومكفيست المدعو فاستي حق المعرفة؛ فهو الرجل الذي أقنع نفسه يوماً ما بأن سالاندر تنتمي لعصابة "هارد روك" شيطانية من المثليات، وبناءً على لا شيء سوى كراهيته التقليدية للنساء، اتهمها

بالقتل. كان ببلانسكي يقول دوماً إن فاستي هو "العقاب" الذي نزل بجهاز الشرطة جزاء خطاياهم.

قال بلومكفيست:

– "للأسف، أعرفه جيداً."

– "لقد وصف المتوفى بـ "المعتوه"."

– "هذا هو أسلوب فاستي تماماً."

– "عندما تسلم نتائج الفحوصات، قال فوراً إن المعتوه كان مولعاً بحبوبه المنومة أكثر من اللازم."

– "لكنكِ لا تبدين مقتنعة؟"

– "الجرعة الزائدة قد تكون التفسير الأبسط، لكني أجد غريباً أن تكون المادة هي "زوبيكلون". يمكن إدمانها بالطبع، لكن الإدمان عادة ما يتعلق بمواد الـ "بنزوديازيبينات". وحين أشرت إلى ذلك وقلت إن الرجل ربما كان بوذياً، اشتعلت غطرسة شرطيكم."

– "بأي طريقة؟"

– "اتصل بي بعد ساعات ليدعي أنه أجرى بحثاً، والذي تبين أنه مجرد قراءة لمقال "ويكيبيديا" عن الانتحار. يزعم المقال أن البوذيين الذين يرون أنفسهم "متنورين" لديهم الحق في إنهاء حياتهم، وبدا أنه يجد ذلك مضحكاً، حيث قال إن الرجل ربما كان يجلس تحت شجرة وهو يشعر بالتنوير."

– "يا للمهزلة!"

– "لقد استشطت غضباً، لكني آثرت الصمت؛ فلم أكن في حالة تسمح لي بالشجار، ليس اليوم على الأقل. ولكن حين عدت للمنزل وشعرت بهذا الإحباط العام، أدركت أن الأمر لا يستقيم عقلياً."

– "بأي معنى؟"

– "لا أنفك أفكر في جثته. لم أرَ قط مثل هذه الأدلة على القسوة والمعاناة. كل شيء فيه، كل عضلة وعصب، ينطق بحياة كانت صراعاً مريراً. قد يبدو هذا نوعاً من علم النفس السطحي، لكني أجد صعوبة بالغة في تصديق أن شخصاً كهذا يتوقف فجأة عن المقاومة ويحشو جوفه بالحبوب. لا أظن أن بإمكاننا استبعاد وجود شخص مسؤول عن موته."

انتفض بلومكفيست في مكانه.

– "عليكِ إخبارهم بذلك بالطبع. يحتاج التحقيق لمزيد من الكوادر، لا مجرد هانس فاستي."

– "سأفعل. لكني أردت إخباركِ على أي حال، كنوع من الضمان في حال تقاعست الشرطة عن أداء عملها."

– "أنا ممتن لذلك."

قال ذلك وهو يفكر في كاترين ليندااس، التي أخبرته عنها صوفي. تذكر بدلاتها المهندمة وتلك العلامة على سترتها، والمجتمع "الهيبي" الذي نشأت فيه. تساءل إن كان عليه ذكر اسمها، فربما تملك ما تدلي به للشرطة، لكنه قرر تجنيبها مضايقات هانس فاستي في الوقت الحالي، وقال بدلاً من ذلك:

– "وما زلتِ لا تعرفين هويته؟"

– "لا، لا يوجد أي تطابق في أي مكان. لم يبلغ أحد عن فقدان شخص بهذه المواصفات المميزة. لكني لم أكن أتوقع ذلك أصلاً. ما أملكه الآن هو تحليل تسلسل DNA من المختبر الجنائي الوطني، وهو

تحليل أولي فقط. سأطلب تحليلاً لـ DNA الميتوكوندريا وكروموسوم Y، وآمل أن يوصلني ذلك لنتيجة."

– "أنا واثق أن هناك الكثيرين غيري سيتذكرونه."

– "ماذا تقصد؟"

– "كان شخصاً لا يمكن تجاهله. لقد كنت غارقاً في ذاتي فحسب هذا الصيف. على الشرطة أن تستجوب الناس حول ساحة "ماريا تورجيت"، فلا بد أن الكثيرين رأوه."

– "سأمرر هذا المقترح."

بدأ الفضول يداعب بلومكفيست.

– "أتعلمين؟ إذا كان يتناول تلك الأقراص حقاً، فمن المستبعد أن يكون قد حصل عليها بوصفة طبية. لم يكن يبدو كشخص يحدد موعداً مع طبيب نفسي، وأنا أعرف من الخبرة أن هناك سوقاً سوداء لمثل هذه الأدوية. لا بد أن الشرطة تملك مخبرين في تلك الأوساط."

ساد الصمت لثانية أو ثانيتين قبل أن تقول نيمان:

– "يا للّهول!"

– "عفواً؟"

– "لقد كنت حمقاء تماماً."

– "أجد صعوبة في تصديق ذلك."

– "بل كنت كذلك. ولكن اسمع... أنا سعيدة لأنك تتذكره؛ فهذا يعني لي الكثير حقاً."

نظر بلومكفيست إلى حقيبته نصف المحزومة، ووجد نفسه لم يعد يرغب في الذهاب إلى "سندهامن" على الإطلاق.

رد بلومكفيست بكلمات تقديرية، لكن فريدريكا لم تسمعها تقريباً. أنهت المكالمة ولم تكد تلاحظ ابنتها أماندا التي كانت تقف بجانبها تسأل عما سيتناولونه على العشاء. لعلها اعتذرت عن ضيق خلقها قبل قليل، وأخبرتهما ببساطة أن يطلبا طعاماً جاهزاً.

قالت الفتاتان بذهول:

– "ماذا؟"

– "اطلبا ما تريدان؛ بيتزا، طعام هندي، تايلاندي، بطاطس مقلية، حلوى... أي شيء."

نظرت الفتاتان إليها وكأنها فقدت صوابها. دخلت إلى مكتبها وأغلقت الباب، وأرسلت بريداً إلكترونياً للمختبر الجنائي تطلب منهم إجراء تحليل مقطعي للشعر على الفور، وهو أمر كان يجدر بها فعله منذ البداية.

لن يظهر هذا التحليل فقط كمية الـ "زوبيكلون" والـ "ديكستروبروبوكسيفين" في دم الرجل وقت وفاته فحسب، بل سيعطيها المستويات لكل أسبوع بالعودة لعدة أشهر مضت. بعبارة أخرى، ستعرف إن كان يتناول هذه الأدوية لفترة طويلة أم أنها كانت مرة واحدة فقط. قد يصبح هذا قطعة هامة في لغز القضية، وكل ذلك جعلها تنسى بناتها، وألم ظهرها، وقلة نومها، وذلك الشعور بأن الحياة قد تكون بلا معنى في النهاية. أدهشها ذلك؛ فهي تقضي حياتها في التحقيق في الوفيات المشبوهة، ومن النادر أن تنخرط عاطفياً بهذا الشكل مؤخراً. لكن هذه الشخصية سحرتها، ولعلها كانت تأمل أن تكون ميتته درامية؛ وكأن جسده المنهك يستحق قصة أكثر عمقاً، لدرجة أنها أمضت

ساعات طويلة تتأمل صور الجثة، تلاحظ تفاصيل جديدة في كل مرة.

كانت تردد لنفسها بين الحين والآخر:

ما الذي مررت به أيها العجوز؟

أي اختبارات جهنمية كان عليك أن تقاسيها؟

***

جلس بلومكفيست أمام حاسوبه وبحث عن كاترين لينداس. تبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً، وتحمل شهادة الماجستير في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة ستوكهولم، وقد رسخت مكانتها كمعلقة وكاتبة محافظة. تدير "بودكاست" ناجحاً وتكتب مقالات في صحف "سفينسكا داغبلادت"، و"أكسيس"، و"فوكوس"، وأيضاً مجلة "يورنالستن".

كانت قد ضغطت لجعل التسول غير قانوني، وغالباً ما تناقش مخاطر الاعتماد على الرعاية الاجتماعية ونواقص النظام التعليمي السويدي. وبالإضافة لكونها مؤيدة للملكية ومدافعة عن قوة الدفاع الوطني، كانت تؤمن بشدة بضرورة الحفاظ على ترابط الأسرة، رغم أنها لا تبدو وكأنها تملك أسرة خاصة بها. تدعي أنها نسوية، لكن النسويات غالباً ما ينتقدنها. كانت تواجه وابلاً من الكراهية على الإنترنت من اليمين واليسار على حد سواء، ولديها سلسلة تعليقات طويلة ومثيرة للقلق في منتدى "فلاش باك". كانت تردد دائماً: "لا بد من وجود معايير؛ فالمعايير والمسؤوليات هي ما يسمح لنا بالنمو."

كانت تكتب باستمرار عن كراهيتها للميوعة، والخرافات، والقناعات الدينية، رغم أنها كانت أكثر حذراً في النقطة الأخيرة. وفي مقال لها في صحيفة "سفينسكا داغبلادت" عن "الصحافة البنّاءة" —تلك

القصص التي لا تكتفي بوصف المشكلات بل تقترح حلولاً لها— قالت: "يزعم ميكائيل بلومكفيست أنه يريد محاربة الشعبويين، لكنه يخدم مصالحهم برؤيته المتشائمة للمجتمع."

قالت إن ما يزعجها هو أن الصحفيين الشباب يرون فيه قدوة يحتذى بها، وكتبت أن لديه نزعة لرؤية الناس كضحايا، وأن وضعه الافتراضي هو الوقوف ضد المؤسسات التجارية؛ ورأت أنه يجدر به بذل جهد أكبر لتحديد الحلول، لا المشكلات فقط. كان هذا تقريباً ما توقعه منها.

لقد واجه انتقادات أسوأ من ذلك بلا شك، وربما كان لديها بعض الحق في نقاط معينة. لكن بطريقة ما، كانت تثير قلقه. لم يستطع منع نفسه من الشعور بأن نظرة واحدة منها ستكون كافية لكشف أنه لم يغسل الأطباق، أو لم يستحم، أو لم يغلق سحاب بنطاله، أو أنه يشرب الزبادي من العبوة مباشرة. كان هناك شيء يدين المرء في تلك النظرة، مسحة باردة فيها، رغم أنها لم تزد جمالها الصارم إلا ألقاً.

ومع ذلك، لم يستطع التوقف عن التفكير في مواجهتها مع المتسول—ملكة الجليد والرجل ذو الأسمال البالية. في النهاية، عثر على رقمها واتصل بها. لم تجب، ولعل ذلك كان خيراً؛ فليس هناك ما يقال، ولا توجد قصة هنا، وكان عليه أن يتوجه إلى "سندهامن" الآن قبل فوات الأوان. أخذ بعض القمصان من الخزانة وسترة في حال قرر الذهاب لمطعم "سيجلار هوتيل". حينها رن هاتفه؛ كانت كاترين لينداس، وبدا صوتها صارماً تماماً كما كان مظهرها في الصور.

بدأت حديثها بحدة:

— "ماذا تريد؟"

فكر في قول شيء لطيف عن مقالها الأخير ليرطب الأجواء، لكنه لم يجد في نفسه القدرة على ذلك، فسألها ببساطة إن كان قد اتصل في وقت غير مناسب.

قالت:

– "أنا مشغولة."

– "حسناً، فلنتحدث لاحقاً إذاً."

– "يمكننا الحديث لاحقاً إذا أخبرتني بموضوع الأمر."

كاد يغالب رغبته في قول: أنا أكتب مقالاً لاذعاً عنكِ. لكنه قال:

– "أخبرتني زميلتي صوفي ميلكر أنكِ تعرضتِ مؤخراً لمشادة غير سارة مع رجل مشرد في ساحة "ماريا تورجيت"."

– "أنا أتعرض للكثير من المشادات غير السارة؛ فهذا جزء من عملي."

يا إلهي، هكذا فكر.

– "أنا فضولي فقط، وأود معرفة ما قاله ذلك الرجل."

– "أياً كان ما قاله، فقد كان مجرد هراء غير مفهوم."

ألقى نظرة أخرى على صورها على الشاشة.

– "هل لا زلتِ في العمل؟"

– "لماذا تسأل؟"

– "فكرت أنني قد أمرّ عليكِ للحظة، لنتحدث في الأمر. مكتبكِ في شارع "ماستر ميكائيل"، أليس كذلك؟"

بالتفكير في الأمر لاحقاً، لم يستطع تخيل ما الذي دفعه لاقتراح أمر كهذا، لكنه علم أنه إذا أراد معرفة أي شيء، فلن يحدث ذلك عبر الهاتف؛ فكأن هناك أسلاكاً شائكة ممتدة على طول الخط.

قالت:

– "حسناً، ولكن ليكن اللقاء سريعاً. بعد ساعة من الآن."

***

كان صدى مرور الترام فوق قضبانه مسموعاً من فندق في ساحة "ناميستي ريبوبليكي" في براغ. كانت سالاندر تفرط في الشرب مجدداً، وكانت كالعادة مسمرة أمام حاسوبها خلف شاشات "قفص فاراداي" الخاص بها. نعم، مرت عليها لحظات من الراحة والنسيان، لكنها كانت دائماً تأتي بمساعدة الكحول، وبعدها يعود الغضب والإحباط لينهشاها.

كان نوع من الجنون يطبق عليها؛ فالماضي يدور في رأسها كجهاز طرد مركزي. هذه ليست حياة، كانت تحدث نفسها مراراً، لا يمكن الاستمرار على هذا النحو. كان عليها التحرك؛ فلا فائدة من مجرد الانتظار والتنصت لخطوات الأقدام في الردهات والشوارع، أو الهروب المستمر. لذا حاولت استعادة زمام المبادرة، لكن الأمر لم يكن هيناً.

كانت الشخصية التي تحمل لقب "كاتيا فليب" –والتي أوصى بها بليج– تُعرف بكونها محترفة شرسة. في البداية لم تشعر سالاندر بذلك؛ فقد استمرت تلك المرأة في طلب المزيد من المال، زاعمة أن لا أحد يجرؤ على العبث مع ذلك الفرع من المافيا، خاصة الآن بعد تورط إيفان غالينوف.

كان هناك حديث لا ينتهي عن غالينوف، وعن كوزنيتسوف أيضاً، وعن أعمال انتقامية مشهورة. وبعد محادثات مطولة على "الشبكة المظلمة" (Dark Web)، أقنعت سالاندر المدعوة "فليب" بإخفاء

جهاز "IMSI-catcher[٥]" في شجيرة "رودودندرون" على بعد مائة متر من منزل كاميلا في "روبليوفكا"، ومن خلاله التقطت أرقام تتبع —أرقام IMEI— من حركة الهواتف المحمولة في الداخل. كان هذا شيئاً على الأقل، لكنه لم يمنحها أي ضمانات، ولا أي قسط من الراحة من الماضي الذي لا يزال ينبض ويصرخ في أعماقها. غالباً ما كانت تجلس كما هي الآن، تقتات على وجبات سريعة من خدمة الغرف، وتفرغ "الميني بار" من الويسكي والفودكا، وتحدق في منزل كاميلا عبر رابط قمر صناعي قامت باختراقه.

كان هذا بحد ذاته جنوناً محضاً؛ لم تكن تمارس أي رياضة أو حتى تخرج من غرفتها. وفقط عندما سمعت طرقاً على الباب، نهضت لتفتح لـ بولينا، التي بدأت فوراً بالثرثرة في موضوع ما. لم تسمع سالاندر كلمة واحدة، حتى صرخت بولينا:

— "ماذا حدث؟"

— "لاشيء."

— "مظهركِ يبدو..."

قاطعتها سالاندر:

— "...محطماً تماماً؟"

— "شيئاً من هذا القبيل. هل هناك ما يمكنني فعله؟"

---

[٥] *IMSI-catcher* هو جهاز تنصّت ومراقبة يُحاكي برج شبكة الهاتف المحمول، فيجبر الهواتف القريبة على الاتصال به، ما يتيح تحديد المواقع، اعتراض المكالمات والرسائل، وجمع بيانات المشتركين يُستخدم أمنياً واستخباراتياً، وقد يُساء استخدامه للتجسس غير المشروع.

ابعدي عني، هكذا فكرت، ابعدي فحسب. لكنها بدلاً من ذلك ذهبت واستلقت على السرير، وتساءلت إن كانت بولينا ستجرؤ على الانضمام إليها.

***

صافح بلومكفيست كاترين ليندااس. كانت قبضتها قوية، لكنها كانت تتجنب التقاء عينيها بعينيه. قميصها الأبيض مغلق الأزرار حتى الرقبة، وترتدي تنورة وسترة زرقاء فاتحة مع شال منقوش وحذاء أسود بـكعب عالٍ. شعرها مربوط في "كعكة"، ورغم أن ملابسها كانت ضيقة وتبرز قوامها، إلا أنها بدت رصينة كمعلمة في مدرسة إنجليزية. كانت على ما يبدو الشخص الوحيد المتبقي في المكتب. على لوحة الإعلانات فوق مكتبها، كانت هناك صورة لها على خشبة المسرح مع كريستين لاجارد، مديرة صندوق النقد الدولي؛ بدتا وكأنهما أم وابنتها.

قال مشيراً إلى الصورة:

– "مثيرة للإعجاب."

لم تعلق، بل طلبت منه الجلوس على الأريكة واستقرت هي في مقعد مقابل له، واضعة ساقاً فوق الأخرى بظهر مستقيم. وبطريقة عبثية، شعر وكأن ملكة غير راضية تمنح إذناً بالمقابلة لأحد رعاياها.

قال:

– "أشكركِ على استقبالي."

– "لا داعي للشكر."

رمقته بنظرة ريبة، فشعر برغبة في سؤالها لماذا تكرهه إلى هذا الحد.

قال:

– "أنا لا أجري تحقيقاً عنكِ، إن كان هذا يريحكِ."

– "يمكنك كتابة ما تشاء عني."

– "سأضع ذلك في اعتباري."

ابتسم، لكنها لم تبادله الابتسامة.

تابع قائلاً:

– "في الواقع، أنا في عطلة."

– "يا لك من محظوظ."

شعر برغبة غير مبررة في استفزازها.

– "أنا فضولي لسماع قصة ذلك المتسول. ماذا قال لكِ؟ عثروا عليه ميتاً قبل أيام وكان رقم هاتفي في جيبه."

– "حسناً..."

كان بإمكانكِ على الأقل إظهار أي رد فعل تجاه حقيقة موت الرجل، هكذا فكر.

– "ربما كان لديه شيء يريد إخباري به، لذا أنا مهتم بمعرفة ما قاله لكِ."

– "ليس الكثير. كل ما فعله هو الصراخ والتلويح بنوع من العصا وأرعبني بشدة."

– "وماذا كان يصرخ؟"

– "الهراء المعتاد."

– "وماذا تسمين "الهراء المعتاد"؟"

– "أن يوهانس فورسيل شخص مريب بشكل عام."

– "هل صرخ بذلك حقاً؟"

– "حسناً، كان الأمر يتعلق بـ فورسيل، لكن جُلّ همي كان الهرب منه. كان يشد ذراعي وكان عنيفاً ومقززاً، لذا ستعذرني لأنني لم أبقَ لأستمع بصبر لنظريات المؤامرة التي يروج لها."

قال:

– "أتفهم ذلك، حقاً أتفهم."

ولم يستطع منع نفسه من الشعور بخيبة الأمل.

لقد سئم من كل الأكاذيب التي تُثار حول وزير الدفاع؛ فقد كان من المواضيع المفضلة لـ "الذباب الإلكتروني"، وكانت القصص تزداد خيالاً يوماً بعد يوم. بدا الأمر وكأنه مسألة وقت فقط قبل أن يزعموا أن فورسيل يدير مطعم بيتزا للمتحرشين بالأطفال. ويعود ذلك بلا شك جزئياً لموقفه الصارم ضد المتطرفين اليمينيين وكارهي الأجانب، ومخاوفه المعلنة بشأن سياسات روسيا العدوانية المتزايدة —خاصة توغلات غواصاتهم المستمرة في بحر البلطيق— ولكن أيضاً بسبب شخصيته؛ فقد كان متعلماً وغنياً، عداء ماراثون وسباحاً عبر القنال، وكان يظهر أحياناً بنبرة متعالية، وعُرف عنه قدرته على إثارة حنق الناس.

لكن بلومكفيست كان يحبه. بين الحين والآخر كانا يلتقيان في "سندهامن" ويتبادلان المجاملات. ومن منطلق الواجب المهني، تتبع الشائعات التي زعمت أن فورسيل جنى مبالغ طائلة من انهيار البورصة، بل وربما كان أحد العوامل المسببة له، لكنه لم يجد ذرة دليل تدعم تلك الادعاءات. كانت أصول فورسيل تُدار بشكل مستقل ولم تكن هناك أي معاملات قبل أو أثناء الانهيار. علاوة على ذلك، فإن هبوط السوق لم يعزز موقفه السياسي بأي حال من الأحوال. ومع ذلك، فقد

صار الآن الرجل الأكثر كراهية في الحكومة. وكان إنجازه الرئيسي هو الحصول على تمويل متزايد لجهاز المخابرات والأمن العسكري (Must)، ووكالة الطوارئ المدنية السويدية (M.S.B.)؛ لذا لم يكن الأمر مستغرباً في ظل هذه الظروف.

قالت كاترين:

– "لا أطيق كل هذه الأكاذيب التي يتم ترويجها."

رد قائلاً:

– "وأنا أيضاً لا أحبها كثيراً."

– "إذاً، يمكننا الاتفاق على شيء واحد على الأقل."

– "أقرّ بأن التحدث لرجل يصرخ ويلوح بعصا ليس أمراً سهلاً."

– "هذا كرم منك."

– "ولكن أحياناً يستحق الأمر الإنصات حتى لو بدا الكلام غير منطقي؛ فربما تكون هناك ذرة حقيقة وسط كل ذلك الهراء."

– "وهل تعلمني الآن كيف أؤدي عملي؟"

كانت نبرتها مثيرة للأعصاب.

قال لها:

– "أتعلمين شيئاً؟ قد يصاب المرء بالجنون حين لا يصدقه أحد، أو لا يستمع إليه أحد."

– "هل أنت جاد؟"

– "أن يتم تجاهلك عاماً بعد عام؟ أوه نعم، هذا كفيل بتحطيمك."

قالت بسخرية:

– "هل صار الرجل مشرداً ومصاباً بالذهان لأن أناساً مثلي لم يستمعوا إليه؟"

– "لم أقصد ذلك."

– "هكذا بدا الأمر."

– "في هذه الحالة، أعتذر."

– "شكراً لك."

حاول فتح موضوع آخر قائلاً:

– "أنتِ نفسكِ لم تمرّي بأوقات سهلة، حسبما سمعت."

– "وما علاقة ذلك بموضوعنا؟"

– "لاشيء، أظن ذلك."

– "حسناً إذاً، شكراً لمرورك."

تمتم بلومكفيست بصوت خافت:

– "يا إلهي، ما خطبكِ؟"

نهضت من مكانها وقالت:

– "ما خطبي أنا؟"

لثوانٍ معدودة، تبادلا نظرات حادة.

تملكه شعور عبثي وكأنهما في مبارزة، أو كأنهما ملاكمان في حلبة، ودون أن يدرك تماماً كيف حدث ذلك، وجدا نفسيهما قريبين جداً من بعضهما البعض. شعر بأنفاسها ورأى عينيها تتقدان وصدرها يعلو ويهبط. حين أمالت رأسها جانباً، قبلها، وللحظة ظن أنه ارتكب حماقة لا تغتفر. لكنها بادلته القبلة، ولثوانٍ حدق كل منهما في الآخر بذهول، كأن كلاهما لا يستوعب ما جرى.

ثم وضعت يدها حول عنقه وجذبته إليها، وفي غضون لحظات خرج الأمر عن السيطرة تماماً. وجدا نفسيهما على الأريكة ثم على الأرض، وفي وسط ذلك الجنون، أدرك بلومكفيست أنه رغب فيها منذ اللحظة الأولى التي رأى فيها صورتها على الإنترنت.

-٩-

٢٤ أغسطس

كانت فريدريكا نيمان تجلس في المختبر بالمجلس الوطني للطب الشرعي، تفكر في ابنتيها وتتساءل أين يكمن الخطأ.

قالت لزميلها ماتياس هولمستروم:

– "لا أفهم الأمر."

– "ما الذي لا تفهمينه؟"

– "كيف يمكنني أن أكون غاضبة جدًا من جوزفين وأماندا. أشعر وكأنني على وشك الانفجار."

– "ما الذي يثير غضبك إلى هذا الحد؟"

– "إنهما متغطرستان للغاية. لا تكلفان نفسيهما عناء إلقاء التحية حتى."

– "يا إلهي يا فريدريكا، إنهما مراهقتان. هذا أمر طبيعي. ألا تذكرين كيف كنتِ في مثل هذا العمر؟"

تذكرت نيمان ذلك جيدًا. كانت طفلة مثالية؛ متفوقة في المدرسة، بارعة في العزف على الناي، وفي الكرة الطائرة، والغناء الكورالي.

وكانت بارعة أيضًا في التهذيب وحسن السلوك. كانت كتلة كبيرة من الابتسام، تردد "حاضر يا أمي" و"بالتأكيد يا أبي" مثل جندي صغير

مطيع ومبتهج. لا بد أنها كانت لا تُطاق بطريقتها الخاصة. ولكن بحق السماء... ألا تجيب حتى عندما يوجه إليك الكلام؟

لم تستطع استيعاب ذلك، ولم تملك إلا أن تظل في مزاج سيء طوال الوقت، تفقد أعصابها وتصرخ في الفتاتين مساءً. كانت متعبة للغاية ببساطة. كان يتحتم عليها أن تحظى ببعض النوم، وبعض السلام، وبالطبع كان الحل البديهي هو أن تصف لنفسها بعض الحبوب المنومة. ولِمَ لا تكون مادة خاضعة للرقابة طالما أنها بصدد ذلك؟ بما أنها كانت مراهقة مثالية إلى هذا الحد، فمن المؤكد أنه يحق لها أن تخرج عن النص قليلًا الآن، وحسنًا... لم لا تخلط بعض النبيذ الأحمر مع المسكنات أيضًا؟ ضحكت في سرها، وحين قوبلت بضع كلمات مقتضبة وجهتها لـ ماتياس بابتسامة دافئة منه، شعرت برغبة في الصراخ في وجهه هو الآخر.

ثم عادت للتفكير في المتسول. كانت قضيته هي الوحيدة في العمل التي تشغل بالها حقًا، وقررت تجاهل حقيقة أن الشرطة لم تكترث للأمر. كانت قد طلبت إجراء فحص التأريخ بالكربون ــ ١٤ (Carbon-١٤) للأسنان كمسألة ذات أولوية قصوى. سيظهر هذا عمر الرجل بهامش خطأ لا يتجاوز العامين، بينما سيكشف فحص الكربون ــ ١٣ (Carbon-١٣) عن عاداته الغذائية في طفولته، حين كانت أسنانه تتشكل، ويشير إلى محتوى السترونتيوم والأكسجين فيها.

كما قامت بمقارنة نتائج الحمض النووي (DNA) الجسدي مع قاعدة بيانات internationalgenome.org، وأشارت النتائج إلى أن الرجل ينحدر بجميع الاحتمالات من الأجزاء الجنوبية لآسيا الوسطى. كانت لا تزال تنتظر نتائج تحليل قطاعات الشعر. في أسوأ الحالات، قد

يستغرق فحص عينة الشعر شهورًا، وكانت تضغط بكل قوتها على المختبر الجنائي. قررت الاتصال بسكرتيرتها الطبية مرة أخرى.

قالت:

– "غونيلا، آسفة للإلحاح عليكِ."

– "لا تقلقي، أنتِ أقل من يلح عليّ من الجميع. مؤخرًا فقط رفعتِ وتيرة نشاطك."

– "نتائج تحليل الشعر، هل وصلت بعد؟"

– "للرجل مجهول الهوية؟"

– "هو بعينه."

– "سأتحقق من المكتب المركزي."

نقرت نيمان بأصابعها على الطاولة ونظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار. كانت العاشرة وعشرون دقيقة صباحًا، وبدأ الشوق يراودها لتناول الغداء.

قالت غونيلا بعد صمت قصير:

– "يا للعجب، هذه مفاجأة. لقد أسرعوا في العمل. النتائج وصلت بالفعل. سأحضرها إليك."

– "فقط أخبريني ماذا تقول."

– "تقول... انتظري لحظة."

فوجئت نيمان بنفاد صبرها.

– "يبدو أنه كان ذا شعر طويل. لدينا القطاعات الثلاثة كلها، وهي... كلها سلبية. لا أثر للمواد الأفيونية (Opiates). أو البنزوديازيبينات."

– "إذًا لم يكن يخلط المخدرات بالكحول."

– "مجرد مدمن كحول حقيقي من الطراز القديم. لا، انتظري... هنا... لقد تعاطى أريبيبرازول (Aripiprazole) في الماضي، هذا مضاد للذهان، أليس كذلك؟"

– "صحيح، لعلاج الفصام."

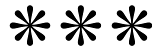
– "هذا كل ما أراه."

أنهت نيمان المكالمة وجلست تفكر لبرهة. إذًا لم يتعاطَ الرجل أي عقاقير مؤثرة عقليًا أخرى، باستثناء أريبيبرازول، وكان ذلك منذ فترة. ماذا يمكن أن يعني ذلك؟ عضت على شفتها وحدقت في ماتياس، الذي كان يرتسم نفس الابتسامة الساذجة على وجهه كما كان من قبل. لكن الأمر واضح نوعًا ما، أليس كذلك؟ إما أن الرجل فجأة – وربما بالصدفة – حصل على كمية كبيرة من الحبوب المنومة وابتلعها. أو أن شخصًا ما أراد قتله، وطحن تلك الحبوب ووضعها في خمره الرخيص. ليس أنها تعرف طعم خليط الكحول والزوبيكلون. من المفترض أنه ليس لذيذًا جدًا. لكنها خمنت أن صاحبنا لم يكن صعب الإرضاء. من ناحية أخرى، لماذا قد يرغب أي شخص في قتله؟ لا توجد وسيلة للمعرفة، بالطبع، ليس بعد على الأقل. ولكن بافتراض هذا السيناريو، يمكنها استبعاد القتل الخطأ منذ الآن. لم يكن هذا فعلًا ارتُكب في لحظة انفعال. الأمر يتطلب قدرًا من الدهاء لطحن الحبوب وخلطها في زجاجة ثم تعزيزها بالمواد الأفيونية. بالديكستروبروبوكسيفين.

بالديكستروبروبوكسيفين.

شيء ما بخصوص هذا الأمر أثار ريبتها. وجود الديكستروبروبوكسيفين جعل الخليط "متقنًا" أكثر من اللازم قليلًا. وكأن صيدلانيًا هو من ركّبه، أو شخص استشار طبيبًا. شعرت بنوع من

الإثارة مجددًا، وتساءلت عما يجب فعله تالياً. كان بإمكانها الاتصال بـ هانز فاست لتتلقى محاضرة أخرى عن عادات غريبي الأطوار. لكنها بدلًا من ذلك أنهت تقريرها واتصلت بـ ميكائيل بلومكفيست. بما أنها بدأت الحديث خارج القنوات الرسمية بالفعل، فقد تكمل ما بدأته.



كانت كاترين لينداس تجلس في كوخ بلومكفيست في ساندهامن، تحاول تجميع افتتاحية قصيرة لصحيفة سفينسكا داغبلادت. لم يكن الأمر يسير على ما يرام. شعرت بافتقار للإلهام وسئمت من المواعيد النهائية. حتى أنها سئمت من امتلاك آراء. في الواقع، كانت تشعر بالملل التام من كل شيء باستثناء ميكائيل بلومكفيست، وكان ذلك آخر ما تحتاجه. لكن لم يكن هناك ما يسعها فعله حيال ذلك. كان ينبغي أن تذهب للمنزل وتعتني بقطتها ونباتاتها، وتبرهن على أنها تتمتع ببعض الاستقلالية.

لكنها بقيت مكانها. كان الأمر وكأنها لا تستطيع انتزاع نفسها منه. كان أمرًا غريبًا جدًا، لم يتجادلا على الإطلاق، بل اكتفيا بممارسة الحب والحديث لساعات. ربما كان السبب أنها كانت معجبة به قبل مئات السنين، مثلها مثل أي صحفية شابة أخرى في ذلك الوقت. لكن الأرجح أن السبب يكمن في أنها أُخذت تمامًا على حين غرة — قوة اللامتوقع كليًا. كانت واثقة من أنه يحتقرها ويريد تسجيل النقاط عليها، مما جعلها تتخذ موقفًا دفاعيًا ومتغطرسًا، كما تفعل غالبًا تحت الضغط. كانت ترغب في إخراجه من مكتبها حين رأت شيئًا مختلفًا تمامًا في عينيه، جوعًا ما، ثم خرجت الأمور عن السيطرة. أصبحت النقيض التام لكل ما يعتقده الناس عنها، ولم تكترث حتى لاحتمالية

أن يدخل أحد زملائها مكتبها في أي لحظة. ألقت بنفسها عليه بشغف يفاجئها حتى الآن، وبعد ذلك خرجا وشربا الكثير من النبيذ. وهي عادة لا تفرط في أي شيء أبدًا.

وصلا إلى ساندهامن بقارب أجرة في ساعة متأخرة من الليل وارتميا داخل كوخه. أمضيا الأيام القليلة التالية بين أحضان بعضهما في السرير، أو جالسين في الحديقة، أو في الخارج على متن الزورق الصغير – الذي كان أقرب لقارب مطاطي بمحرك خارجي – اشتراه العام الماضي. اكتفيا بمراقبة الأيام وهي تمضي. ومع ذلك، رفضت التصديق بأن الأمر جدي، وحتى الآن لم تنبس ببنت شفة عن الثابت الوحيد الحقيقي في حياتها، الرعب الذي لا يفارقها أبدًا. ظلت تقول إنها ستعود للمنزل غدًا، أو ربما هذا المساء. لكنها بقيت، والآن تشير الساعة إلى العاشرة والنصف من صباح الاثنين.

كانت الرياح تعصف فوق الماء، فرفعت بصرها إلى السماء. طائرة ورقية خضراء تتأرجح باضطراب مع الريح. فجأة سمعت طنينًا بجوارها.

كان هاتف بلومكفيست. لقد خرج للركض، وبالتأكيد لم تعرض عليه أن تتولى أمره هاتفه. ومع ذلك تفقدت الشاشة. فريدريكا نيمان. لا بد أنها الطبيبة الشرعية التي كان يتحدث عنها، لذا أجابت.

قالت:

– "هاتف ميكائيل؟"

– "هل هو موجود؟"

– "إنه في الخارج يركض. هل يمكنني تلقي رسالة؟"

– "أرجوكِ اطلبي منه الاتصال بي،" قالت الطبيبة. "أخبريه أنني حصلت على نتائج فحص ما."

– "هل الأمر يتعلق بالمتسول صاحب السترة المبطنة؟"

– "نعم هو كذلك."

قالت كاترين:

– "لقد قابلته، أتعلمين."

– "حقاً؟" سمعت كاترين الفضول في صوتها. "عذرًا، من أنتِ؟"

– "أنا كاترين، صديقة لـ ميكائيل."

– "ماذا حدث؟"

– "اعترض طريقي في ماريتورغيت ذات صباح، وصرخ في وجهي."

– "ماذا أراد؟"

ندمت بالفعل لأنها قالت أي شيء. تذكرت شعور شيء سيء من الماضي يعود ليصدمها، مثل ريح باردة.

– "أراد التحدث عن يوهانس فورسيل."

– "فورسيل، وزير الدفاع؟"

– "ربما أراد أن يكيل له السباب، كما يفعل الجميع. لكني ابتعدت من هناك بأسرع ما يمكنني."

– "هل وصلك أي انطباع عن المكان الذي ربما جاء منه؟"

ظنت كاترين أن لديها فكرة جيدة جدًا.

قالت:

– "لا، ليس لدي. عن أي نتائج فحص كنتِ تتحدثين؟"

– "أعتقد أنه من الأفضل أن أناقش ذلك مع ميكائيل."

– "حسنًا، سأجعله يتصل بك."

أغلقت الخط وشعرت بالخوف يتسلل عائدًا، وفكرت في المتسول؛ كيف كان جاثيًا بجوار التمثال في ماريتورغيت وشعورها بأنها رأت هذا المشهد من قبل (ديجا فو)، وكيف أعادها ذلك إلى رحلات طفولتها. ربما منحته ابتسامة متوترة قليلًا، من النوع الذي اعتادت منحه لكل البؤساء المحطمين آنذاك. على أية حال، لا بد أن الرجل شعر أن أحدًا لاحظه. انتفض واقفًا وأمسك بعصا كانت بجانبه، وجاء يعرج نحوها صائحًا:

– "سيدة مشهورة، سيدة مشهورة."

فوجئت بأن أحدًا تعرف عليها. لكنه اقترب منها ورأت جذوع أصابعه والبقع الداكنة على جلده المصفر. كان اليأس يطل من عينيه، فشعرت بالشلل. وفقط عندما أمسك سترتها وبدأ يصرخ بشأن يوهانس فورسيل، تمكنت من تخليص نفسها والهرب.

وعندما سألها بلومكفيست: "ألا تذكرين شيئًا واحدًا مما قاله؟"

كانت قد قالت إنه الهراء المعتاد. لكن ربما كان أكثر من ذلك في نهاية المطاف. عادت الكلمات إليها والآن لم تعد تجدها مبهمة، أو تظن أنها من النوع الذي يقوله الناس دائمًا عن فورسيل. الآن كانت توحي بشيء مختلف تمامًا.

***

كان ميكائيل يقترب من المنزل، منهكًا ومتصببًا عرقًا. تلفت حوله، لكن لم يكن هناك أحد، ومرة أخرى فكر: أنا فقط أتخيل الأشياء، هذا عبث. في الأيام الأخيرة بدأ يشك في أنه مُراقَب، وشعر أنه يصطدم برجل ذي ذيل حصان ولحية ووشوم على ذراعيه بمعدل أكثر

من اللازم. كان الرجل يرتدي ملابس مصطاف، لكن كان هناك شيء شديد اليقظة فيه. لم يكن يبدو كشخص في عطلة.

ليس أنه صدق حقًا أن للرجل علاقة به، وفي معظم الوقت كرس نفسه لـ كاترين وتمكن من نسيان العالم الخارجي. لكن بين الحين والآخر، كما هو الحال الآن، كان يشعر بوخزة من القلق، وحينها يفكر دائمًا في سالاندر. يتخيل أفظع المشاهد...

وبينما كان يلتقط أنفاسه، نظر إلى الأعلى. لا غيوم في السماء. قالوا إن موجة الحر ستستمر، لكن الرياح ستشتد ليلًا وربما تكون هناك عاصفة. توقف خارج بوابته، وحديقته التي تحوي شجيرتي كشمش كان ينبغي عليه تقليمهما. وهو يتنفس بصعوبة، نظر نحو الماء والسباحين وهو ينحني واضعًا يديه على ركبتيه.

ثم دخل إلى المنزل متوقعًا استقبالًا حماسيًا. كانت كاترين قد دللته باستقباله كجندي عائد إن خرج ولو لعشر دقائق. لكنها الآن كانت تجلس بجمود على السرير، وتبدو عابسة، فشعر بالقلق. عادت أفكاره فورًا إلى الرجل ذي ذيل الحصان.

– "هل حدث شيء؟"

– "ماذا... لا،" قالت.

– "ولم يأتِ أحد للزيارة؟"

قالت:

– "هل كنت تنتظر أحدًا؟"

وهذا طمأنه قليلًا. مسد شعرها وسألها عن حالها.

قالت كاترين إنها بخير، لكنه لم يصدقها. لم تكن المرة الأولى التي يلاحظ فيها هذه النزعة الكئيبة لديها. لكنها كانت تتلاشى دائمًا

بسرعة ظهورها، وعندما أخبرته أن الطبيبة الشرعية اتصلت، قرر تركها وشأنها وذهب للاتصال بـ نيمان لسماع أخبار فحص الشعر.

سألها:

– "إذًا ما الاستنتاجات التي خرجتِ بها؟"

– "لأكون صادقة، لقد قلبت الأمر من كل الزوايا. ولا يزال يبدو مثيرًا للريبة."

نظر بلومكفيست إلى كاترين، التي كانت تجلس ضامة ذراعيها حول معدتها. ابتسم فردت له ابتسامة متكلفة، فنظر من النافذة. كانت الأمواج البيضاء تمتد بمد البصر. محركه الخارجي كان يرتفع وينخفض مع الأمواج. سيتعين عليه سحبه بشكل صحيح لاحقًا.

– "ماذا يقول فاست الآن؟"

– "لا يعرف بعد، لكني وضعت ذلك في تقريري."

– "عليكِ إبلاغه."

– "سأفعل. صديقتك قالت إن المتسول كان يتحدث عن فورسيل."

– "فورسيل أشبه بفيروس،" قال بلومكفيست. "كل مواطن لا يشغله سواه."

– "لم تكن لدي فكرة."

– "يشبه الأمر قليلًا اغتيال بالمه[6] قديمًا، الذي بدا وكأنه يتسلل إلى كل ذهان صغير. أنا غارق في نظريات مؤامرة سخيفة حول فورسيل."

– "كيف ذلك؟"

نظر إلى كاترين، التي نهضت ودخلت الحمام.

قال:

– "لا أعتقد أنك تعرفين السبب أبدًا. بعض الشخصيات العامة يبدو أنها تستفز خيال الناس فحسب. لكن في هذه الحالة لا يمكن إلا أن يكون الأمر مدبرًا، انتقامًا لحقيقة أن فورسيل حدد تورط روسيا في انهيار سوق الأسهم في مرحلة مبكرة جدًا، واتخذ بشكل عام خطًا متشددًا ضد الكرملين. هناك ما هو أكثر من مجرد شك في أنه مستهدف بحملة تضليل."

– "أليس هو أيضًا مجازفًا بعض الشيء؟ مغامرًا؟"

– "أعتقد أنه لا بأس به، في الواقع. لقد ألقيت نظرة فاحصة على شؤونه."

– "وهل ما زلت لا تعرف من أي بلد جاء المتسول؟"

– "ليس أكثر مما يكشفه تحليل الكربون-١٣، من أنه نشأ على الأرجح في فقر مدقع، لكنني خمنت ذلك مسبقًا. يبدو أنه كان يأكل الخضروات والحبوب في الغالب. ربما كان والداه نباتيين."

نظر تجاه الحمام.

---

[6] اغتيال أولوف بالمه: اغتيل رئيس الوزراء السويدي أولوف بالمه عام ١٩٨٦ بإطلاق نار في شارع بستوكهولم أثناء عودته سيرًا دون حراسة. شكّل الاغتيال صدمة وطنية، وبقيت القضية لغزًا لعقود قبل أن تُغلق رسميًا عام ٢٠٢٠ بترجيح مسؤولية مشتبه به متوفّى دون محاكمة.

وقال:

– "أليس الأمر برمته غريبًا بعض الشيء؟"

– "بأي طريقة؟"

– "أن يظهر الرجل فجأة ذات يوم من العدم، ثم يُعثر عليه ميتًا وبداخله كوكتيل من السموم القاتلة؟"

– "نعم، إنه كذلك."

خطرت له فكرة.

– "أتعلمين؟ لدي صديق في فرقة جرائم القتل، كبير مفتشين عمل مع فاست ويعتقد أنه أحمق تمامًا. يمكنني التحدث معه، لأرى إن كان بإمكانه إلقاء نظرة على القضية. بهذه الطريقة ربما يمكننا تسريع العملية."

– "سيكون ذلك جيدًا."

– "شكرًا لاتصالك. سأعاود الاتصال بك."

أغلق الخط، سعيدًا بوجود سبب للاتصال بـ بوبلانسكي. كان هو وكبير المفتشين يعرفان بعضهما منذ زمن طويل، حتى لو لم تكن علاقتهما ودية تمامًا دائمًا. لكن في السنوات الأخيرة أصبحا صديقين وكان من المريح دائمًا التحدث إليه. حقيقة أن بوبلانسكي يفكر دائمًا بعناية في كل شيء ساعدت بلومكفيست على رؤية الأمور بمنظور صحيح والانفصال عن تدفق الأخبار المستمر عن العالم الذي يشكل حياته، ولكنه يجعله أحيانًا يشعر وكأنه يغرق في الإثارة والجنون.

آخر مرة التقى فيها هو وبوبلانسكي كانت في جنازة هولغر بالمغرين وتحدثا عن سالاندر وتأبينها في الكنيسة، وما قالته عن التنانين. اتفقا على رؤية بعضهما مرة أخرى قريبًا. لكن لم يحدث

شيء، كما يجري غالبًا، والآن مد بلومكفيست يده لهاتفه ليتصل به. ومع ذلك تردد، وبدلًا من ذلك طرق باب الحمام.

– "هل أنتِ بخير في الداخل؟"

لم تكن كاترين ترغب في الإجابة، لكنها عرفت أنه يجب عليها قول شيء ما، فتمتمت "لحظة فقط" ونهضت عن كرسي المرحاض. حاولت جعل عينيها تبدوان أقل احمرارًا برشق الماء على وجهها، لكن ذلك لم يحدث فرقًا يذكر. ثم خرجت وجلست على السرير، ولم تشعر بالراحة تمامًا عندما اقترب منها ميكائيل وداعب شعرها.

– "كيف سارت الأمور مع المقال؟"

– "إنه كارثة."

– "أعرف هذا الشعور. لكن هناك شيء آخر، أليس كذلك؟"

بدأت قائلة:

– "ذلك المتسول..."

– "ما خطبه؟"

– "أصابني بالهستيريا."

– "لقد استنتجت ذلك."

– "لكنك لا تعرف السبب."

– "ليس حقًا، على ما أظن."

ترددت لبرهة، لكنها بدأت في الحديث وعيناها مثبتتان على يديها.

– "عندما كنت في التاسعة أخبرني والداي أنني لن أذهب إلى المدرسة لمدة عام. أقنعت أمي المدرسة بأنها وأبي سيعلمانني بنفسيهما، وأفترض أنهما حصلا على كومة من المواد والواجبات التعليمية. ليس أنني رأيتها قط. ثم سافرنا جوًا إلى الهند، إلى غوا

(Goa)، وكان الأمر رائعًا في البداية على الأرجح. نمنا على الشاطئ أو في الأراجيح الشبكية، وكنت أركض مع أطفال آخرين وتعلمت كيفية صنع المجوهرات ونحت الأشياء من الخشب. لعبنا كرة القدم والكرة الطائرة، وفي الأمسيات كنا نرقص ونشعل النيران. عزف أبي على الجيتار وغنت أمي. لفترة من الوقت أدرنا مقهى في أرامبول (Arambol). كنت أعمل نادلة وأعد حساء عدس بحليب جوز الهند أسميناه «حساء كاترين». لكن ببطء انهار كل شيء. كان الناس يأتون للمقهى عراة، وكثير منهم بدت آثار الإبر على أذرعهم. آخرون كانوا مسطولين، والبعض منهم تحرش بي أو حاول إخافتي بفعل أشياء مجنونة."

– "يبدو هذا مروعًا."

تابعت كاترين:

– "ذات ليلة استيقظت ورأيت عيني أمي تتوهجان في الظلام. كانت تحقن نفسها. كان أبي يقف على بعد مسافة قصيرة، يترنح ويئن بصوت يغيب عنه الوعي تقريبًا، وبعد وقت قصير من ذلك بدأت مشاكلنا الحقيقية. شياطين أبي، كنا نتحدث عنها طوال الوقت. كنت أسأل «ما خطب أبي؟». فتقول أمي دائمًا «إنها فقط شياطينه». شياطين أبي. بعد فترة وجيزة انتقلنا، وكأننا نأمل في الهروب من الشياطين أيضًا، وأذكر أننا مشينا لساعات وأيام وأسابيع، نجر عربة ذات عجلات خشبية قديمة متعفنة، مكدسة بالشالات والملابس والخردوات التي حاولت أمي بيعها. ثم لا بد أننا تخلصنا من كل شيء لأنه بين يوم وليلة لم يعد لدينا أي أمتعة تقريبًا. استقللنا القطارات وسافرنا بالتطفل على السيارات. ذهبنا إلى بيناريس (Benares)، وانتهى بنا المطاف أخيرًا في

كاتماندو (Kathmandu) حيث عشنا في فريك ستريت (Freak Street)، شارع «الهيبيز» القديم، وحينها أدركت أن لدينا مجال عمل مختلفًا تمامًا. لم تكن أمي وأبي يتعاطيان الهيروين فحسب، بل كانا يبيعانه أيضًا. كان الناس يأتون لمنزلنا ويتوسلون إلينا «أرجوكم، أرجوكم»، وأحيانًا طاردنا رجال في الشارع. كان كثيرون منهم يفتقدون أصابع، وأحيانًا ذراعًا أو ساقًا. كانوا يرتدون أسمالًا بالية، وبشرتهم مصفرة ووجوههم مبقعة. ما زلت أراهم في أحلامي."

– "والمتسول ذكّرك بهم."

– "عاد كل ذلك إلي."

– "أنا آسف."

– "هذا هو واقع الحال. لقد تعايشت معه لفترة طويلة."

– "لا أعلم إن كان هذا سيخفف عنك الأمر، لكن ذلك الرجل لم يكن مدمن مخدرات. يبدو أنه لم يتعاطَ الحبوب على الإطلاق."

– "لكنه ظل يشبههم. كان يائسًا بنفس القدر."

قال بلومكفيست بنبرة جديدة، وكأنه نسي قصتها بالفعل:

– "الطبيبة الشرعية تعتقد أنه قُتل."

ربما ضايقها ذلك، أو أنها سئمت من نفسها فحسب. أخبرته أنها بحاجة للخروج لبعض الوقت، ورغم أنه قام بمحاولة فاترة لإيقافها، إلا أن ذهنه كان مشغولًا بأشياء أخرى بوضوح.

وعندما التفتت عند المدخل، رأته يطلب رقمًا على هاتفه المحمول. خطر لها أنها ليست مضطرة لإخباره بكل شيء؛ فبإمكانها متابعة الأمر بنفسها، في نهاية المطاف.

-١٠-

٢٤ ـ ٢٥ أغسطس

كان الشك رفيقاً دائماً للمفتش العام جان بوبلانسكي، وفي هذه اللحظة، لم يكن واثقاً حتى مما إذا كان يستحق تناول وجبة الغداء أم لا. فكر في الاكتفاء بشطيرة من الماكينة الموجودة في الردهة ومواصلة العمل، لكنه سرعان ما عدل عن فكرته؛ فالشطائر لن تجدي نفعاً. كان عليه تناول سلطة خفيفة أو ألا يأكل شيئاً على الإطلاق. لقد عاد لتوّه من عطلة في تل أبيب مع خطيبته فرح شريف، ومن الواضح أنه اكتسب بعض الوزن الزائد، كما بدا أن شعره انحسر قليلاً عن قمة رأسه. لكنه عزى نفسه بأن هذا أمر طبيعي ولا يستدعي القلق. انغمس في عمله، غارقاً في تقرير استجواب رديء الصياغة، وتحليل جنائي من "هودينجه" لم يكن أقل رداءة. ولعل هذا التشتت هو ما جعل عقله يشرد، فاستقبل اتصال ميكائيل بلومكفيست بصدق تام قائلًا:

— "أمر غريب يا ميكائيل، كنت أفكر فيك قبل أقل من عشر دقائق."

ورغم قوله هذا، فلعله كان يفكر في واقع الأمر في ليزبيث سالاندر، أو ربما كان ذلك مجرد حدس ساوره.

سأله بلومكفيست:

— "كيف حالك؟"

أجاب بوبلانسكي:

– "بخير، على حد قولهم بالنظر لجميع الظروف."

– "يسعدني أنك قيدت إجابتك؛ فقد بدأت أجد صعوبة في تقبل المرح المطلق. هل استمتعت بعطلتك؟"

– "أبذل قصارى جهدي في الوقت الحالي."

– "إذا كنت تتصل بي، فأنت لا تبذل جهداً كافياً. الأمر يتعلق بفتاتك، على ما أظن؟"

قال بلومكفيست:

– "لم تكن يوماً فتاتي."

– "أعرف، أعرف. لا أحد يشبه (فتاة شخص ما) أقل منها. إنها تشبه ذلك الملاك الساقط في الجنة، أليس كذلك؟ لا تخدم أحداً، ولا تنتمي لأحد."

– "يحيرني حقاً كيف تعمل شرطياً يا جان."

– "يقول الحاخام الذي أقصده إنه يجب عليّ التقاعد. لكن، بجدية، هل سمعت منها شيئاً؟"

– "أخبرتني أنها تتوارى عن الأنظار ولن تفعل شيئاً أحمق. وفي الوقت الحالي، أنا أصدقها بالفعل."

قال بوبلانسكي:

– "يسعدني سماع ذلك. لا يروقني أن عصابة (سفافيلسيو) تتعقب أثرها."

– "لا أحد يروقه ذلك."

– "أفترض أنك تعلم أننا عرضنا عليها الحماية."

– "سمعت بذلك."

– "وهل سمعت أيضاً أنها رفضت، وأنه تعذر الاتصال بها منذ ذلك الحين؟"

– "نعم، ولكن..."

– "ولكن ماذا؟"

تابع بلومكفيست:

– "لا شيء، سوى أنني أواسي نفسي بحقيقة أنه لا أحد يبرع في التخفي والتواري عن الأنظار مثلها."

قال بوبلانسكي:

– "تقصد من خلال المراقبة الإلكترونية وما شابه؟"

– "بالضبط، فليس من السهل تتبع أثرها عبر أي محطة أساسية أو عنوان IP."

– "هذا شيء جيد على الأقل. ليس أمامنا سوى الانتظار إذاً."

– "بالفعل. هل يمكنني سؤالك عن شيء مختلف تماماً؟"

– "تفضل."

– "لقد كُلف رجلك فاستي بتحقيق لا يبدو مهتماً به على الإطلاق."

– "غالباً ما يكون الأمر أفضل بهذه الطريقة. ففي بعض الأحيان، عندما يكلف نفسه عناء بذل مجهود..."

– "همم، ربما. الأمر يتعلق بمتسول عُثر عليه ميتاً في الشارع. الدكتورة فريدريكا نيمان، الطبيبة الشرعية، تعتقد أنه قد يكون قُتل."

قص عليه بلومكفيست الحكاية، وبعدها غادر بوبلانسكي مكتبه، وابتاع شطيرتي جبن مغلفتين بالبلاستيك وقطعة شوكولاتة من الماكينة، ثم اتصل بزميلته المفتشة سونيا موديغ.

***

ارتدت كاترين قفاز حديقة وجدته ملقى على العشب، وشرعت في نزع نبات القراص الذي نما تحت شجيرات الكشمش الخاصة بـ بلومكفيست. وعندما رفعت بصرها، لمحت رجلاً بشعر مربوط (ذيل حصان) وظهراً عريضاً يبدو عليه التهديد وهو يهرع مبتعداً على طول الشاطئ. لكنها نفضت صورته من رأسها وعادت إلى الأفكار المشوشة التي شغلت بالها في الكوخ.

ربما كان صحيحاً أن ذلك المتسول في ساحة "ماريا تورجيت" لم يكن يشبه المدمنين في "شارع المهووسين"، لكنها كانت مقتنعة بأنه ينتمي لتلك البقاع من العالم، وبأنه عولج على يد نفس الفئة المستهترة من الأطباء. تذكرت أصابعه المبتورة وطريقته المميزة في المشي، وكأنه يفتقد لمركز جاذبية تحت قدميه. تذكرت قبضته القوية وكلماته:

– "أعرف شيئاً سيئاً للغاية عن يوهانس فورسيل."

كانت تتوقع سماع مزيد من الإهانات التي تراها يومياً على الإنترنت، أو رسائل الكراهية التي تصلها، وخشيت أن يتحول إلى العنف. لكنه، وبمجرد أن أوشكت هي على الشعور بالذعر، ترك ذراعها وتابع بنبرة يملؤها الحزن:

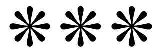
– "لقد أخذت فورسيل. وتركت (مامسابين)... فظيع، فظيع للغاية."

أو ربما لم يقل "مامسابين"، بل كلمة شبيهة بها، كلمة طويلة مع تشديد على المقطع الأول. ظلت الكلمة تتردد في أذنيها وهي تهرب منه وتصطدم بـ صوفي ميلكر في شارع "سويدنبورغاتان". بطريقة ما، نسيت الأمر، والآن، في الكوخ، أعادت المحادثة مع الطبيبة الشرعية كل تلك

الذكريات، وتساءلت عما قد تعنيه. كان الأمر يستحق البحث فيه بعد كل شيء.

نزعت قفاز الحديقة وكتبت عدة صيغ للكلمة في محرك البحث، لكن بحثها لم يسفر عن شيء منطقي بأي لغة. سألها جوجل فقط إن كانت تقصد "ماتس سابين"، وفكرت أنها ربما تقصده حقاً، "ماتس-سابين" بلفظ واحد. لا يمكن استبعاد ذلك، خاصة عندما اكتشفت أن ماتس سابين كان ضابطاً في مدفعية السواحل، ثم أصبح مؤرخاً عسكرياً في جامعة الدفاع السويدية. كان من السهل جداً أن تكون له علاقات مع فورسيل، ضابط المخابرات السابق والخبير في الشؤون الروسية.

وضعت كاترين الاسمين معاً في المتصفح، وبمحض الصدفة، ظهرت لها نتيجة فورية كشفت أنهما لم يلتقيا فحسب، بل كانا عدوين، أو على الأقل بينهما خلافات علنية. فكرت في الدخول وإخبار ميكائيل، لكنها ترددت؛ فبدا الأمر بعيد الاحتمال. لذا، بقيت في الحديقة تواصل اقتلاع الأعشاب الضارة، وترفع بصرها بين الحين والآخر لتتأمل الواجهة البحرية، وعقلها يعج بأفكار متضاربة.



كانت سالاندر لا تزال في فندق "كينغز كورت" في براغ، تجلس خلف المكتب قرب النافذة وتحدق مجدداً في صور شاشة حاسوبها لمنزل كاميلا الفسيح في "روبليوفكا". لكنها لم تكن تفعل ذلك بدافع القهر أو كجزء من روتينها لترسيخ التفاصيل في ذاكرتها. صار المنزل يبدو لها وبشكل متزايد كحصن منيع، أو مركز قيادة. كان الناس يغدون ويروحون طوال الوقت، حتى الشخصيات الهامة مثل كوزنيتسوف،

وكان الجميع يخضع للتفتيش. وكل يوم يزداد عدد الحراس، ومن المؤكد أن الأمن المعلوماتي كان يُفحص مراراً وتكراراً.

وبفضل المحطة الأساسية التي وضعتها كاتيا فليب في مكانها ثم أزالتها بعد بضعة أيام، تمكنت ليزبيث من تتبع خطوات كاميلا خطوة بخطوة، معتمدة على إشارات التتبع من هاتف أختها المحمول. لكنها لم تتمكن بعد من اختراق النظام المعلوماتي، فظلت رهينة التخمين لما يحدث داخل المنزل، ولم تكن تعرف سوى أن مستوى النشاط قد ازداد.

كان المنزل ينبض بتلك الطاقة العصبية التي تسبق العمليات الكبرى، وبالأمس شوهدت كاميلا وهي تُقاد إلى "الأكواريوم" (الحوض)، وهو اللقب الذي يُطلق على مقر المخابرات العسكرية (G.R.U.) في "خودينكا" خارج موسكو. لم يكن ذلك علامة جيدة؛ فقد بدا وكأنها تستجمع كل ما تستطيع من مساعدة.

ومع ذلك، بدا أن كاميلا لا تملك أدنى فكرة عن مكان ليزبيث، وكان هذا يبعث على الطمأنينة نوعاً ما. فطالما بقيت أختها في منزل "روبليوفكا"، يفترض ألا يواجه كل من ليزبيث وبولينا أي خطر. لكن لا شيء مؤكد في هذا العالم.

أغلقت سالاندر صورة القمر الصناعي وتفقدت بدلاً من ذلك ما يفعله توماس، زوج بولينا. لم يكن يفعل شيئاً على ما يبدو؛ كان يحدق فحسب في كاميرا الويب بوجهه المتذمر المعتاد.

لم تكن سالاندر ميالة للتواصل كثيراً في الآونة الأخيرة، لكنها على الأقل كانت تمضي ساعات في المساء تستمع لـ بولينا. صارت تعرف ما يكفي وزيادة عن حياتها، وبحلول ذلك الوقت، سمعت حتى عن حادثة

المكواة. توماس، الذي كان يمسح أنفه أمام كاميرا الويب في تلك اللحظة، كان يرسل قمصانه دائماً إلى المصبغة حين كانا يعيشان في ألمانيا، أما في كوبنهاغن، فقد جعل بولينا تكويها له — "ليعطيها شيئاً تشغل به وقتها خلال اليوم". لكن في أحد الأيام، نسيت أمر الكي، وأمر غسل الأطباق أيضاً، وراحت تتجول بملابسها الداخلية مرتدية أحد قمصانه غير المكوية، وهي تحتسي النبيذ الأحمر ثم الويسكي.

كانت بولينا قد تعرضت للضرب في الليلة السابقة، وكانت شفتها مشقوقة، وتمنت لو تسكر لدرجة تجعلها تجرؤ إما على إنهاء العلاقة أو وضع حد للأمر. لكن الأمور ساءت أكثر؛ فقد كسرَت مزهرية بالخطأ، ثم بعض الكؤوس والأطباق —ولم يكن كسرها تماماً بمحض الصدفة— وبطريقة ما نجحت أيضاً في سكب النبيذ الأحمر على القميص، والويسكي على أغطية السرير والسجاد. وفي النهاية، استسلمت للنوم وهي مخمورة ومتحدية، وشعرت بأنها أخيراً ستملك الشجاعة لتخبره بأن يذهب إلى الجحيم.

استيقظت لتجد توماس جاثماً فوق ذراعيها، ينهال عليها بالضرب على وجهها مراراً وتكراراً. ثم جرها إلى لوح الكي وكوى قميصه بنفسه. لم تتذكر بولينا شيئاً بعد ذلك، باستثناء رائحة الجلد المحترق والألم الذي لا يوصف، وخطواتها وهي تهرع نحو الباب الأمامي. كانت سالاندر تفكر في هذا بين الحين والآخر، ورغم أنها كانت أحياناً تحدق مباشرة في عيني توماس، كما تفعل الآن، إلا أن وجهه كان غالباً ما يمتزج بوجه والدها.

***

حين يدركها التعب، يختلط كل شيء ببعضه – كاميلا، توماس مولر، طفولتها، زالا، كل شيء – ويطبق على صدرها وجبينها كحزام تقييد، فتلهث طلباً للهواء. سُمع صوت موسيقى من الخارج، صوت جيتار يتم ضبط أوتاره. أمالت رأسها لتنظر من النافذة؛ كان الشارع غاصاً بالناس يتدفقون داخلين وخارجين من مركز تسوق "بالاديوم". وعلى منصة بيضاء ضخمة إلى اليمين، كانت التحضيرات جارية لإقامة حفل موسيقي. ربما هو يوم السبت مجدداً، أو عطلة رسمية؛ فالأيام عندها سيان. وأين هي بولينا؟ لا بد أنها خرجت في إحدى جولاتها التي لا تنتهي حول المدينة. وفي محاولة لطرد أفكارها، تفقدت سالاندر بريدها الوارد.

لم تتلقَّ رداً من (هاكر ريبابليك) كما تمنت، ولم تجد إجابة على الأسئلة التي طرحتها خلال اليوم. لكنها استلمت بعض الوثائق المشفرة من بلومكفيست، وهذا ما رسم ابتسامة خفيفة على وجهها.

إذاً، وجدت أخيراً الوقت لتقرأ مقالك الخاص.

لكن لا، لم تكن للملفات أي علاقة بـ كوزنيتسوف وأكاذيبه. بل كانت... حسناً، ماذا كانت في الواقع؟

صفوف لا تنتهي من الأرقام والحروف الكثيرة: XY، ١١، ١٢، ١٣، ١٩. كان من الواضح أنه تسلسل DNA – ولكن لمن؟ تصفحت الوثائق وتقرير تشريح مرفق، ورأت أنها تتعلق برجل يتراوح عمره بين الرابعة والخمسين والسادسة والخمسين، وفقاً لاختبار الكربون-١٤. كان ينتمي لمنطقة ما في جنوب وسط آسيا. كانت عدة من أصابعه وأصابع قدميه مبتورة، وكان في حالة صحية سيئة للغاية، كما كان مدمناً

للكحول. وخلص التقرير إلى أنه مات مسموماً بـ "الزوبيكلون" و"الديكستروبروبوكسيفين".

كتب بلومكفيست:

«إن كنتِ تستمتعين حقاً ببعض الإجازة ولا تخططين لأي عمل أحمق، فربما تودين محاولة اكتشاف هوية هذا الشخص. الشرطة لا تملك اسماً ولا أي خيط. الطبيبة الشرعية الكفؤة فريدريكا نيمان تعتقد أن الرجل قد يكون قُتل.

عُثر عليه بجانب شجرة في "تانتولوندن" في الخامس عشر من أغسطس. أرسل لكِ تحليل DNA –جسدي– وبعض الأمور الأخرى، نتائج اختبار الكربون-١٣ وتحليل للشعر، بالإضافة لصورة لورقة كتب عليها الرجل بخط يده. (نعم، هذا هو رقم هاتفي).

م.»

تمتمت قائلة:

– "مستحيل أن أفعل ذلك. سأخرج لأجد بولينا، وأسكر مجدداً. لست بالتأكيد بصدد الغرق في نتائج DNA لشخص ما، ولن أتحدث لأي طبيب شرعي."

لكنها لم تغادر غرفتها في الفندق هذه المرة أيضاً؛ ففي تلك اللحظة سمعت وقع خطوات بولينا في الردهة. تناولت زجاجتي شمبانيا صغيرتين من "الميني بار" وفتحت ذراعيها، في محاولة شجاعة لئلا تبدو "محطمة".

***

كانت خطة مجنونة. لكن بلومكفيست كان يشعر بالوحدة والإحباط منذ أن قالت له كاترين لينداس إن عليها العودة للمنزل لتطعم

قطتها وتسقي نباتاتها —وقد آلمه بشكل خاص أن ينهزم أمام النباتات— وبعد أن ودعها عند المرفأ، عاد للمنزل واتصل بـ نيمان مجدداً.

زعم أنه يعرف عالمة وراثة بارزة قد تتمكن من إحراز تقدم في تحليلات DNA. كانت نيمان متحمسة لمعرفة هويتها ومجال عملها بدقة، فاكتفى بالقول إنها شخصية حازمة للغاية، وهي بروفيسورة في لندن متخصصة في تتبع الأنساب. كانت سالاندر بالفعل بارعة في تحليلات DNA؛ فقد بذلت جهوداً مضنية لمحاولة معرفة سبب امتلاك عائلتها لصفات وراثية متطرفة. لم يكن الأمر يقتصر على والدها المقيت والذكي للغاية، زالاتشينكو، بل شمل أخاها غير الشقيق أيضاً، رونالد نيدرمان، بقوته الاستثنائية وعدم شعوره بالألم. وهناك ليزبيث نفسها، بذاكرتها الفوتوغرافية. كان هناك عدد من أقاربها من ذوي الصفات الاستثنائية، ورغم أن بلومكفيست لم يكن يعلم ما اكتشفته، إلا أنه كان يعلم أنها علمت نفسها المنهج العلمي في وقت قياسي. وبعد نقاش طويل مع فريدريكا نيمان، حصل أخيراً على المواد التي أُرسلت لها، ثم حولها جميعاً لـ سالاندر. لم يكن متفائلاً، فربما لم يكن الأمر أكثر من ذريعة للتواصل معها. أياً كان السبب، فقد نظر نحو البحر؛ كانت الرياح تشتد وبدأ آخر المستحمين في حزم أمتعتهم، فاستغرق في أفكاره.

ما الذي دها كاترين؟ خلال أيام قليلة صارا قريبين لدرجة أنه ظن... حسناً، لم يكن واثقاً مما ظنه. هل ينتميان حقاً لبعضهما البعض؟ كان هذا ضرباً من الحماقة؛ فهما كالليل والنهار. فكر في ترك الأمر الآن والاتصال بـ إريكا بدلاً من ذلك، فقد كان عليه تعويض تأجيل مقاله. التقط هاتفه واتصل بـ... كاترين. هكذا سارت الأمور،

وفي البداية استمرت المحادثة بنفس النبرة التي انتهت بها؛ رسمية ومترددة. ثم قالت:

– "أنا آسفة."

– "على ماذا؟"

– "على رحيلي المفاجئ."

– "لا يجب أن يموت أي نبات بسببي أبداً."

ضحكت بمرارة.

سألها:

– "ماذا ستفعلين الآن؟"

– "لست متأكدة. ربما سأجبر نفسي على الجلوس ومحاولة كتابة شيء ما."

– "لا يبدو هذا أمراً ممتعاً."

قالت:

– "لا."

– "لكنكِ كنتِ بحاجة للرحيل، أليس كذلك؟"

– "أعتقد ذلك."

– "كنت أراقبكِ من النافذة وأنتِ تقتلعين الأعشاب. بدوتِ قلقة."

– "نعم، ربما أنا كذلك."

– "هل حدث شيء؟"

– "ليس تماماً."

– "ولكن هناك شيء ما، صحيح؟"

– "كنت أفكر في المتسول."

– "ماذا عنه؟"

– "بأنني لم أخبرك بما كان يصرخه بشأن فورسيل."

– "قلتِ إنه الهراء المعتاد."

– "ولكن ربما كان أكثر من ذلك."

– "لماذا تخبرينني بهذا الآن؟"

– "لأن الكلمات بدأت تعود لذاكرتي بوضوح أكبر حين اتصلت تلك الطبيبة."

– "وماذا كان يقول؟"

– "شيئاً من قبيل: (لقد أخذت فورسيل. تركت مامسابين، فظيع، فظيع). شيء من هذا القبيل."

– "وماذا تعتقدين أن هذا يعني؟"

– "لا أدري. ولكن حين بحثت عن مامسابين، مانسابين، وكل الكلمات الشبيهة، ظهر لي (ماتس سابين)، وكان هذا أقرب ما وجدته."

– "المؤرخ العسكري؟"

– "هل تعرفه؟"

– "منذ سنوات كنت من أولئك الذين يقرؤون كل شيء عن الحرب العالمية الثانية."

– "هل تعلم أيضاً أن سابين مات قبل أربع سنوات، خلال رحلة جبلية في متنزه (أبيسكو) الوطني؟ تجمد حتى الموت بجانب بحيرة. يعتقد الناس أنه أصيب بسكتة دماغية ولم يتمكن من الوصول لمأوى يحميه من البرد."

قال:

– "لم أكن أعرف ذلك."

– "لا أظن أن للأمر علاقة بـ فورسيل..."

قال مشجعاً إياها:

– "ولكن..."

– "ولكنني لم أستطع مقاومة إجراء بحث يجمع بين الاسمين معاً، ورأيت أن فورسيل وسابين اختلفا في وسائل الإعلام. بشأن روسيا."

– "اشرحي لي."

– "بعد تقاعده، غير سابين رأيه وتحول من كونه صقراً متشدداً إلى تبني نظرة أكثر وضوحاً وصداقة تجاه روسيا. وفي عدة مقالات – في صحيفة "إكسبريسن" وغيرها– كتب أن الجميع في السويد يعانون من فوبيا روسيا، ومن البارانويا، وأنه يجب علينا تبني نظرة أكثر تعاطفاً. رد فورسيل بكتابة أن كلمات سابين ليست سوى تكرار للدعاية الروسية، ولمح إلى أنه مأجور. بعدها اشتعلت الأمور، وكان هناك حديث عن دعاوى قذف وإجراءات قانونية أخرى، لكن في النهاية تراجع فورسيل واعتذر."

– "وأين يأتي المتسول في هذا كله؟"

– "لا أدري. رغم أنه قال (تركت مانسابين)، أو شيئاً مشابهاً، وهذا قد يتناسب مع الواقع؛ فقد مات سابين وحيداً ومنبوذاً."

قال:

– "هذا خيط مهم."

– "ربما هو مجرد هراء."

– "ألا يمكنكِ العودة لنتحدث في الأمر، ونتطرق أيضاً لمعنى الحياة وكل شيء آخر بالمرة؟"

– "في المرة القادمة يا ميكائيل. في المرة القادمة."

أراد إقناعها، أراد أن يتوسل إليها ويناشدها، لكنه شعر بضعفه، فاكتفى بتمني أمسية سعيدة لها وأغلق الخط. نهض وأخذ زجاجة بيرة من الثلاجة وتساءل عما سيفعله بنفسه. كان الشيء المنطقي هو التوقف عن التفكير في كل من كاترين والمتسول؛ فكل ذلك لن يوصله لشيء. كان عليه العودة لمقاله عن مصانع الذباب الإلكتروني وانهيار البورصة، أو الأفضل من ذلك، أن يأخذ عطلة حقيقية.

لكنه كان كما هو: عنيداً، وربما غبياً بعض الشيء. لم يكن يستطيع ترك الأمور تمر، وحين انتهى من غسل الأطباق وترتيب ركن المطبخ، ووقف لعدة لحظات يحدق في البحر الدائم التغير، بحث عن ماتس سابين ووجد نفسه يقرأ نعيًا طويلاً في صحيفة "نورلاندسكا سوسيال ديموكراتن".

نشأ سابين في "لوليو" وأصبح ضابطاً في مدفعية السواحل –شارك في مطاردة الغواصات الأجنبية في الثمانينيات– وبجانب ذلك درس التاريخ وحصل على إجازة لفترة من السلك العسكري ليحصل على الدكتوراه من جامعة "أوبسالا". كانت أطروحته عن غزو هتلر للاتحاد السوفيتي. أصبح محاضراً في جامعة الدفاع السويدية، وكما كان بلومكفيست يعلم، نشر أيضاً كتباً تاريخية شعبية عن الحرب العالمية الثانية. كان مدافعاً لفترة طويلة عن عضوية السويد في حلف الناتو، وكان واثقاً من أن ما كان يطارده في البلطيق لم يكن سوى غواصات روسية. ومع ذلك، في سنواته الأخيرة، أصبح صديقاً لروسيا ودافع عن تدخلها في أوكرانيا والقرم، كما أشاد بروسيا كقوة للسلام في سوريا.

لم يتضح أبداً سبب تغييره لوجهة نظره، رغم أنه نُقل عنه قوله إن "الآراء وُجدت لتتغير كلما تقدمنا في العمر وازددنا حكمة". كان يُعرف

عن ماتس سابين أنه عداء مسافات طويلة وغواص ماهر. وبعد وفاة زوجته بوقت قصير، سار في المسار الكلاسيكي بين "أبيسكو" و"نيكالووكتا"، ووفقاً للنعي فقد كان "في حالة بدنية جيدة". كان ذلك في بداية شهر مايو وكانت التوقعات الجوية جيدة، ومع ذلك تحول الطقس لبرودة قارسة مع حلول مساء الثالث من مايو؛ حيث انخفضت درجة الحرارة لثمانية تحت الصفر، وبدا أن سابين عانى من سكتة دماغية وانهار ليس بعيداً عن نهر "أبيسكوجوكا". لم يصل أبداً لأي من الأكواخ الجبلية المنتشرة على طول المسار، وعثرت عليه مجموعة من المتنزهين من "سونديبيبرغ" ميتاً في صباح اليوم الرابع. لم تكن هناك أي مؤشرات لظروف مشبوهة، ولا أي علامات عنف. كان يبلغ من العمر سبعة وستين عاماً.

حاول بلومكفيست معرفة أين كان يوهانس فورسيل —وهو رياضي آخر مولع بالأنشطة الخارجية— في ذلك الوقت، لكن الإنترنت لم يسفر عن شيء. كان ذلك في مايو ٢٠١٦، قبل عام ونصف تقريباً من تولي فورسيل منصب وزير الدفاع، وحتى الصحافة في مسقط رأسه بمدينة "أوسترشوند" لم تكن تراقب تحركاته. لكن بلومكفيست نجح في إثبات أن فورسيل كانت لديه اهتمامات تجارية في تلك المنطقة. ولم يكن من المستبعد أن يكون في "أبيسكو" في ذلك الوقت.

ومع ذلك، كان كل شيء غير مؤكد ومحض تكهنات. نهض بلومكفيست وتصفح رف الكتب في غرفة النوم؛ كانت معظم الكتب روايات بوليسية وقد قرأها جميعاً، فحاول الاتصال بابنته بيرنيلا، ثم بـ إريكا، دون أن يصل لأي منهما. وبشعور متزايد بالقلق، انطلق لتناول

العشاء في "سيجلار هوتيل" بجوار المرفأ، وحين عاد لمنزله في وقت متأخر من ذلك المساء، كان يشعر بإحباط تام.

***

كانت بولينا نائمة، بينما كانت سالاندر تحدق في السقف. كانت هذه حالتهما المعتادة؛ إما ذلك، أو بقاؤهما مستيقظتين معاً. لم تحصل أي منهما على قسط كافٍ من الراحة، ولم تشعرا بأنهما على ما يرام. لكن في ذلك المساء نجحتا في مواساة بعضهما البعض بشكل مرضٍ للغاية بالشمبانيا والبيرة والجنس، وغرقتا في النوم سريعاً، وإن لم يدم ذلك العزاء طويلاً؛ فقد استيقظت سالاندر فجأة بعد فترة وجيزة، وذكريات وأسئلة شارع "لونداتان" وطفولتها تجتاحها كريح جليدية. ما الذي أصابهم جميعاً؟

حتى قبل أن تبدأ سالاندر في الاهتمام بالعلم، كانت تقول إن هناك خللاً جينياً في عائلتها. ولفترة طويلة قصدت بذلك ببساطة أن الكثير منهم لديهم صفات متطرفة بطريقة أو بأخرى، وكانوا أشراراً. لكنها قبل عام تقريباً قررت الوصول لعمق فرضيتها، ومن خلال الدخول لسلسلة من خوادم الكمبيوتر، حصلت على كروموسوم Y الخاص بـ زالاتشينكو من مختبر الوراثة الجنائية في "لينشوبينغ".

أمضت ليالي طويلة تتعلم كيفية تحليله، وقرأت كل ما استطاعت إيجاده عن "المجموعات الفردانية" (Haplogroups). طفرات صغيرة حدثت في جميع سلالات النسب، وتظهر المجموعات الفردانية أي فرع طفري من البشرية ينتمي إليه كل فرد، ولم يدهشها على الإطلاق أن مجموعة والدها كانت غير مألوفة للغاية. وحين بحثت فيها وجدت

تمثيلاً زائداً ليس فقط للذكاء العالي، بل أيضاً للاعتلال النفسي (السيكوباتية)، ولم يجعلها ذلك أكثر سعادة ولا أكثر حكمة.

لكن ذلك علمها كيفية العمل بتقنيات DNA. والآن وقد تجاوزت الساعة الثانية صباحاً وهي تعيش الماضي مجدداً، ترتجف من الذكريات وتحدق في جهاز كشف الدخان الذي يومض كعين حمراء شريرة في السقف، تساءلت إن كانت ستلقي نظرة أخيرة على المواد التي أرسلها لها بلومكفيست. فذلك على الأقل سيصرف عقلها لأمور أخرى.

نهضت بحذر من السرير، وجلست خلف المكتب وفتحت الملفات. تمتمت قائلة:

– "لنرى الآن... لنرى... ما هذا؟"

كانت نتيجة اختبار DNA جسدي أولي، مع عدد من الواسمات المختارة التي تسمى (S.T.R.) –تكرارات ترادفية قصيرة– ففتحت برنامج "BAM Viewer" من معهد "برود"، والذي سيساعدها على تحليلها. مر وقت قبل أن تولي المهمة كامل انتباهها؛ فقد كانت صور الأقمار الصناعية لمنزل كاميلا تشتتها بسهولة، لكن شيئاً ما في المادة بدأ يفتنها ببطء، ربما هو إدراكها بأن الرجل ليس له أسلاف أو أقارب في منطقة دول الشمال.

لقد جاء من مكان بعيد للغاية. وبعد قراءة تقرير التشريح مرة أخرى، وخاصة تحليل الكربون-١٣ وأوصاف الإصابات وعمليات البتر، صدمتها فكرة مذهلة فظلت جالسة هناك لفترة طويلة، بلا حراك وهي تميل للأمام ويدها تضغط على جرح الرصاصة في كتفها. أجرت سلسلة من عمليات البحث السريعة. هل يمكن أن يكون هذا حقيقياً؟ وجدت صعوبة في تصديق ذلك، وكانت تستعد لاختراق خادم الطبيبة

الشرعية حين خطرت لها فكرة غريبة بمحاولة الأمر بالوسائل التقليدية أولاً. أرسلت رسالة بريد إلكتروني ثم تناولت ما تبقى في "الميني بار"، علبة كوكا كولا وزجاجة براندي صغيرة، وتركت الساعات تمر حتى حل الصباح، وهي تغفو أحياناً على كرسيها. وفي الوقت الذي فتحت فيه بولينا عينيها وبدأت الأصوات تُسمع في الردهة بالخارج، تلقت إشارة على هاتفها واتصلت بصور الأقمار الصناعية مجدداً. في البداية لمحتها بعينين متعبتين فحسب، لكنها فجأة استيقظت تماماً.

أظهرت شاشتها أختها وثلاثة رجال –أحدهم طويل القامة بشكل غير عادي– وهم يغادرون المنزل في "روبليوفكا" ويركبون سيارة ليموزين. تابعتهم سالاندر على طول الطريق حتى مطار "دوموديدوفو" الدولي خارج موسكو.

-١١-

٢٥ أغسطس

تقلبّت فريدريكا نيمان في فراشها طوال الساعات الأولى من الفجر، ثم ألقت نظرة أخيرة على المنبه. كانت تأمل أن تكون الساعة الخامسة والنصف على الأقل. لكنها كانت الرابعة وعشرين دقيقة، فأطلقت شتيمة بصوت مسموع. لم تنم سوى خمس ساعات، لكنها أدركت – كما يدرك كل مصاب بالأرق – أنها لن تعود للنوم الآن، فنهضت وأعدت إبريقًا من الشاي الأخضر. لم تصل صحف الصباح بعد، فاستقرت عند طاولة المطبخ بصحبة هاتفها المحمول، تستمع إلى زقزقة العصافير. افتقدت المدينة. افتقدت وجود رجل حولها، أو أي شخص على الإطلاق لا يكون في سن المراهقة.

"لم أنم الليلة الماضية أيضًا، ولدي صداع وظهري يؤلمني"، كانت لتخبر أحدهم بذلك، وقد قالته بالفعل، ولكن لنفسها فقط. ثم توجب عليها أن ترد أيضًا: "يا لكِ من مسكينة يا فريدريكا".

كان سطح البحيرة ساكنًا بعد عواصف الليل، واستطاعت أن تلمح البجعتين المقيمتين هناك على مسافة قريبة. كانتا تنزلقان على الماء متجاورتين. أحيانًا كانت تحسدهما، ليس لأنها تريد أن تكون بجعة، بل لوجودهما معًا. يمكنهما أن يقضيا ليالٍ سيئة معًا. يشتكيان لبعضهما بلغة البجع... قلة النوم بدأت تؤثر عليها. تفقدت بريدها الإلكتروني ووجدت رسالة من شخص يدعو نفسه "واسب" (الدبور):

<حصلتُ على علامات التكرارات المترادفة القصيرة (STR markers) وتقارير التشريح من بلومكفيست. لدي فكرة حول أصول الرجل. تحليل الكربون-١٣ مثير للاهتمام. لكني أحتاج لتسلسل الجينوم الكامل. أظن أن الأسرع سيكون عبر مركز أوبسالا للجينوم (U.G.C). اجعليهم يعجلون بالأمر. ليس لدي وقت للانتظار.>

يا لها من نبرة وقحة لعينة، فكرت. لم تكلف نفسها عناء التوقيع حتى. لم لا تذهبين وتجرين تسلسلًا لنفسك؟ لم تكن تطيق هذا النوع من الباحثين غريبي الأطوار الذين يفتقرون للجاذبية. كان زوجها من نفس الطينة، ميؤوسًا منه تمامًا الآن وقد فكرت في الأمر. ثم قرأت الرسالة مرة أخرى وهدأت قليلًا. كانت فظة ومتسلطة، لكنها طلبت بالضبط ما كانت فريدريكا تفكر فيه، بل إنها في الواقع أرسلت عينة دم إلى مركز أوبسالا للجينوم قبل بضعة أيام وطلبت منهم هذا الأمر بالتحديد؛ إجراء تسلسل للتركيبة الجينية الكاملة.

كانت قد ضغطت عليهم بشدة وحثت أخصائيي المعلوماتية الحيوية على الإبلاغ عن أي طفرات أو اختلافات غير عادية. كانت تتوقع ردًا في أي لحظة الآن، لذا كتبت إليهم بدلًا من الرد على الباحثة المتطفلة، وقررت أن تتبنى نفس النبرة الحادة هي الأخرى:

<أحتاج لنتائج التسلسل الآن> كتبت.

أملت أن ينال توقيت الرسالة إعجابهم أيضًا. لم تكن الساعة قد بلغت الخامسة صباحًا بعد، وحتى البجعات في البحيرة بدت وكأنها ليست في مزاج جيد.

***

لم يكن متجر كورت ويدمارك للإلكترونيات في شارع هورنسغاتان قد فتح أبوابه بعد. لكن المفتشة سونيا موديغ لمحت رجلًا مسنًا منحني الظهر بالداخل، فطرقت الباب، وجاءها يجر قدميه بابتسامة متكلفة.

قال:

– "أنتِ مبكرة. لكن تفضلي بالدخول على أية حال."

عرّفت موديغ بنفسها وشرحت سبب مجيئها، فتصلب الرجل وبدا عليه الانزعاج، وراح يتذمر ويتمتم لبرهة. كان شاحبًا، بوجه أعوج قليلًا، وشعر طويل ممشط من الجانب ليغطي صلعة رأسه. كانت هناك مسحة من المرارة حول فمه.

قال:

– "الأمور سيئة بما يكفي في مجال عملي. منافسة من شركات الإنترنت والمتاجر الكبرى."

ابتسمت موديغ وحاولت إظهار التعاطف. كانت قد أمضت الجزء الأول من الصباح تتجول عشوائيًا وتطرح الأسئلة، وأخبرها شاب في صالون الحلاقة المجاور أن المتسول الذي تحدث عنه بوبلانسكي كان يقف كثيرًا عند نافذة متجر الإلكترونيات، يحدق في شاشات التلفاز بالداخل.

سألته:

– "متى رأيته لأول مرة؟"

أجاب كورت ويدمارك:

– "دخل المتجر مقتحمًا المكان قبل بضعة أسابيع ووقف أمام أحد أجهزتي."

– "ماذا كان يُعرض؟"

– "الأخبار، ومقابلة قاسية إلى حد ما مع يوهانس فورسيل حول انهيار سوق الأسهم والدفاع الشامل."

– "لماذا تعتقد أن المتسول قد يكون مهتمًا بذلك؟"

– "كيف لي أن أعرف بحق الجحيم؟ كنت أحاول إخراجه من المتجر في الغالب. لم أكن فظًا. لا يهمني مظهر الناس، لكنني أخبرته أنه يخيف زبائني."

– "بأي طريقة؟"

– "وقف هناك يتمتم لنفسه، وكانت رائحته كريهة جدًا. بدا لي وكأن عقله به لوثة."

– "هل سمعت ما كان يقوله؟"

– "أوه نعم، سألني بوضوح شديد بالإنجليزية عما إذا كان فورسيل رجلًا مشهورًا الآن. فوجئت قليلًا، لكني أخبرته نعم، هو كذلك بالتأكيد. إنه وزير الدفاع – وهو غني جدًا."

– "هل بدا وكأنه يعرف فورسيل قبل أن يصبح مشهورًا؟"

– "لا أستطيع الجزم. لكني أذكره يقول: «مشكلة، الآن هو لديه مشكلة؟». طرح السؤال وكأنه يريد أن تكون الإجابة بنعم."

– "وماذا قلت أنت؟"

– "قلت له نعم، بالتأكيد، لديه مشاكل كبيرة. لقد تورط في كل أنواع التلاعب والحيل بأسهمه، ونفذ بعض الانقلابات داخل القصر من وراء الكواليس."

– "لكن بالتأكيد هذه ليست سوى شائعات فارغة؟"

– "حسنًا، القصص كانت تدور وتنتشر."

قالت موديغ:

– "وماذا حدث للمتسول حينها؟"

– "بدأ يصرخ ويثير جلبة، فأمسكت بذراعه وحاولت اقتياده للخارج. لكنه كان قويًا وأشار إلى وجهه. صرخ: «انظر إليّ. انظر ماذا حل بي! وأنا أخذته. وأنا أخذته». أو شيء من هذا القبيل. بدا يائسًا تمامًا، فتركته يبقى هناك لبعض الوقت، وبعد مقابلة فورسيل كان هناك تقرير عن المدارس في السويد، وظهرت تلك الساحرة المتعجرفة من الطبقة العليا وراحت تتفلسف."

شعرت موديغ بانزعاج متزايد.

– "أي «ساحرة من الطبقة العليا» تقصد؟"

– "المدعوة ليندالس. تتحدثين عن الغطرسة. لكن ذلك المتسول حدق فيها وكأنه رأى ملاكًا، وتمتم: «امرأة جميلة جدًا جدًا. هل هي تنتقد فورسيل أيضًا؟» وحاولت القول إن الأمر لا علاقة له بالآخر. لكنه لم يبدُ أنه يفهم. كان خارجًا عن شعوره. لكن بعد ذلك بقليل غادر المكان."

– "ثم عاد؟"

– "عاد كل يوم في نفس الوقت، قبل الإغلاق بقليل، لمدة أسبوع تقريبًا. كان يقف في الخارج، يحدق عبر النافذة، ويسأل زبائني عن صحفيين، أناس يمكنه الاتصال بهم. في النهاية انزعجت جدًا لدرجة أنني اتصلت بالشرطة، لكن بالطبع لم يكترث أحد هناك للأمر."

– "إذًا لم تحصل على اسم، ولا أي معلومة أخرى عن الرجل؟"

– "قال إنه يُدعى سردار."

– "سردار؟"

– "«اسمي سردار»، هذا ما قاله عندما حاولت طرده ذات مساء."

– "حسنًا، هذا أفضل من لا شيء."

شكرت موديغ ويدمارك وغادرت.

في المترو وهي في طريقها إلى فريدهلمسبلان ومقر الشرطة، بحثت في غوغل عن "سردار". كانت كلمة فارسية قديمة تشير إلى الأمراء والنبلاء، أو قادة مجموعة أو قبيلة بشكل عام. كانت تُستخدم في الشرق الأوسط وفي وسط وجنوب شرق آسيا. ويمكن كتابتها أيضًا Sirdar أو Sardaar أو Serdar. أمير، فكرت موديغ. أمير في ثياب متسول. يالها من قصة. لكن الحياة الواقعية لا تشبه القصص الخيالية أبدًا.

***

استغرقهم الأمر بعض الوقت للمغادرة، وليس فقط لأنهم فشلوا في التقاط أي أثر لـ ليزبيث سالاندر. كان إيفان غالينوف، عميل الاستخبارات العسكرية الروسية (G.R.U) السابق، مشغولًا بأمور أخرى أيضًا، وكانت كاميلا مصرة على اصطحابه معها. كان في الثالثة والستين، رجلًا واسع الاطلاع ذا خبرة تمتد لسنوات في العمل الاستخباراتي والتجسس. كان متعدد اللغات (Polyglot)؛ يتحدث إحدى عشرة لغة بطلاقة ويمكنه التبديل بين اللهجات المختلفة. في بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا، كان يمكن أن يمر كمواطن أصلي. كان طويل القامة ونحيلًا ويحمل نفسه بوقار، وكان بلا شك رجلًا وسيمًا، بشعر رمادي وسوالف بيضاء، رغم أن ملامحه كانت تشبه الطيور الجارحة نوعًا ما. وجهًا لوجه، كان دائمًا مهذبًا وشهمًا، ومع ذلك كان يثير الخوف في النفوس؛ كانت هناك شائعات عن أحداث في حياته أضفت ثقلًا لهذا الجانب من شخصيته، وكشفت المزيد عن حقيقته.

إحدى القصص تعلقت بفقدانه لإحدى عينيه خلال الحرب في الشيشان. استبدلها بعين صناعية من المينا، قيل إنها الأفضل في السوق. ووفقًا للحكاية — التي استوحت نكتة قديمة عن موظف قروض في بنك — لم يستطع أحد التمييز بين العين الحقيقية والعين الصناعية، حتى أدرك أحد مرؤوسي غالينوف الحقيقة البسيطة: "العين التي بها بريق خافت من الإنسانية هي العين الصناعية."

قصة أخرى دارت حول المحرقة في الطابق الثاني تحت الأرض بمقر الاستخبارات العسكرية في خودينكا. زُعم أن غالينوف أخذ زميلًا له هناك وأحرقه حيًا لبيعه مواد سرية للبريطانيين. قيل إن حركاته كانت

تصبح أبطأ وتتوقف عيناه عن الرمش عندما كان يعذب أعداءه. ربما كان معظم هذا مجرد كلام، مبالغات تحولت إلى أساطير، ورغم أن كاميلا نفسها استخدمت قوة تلك القصص للحصول على ما تريد، إلا أن ذلك لم يكن ما تثمّنه فيه أكثر من غيره.

كان غالينوف مقربًا من والدها؛ أحبه وأعجب به كما فعلت هي، وكما حدث معها، خُذل هو الآخر. تلك التجربة خلقت بينهما رابطًا مصيريًا. وجدت في غالينوف التفهم لا القسوة، والاهتمام الأبوي، ولم تجد صعوبة أبدًا في تمييز أي العينين هي الحقيقية. علمها غالينوف كيف تواصل القتال، ومؤخرًا فقط، عندما اتضح لها كم كانت الضربة قاصمة له قبل كل تلك السنوات حين انشق زالاتشينكو ولجأ إلى السويد، سألته:

– "كيف نجوت؟"

– "بنفس الطريقة التي نجوتِ بها أنتِ يا كيرا."

– "وكيف ذلك؟"

– "لقد نجوتِ بأن أصبحتِ مثله."

كانت كلمات أخذتها على محمل الجد. كلمات أخافتها ومنحتها القوة في آن واحد، وغالبًا، كما هو الحال الآن والماضي يطاردها، أرادت أن يكون غالينوف قريبًا منها. في حضرته، لم تكن تخشى أن تكون طفلة صغيرة مجددًا. كان الشخص الوحيد في السنوات الأخيرة الذي رآها تبكي، والآن، وهي متجهة إلى مطار أرلاندا وستوكهولم في طائرتها الخاصة، التمست ابتسامته.

قالت:

– "شكرًا لمجيئك."

– "سنمسك بها يا عزيزتي. سننال منها."

أجاب وهو يربت بحنان على يدها.

***

لا بد أن سالاندر قد نامت بعد رؤية كاميلا وحاشيتها ينطلقون نحو المطار، لأنها استيقظت لتجد ورقة على الطاولة الجانبية تقول إن بولينا نزلت لتناول الإفطار. لكن الساعة كانت الآن الحادية عشرة وعشر دقائق، ولا بد أن غرفة الطعام قد أُغلقت. بقيت سالاندر في غرفتها وشتمت نفسها حين تذكرت أنها التهمت آخر ما تبقى من الوجبات الخفيفة في الثلاجة الصغيرة (M ini-bar). شربت الماء من الصنبور ثم استحمت وارتدت الجينز وتيشيرت أسود، وجلست إلى المكتب لتفقد بريدها الإلكتروني. تلقت ملفين حجمهما يتجاوز عشرة غيغابايت، مع رسالة من الطبيبة الشرعية الدكتورة فريدريكا نيمان:

<مرحبًا، أنا لست غبية. من البديهي أنني طلبت بالفعل التسلسل الكامل. حصلت عليه هذا الصباح. لا أعرف مدى دقة عمل الشباب هناك، لكنهم أشاروا لبعض الحالات الشاذة. لدي أخصائيي الخاصين بالطبع، لكن لن يضر أن تلقي نظرة أنتِ أيضًا. أرسل ملفًا معدلًا مع شروحات، وملف FastQ بالبيانات الخام، في حال فضلتِ العمل عليها مباشرة. سأقدر تعليقًا سريعًا. ف.ن.>

تجاوزت سالاندر الغضب الكامن بين السطور، وعلى أية حال فقد تشتت انتباهها سريعًا. رأت أن كاميلا الآن في السويد، على طريق E-٤ من أرلاندا متجهة إلى ستوكهولم. قبضت على يديها وتساءلت لبرهة عما إذا كان ينبغي عليها الذهاب إلى هناك الآن أيضًا. لكنها بقيت عند المكتب وفتحت الملفات التي أرسلتها المدعوة نيمان، تاركة

الصفحات تتمرر أمام عينيها مثل شريط ميكروفيلم وامض. لماذا أفعل هذا أصلًا، هل يهمّني الأمر حقًا؟

قررت التركيز وإلقاء نظرة حاليًا، على الأقل ريثما تقرر خطوتها التالية. كانت تعلم أن هذا هو المجال الذي تتفوق فيه دائمًا.

كانت سالاندر قادرة على استيعاب محتوى أكثر المستندات ضخامة في وقت قصير جدًا، ولهذا فضلت، كما شكت نيمان، العمل مباشرة على البيانات الخام. بهذه الطريقة تتجنب التأثر بآراء وشروحات الآخرين. استخدمت برنامج SAMtools لتحويل المعلومات إلى ما يسمى ملف BAM، وهو مستند يحتوي على الجينوم الكامل، وهذا في حد ذاته لم يكن إنجازًا هينًا.

بطريقة ما، كان الأمر أشبه بفك شيفرة عملاقة تتكون من أربعة أحرف: A وC وG وT، وهي القواعد النيتروجينية: الأدينين، السيتوزين، الغوانين، والثايمين. للوهلة الأولى، بدا الأمر ككتلة واحدة كبيرة غير مفهومة. لكنه في الحقيقة كان شيفرة لحياة كاملة.

في البداية، بحثت ليزبيث عن انحرافات، أي انحرافات، عبر تمشيط الفهارس ودراسة الرسوم البيانية. ثم انتقلت إلى برنامج عرض ملفات BAM الخاص بها (I.G.V)، وقارنت قطاعات محددة وعشوائية بتسلسلات الحمض النووي لأشخاص آخرين وجدتهم في "مشروع الـ ١٠٠٠ جينوم"[٧] — معلومات جينية جُمعت من جميع أنحاء

[٧] مشروع الألف جينوم:(*Genomes Project*) مشروع علمي دولي أُطلق عام ٢٠٠٨ بهدف رسم خريطة دقيقة للتنوّع الجيني البشري، عبر تحليل جينومات آلاف الأفراد من أعراق مختلفة، لتحسين فهم الأمراض الوراثية وتطوير الطب الشخصي

العالم – وحينها اكتشفت شذوذًا في تردد rs-٤٩٥٤ فيما يعرف بجين EPAS-١، الذي ينظم إنتاج الهيموغلوبين في الجسم.

كان هناك شيء مختلف بشكل مثير للدهشة لدرجة أنها أجرت بحثًا فوريًا في قاعدة بيانات PubMed، وبعد فترة وجيزة هتفت فجأة بصوت عالٍ وهزت رأسها. هل هذا ممكن حقًا؟ كان لديها حدس بأن الأمر قد يكون شيئًا كهذا، لكنها لم تتوقع رؤيته مثبتًا بالأدلة القاطعة بهذه السرعة. وبتركيز تام الآن، نسيت أمر أختها في ستوكهولم تمامًا، ولم تلحظ حتى أن بولينا قد دخلت الغرفة وألقت عليها التحية قبل الدخول إلى الحمام.

انصب تركيز سالاندر بالكامل الآن على معرفة المزيد عن هذا المتغير من جين EPAS-١. لم يكن نادرًا للغاية فحسب، بل كان له خلفية مذهلة، تعود أصولها إلى "إنسان دينيسوفا" (Denisova hominins)، وهو نوع فرعي من البشر (homo sapiens) انقرض قبل أربعين ألف سنة.

لفترة طويلة كان الـ "دينيسوفان" مجهولين للعلماء، لكن تم الاعتراف بوجودهم منذ أن اكتشف علماء آثار روس شظية عظمة وسنًا لامرأة في كهف دينيسوفا بجبال ألتاي في سيبيريا عام ٢٠٠٨. وبدا أنه في سياق التاريخ، تزاوج الـ "دينيسوفان" مع البشر في جنوب آسيا ونقلوا بعض جيناتهم للبشر المعاصرين، ومن بينها هذا المتغير من EPAS-١.

بفضل هذا المتغير، يستطيع الجسم استيعاب حتى الكميات الضئيلة من الأكسجين. فهو يجعل الدم أقل كثافة ويساعده على الدوران بشكل أسرع، مما يقلل من خطر تجلط الدم والوذمة

(Oedema). وهو مفيد بشكل خاص للأشخاص الذين يعيشون ويعملون في المرتفعات العالية، حيث مستويات الأكسجين منخفضة، وهذا طابق افتراضات سالاندر الأولية المبنية على إصابات المتسول وعمليات البتر وتحليل الكربون-١٣ الخاص به.

ولكن رغم امتلاكها الآن لهذا المؤشر الواضح، لم تستطع الجزم. كان المتغير نادرًا ولكنه موجود في أجزاء مختلفة من العالم، لذا فحصت كروموسوم Y والحمض النووي الميتوكوندري للرجل، ورأت أنه ينتمي إلى المجموعة الفردية C٤a٣b١ (Haplogroup)، وبمجرد التحقق من ذلك تلاشت شكوكها المتبقية.

توجد تلك المجموعة فقط بين الناس الذين يعيشون عاليًا على منحدرات الهيمالايا في نيبال والتبت، والذين يعملون غالبًا كحمالين أو مرشدين في بعثات المرتفعات العالية.

الرجل كان من الـ "شيربا".

II

سكان الجبال

٢٥ – ٢٧ أغسطس

يعد الشيربا مجموعة عرقية تقطن منطقة جبال الهيمالايا في نيبال، ويعمل الكثير منهم أدلاء أو حمالين في البعثات الاستكشافية التي تستهدف المرتفعات الشاهقة.

يدين أغلبهم بـ "النيِنغما"، وهي مدرسة قديمة من مدارس البوذية، ويؤمنون بأن الآلهة والأرواح تسكن الجبال؛ لذا يحرصون على احترام هذه الآلهة وتبجيلها وفق طقوس دينية دقيقة.

ويعتقدون أن الـ "لاوا" —وهو الكاهن أو الشامان— يملك القدرة على مساعدة أي فرد من الشيربا إذا ما ألمّ به مرض أو تعرض لحادث.

-١٢-

٢٥ أغسطس

كانت الغيوم الداكنة تتراكم فوق عرض البحر، بينما انهمك بلومكفيست، في كوخه بـ سندهامن، في رحلة بحث عشوائية عبر الإنترنت. وجد نفسه ينجذب مراراً وتكراراً نحو المعلومات المتعلقة بـ يوهانس فورسيل. كان يصادفه أحياناً في متجر البقالة أو عند المرفأ، كما سبق له أن أجرى معه مقابلة صحفية حين تولى منصب وزير الدفاع قبل ثلاث سنوات، في أكتوبر ٢٠١٧.

تذكر حينها كيف انتظر في غرفة فسيحة تملأ جدرانها الخرائط، قبل أن يطل فورسيل برأسه من وراء الباب كصبي مرح وصل لتوه إلى حفلة.

قال له:

– "ميكائيل بلومكفيست! يا إلهي، كم هذا رائع!"

لم يعتد بلومكفيست أن يلقى ترحيباً كهذا من السياسيين، ولعل كان عليه أن يفسر الأمر كونه محاولة للتودد إليه. لكن فورسيل كان يشع بحماس صادق، ولا يزال بلومكفيست يتذكر كم كان حوارهما ممتعاً؛ فقد كان الرجل حاضر الذهن، متمكناً من ملفاته، ويجيب إجابات حقيقية، كأن الأسئلة تثير فضوله الشخصي ولا يحركها منطق الحزب. ومع ذلك، بقيت ذكرى "حلويات الدنمارك" هي الأكثر

وضوحاً في ذهنه؛ فلطالما كانت الطاولة تزدحم بأطباق منها، رغم أن فورسيل لم يكن يبدو أبداً من طينة الرجال الذين يتناولون مثل هذه الحلويات.

كان طويلاً، مفتول العضلات، وبنيته الجسدية مثالية. أخبره يومها أنه يركض لمسافة خمسة كيلومترات ويقوم بمئتي تمرين ضغط كل صباح، ولم تبدُ عليه أي علامة من علامات التراخي. لعل تلك الحلويات كانت مجرد محاولة منه للظهور بمظهر الشخص البسيط القريب من عامة الناس؛ نخبوياً يحاول التظاهر بالعفوية، تماماً كما فعل حين صرح لصحيفة "أفتونبلادت" بأنه يعشق مسابقة "ميلوديفيستيفالن" الغنائية السنوية، ليعجز بعدها عن الإجابة على سؤال واحد يتعلق بها.

أدركا يومها أنهما في العمر نفسه، رغم أن فورسيل كان يبدو أصغر سناً بلا شك، ومن المؤكد أنه سيتفوق في أي فحص طبي. كان يفيض طاقة وتفاؤلاً، حيث قال: "يبدو العالم مكاناً مظلماً، لكننا نحرز تقدماً. دعنا لا ننسى أن الحروب آخذة في التناقص"، ثم أهدى بلومكفيست كتاباً لـ ستيفن بينكر كان ملقى في مكان ما، ولا يزال دون قراءة حتى اليوم.

وُلد فورسيل في "أوسترشوند" لعائلة تملك مشروعاً صغيراً يتكون من نزل وقرية عطلات في "أوره". برز في مدرسته منذ نعومة أظفاره، وكان متسابقاً واعداً في تزلج المسافات الطويلة، مما أهله للالتحاق بمدرسة ثانوية متخصصة في "سولفتيو" للمواهب الشابة في الرياضات الشتوية. وبعد تقييم قدراته عند استدعائه للخدمة العسكرية، قُبل في مدرسة المترجمين التابعة للقوات المسلحة السويدية، حيث تعلم اللغة

الروسية وأصبح ضابطاً في جهاز المخابرات والأمن العسكري (Must). ولأسباب بديهية، ظلت سنوات خدمته في الجهاز هي الجزء الغامض في حياته. ومع ذلك، فمن المحتمل أنه كان يراقب أنشطة المخابرات العسكرية الروسية (G.R.U.) في السويد؛ وهو ما تكشف من معلومات سُربت لصحيفة "الغارديان" عقب ترحيله من روسيا، حيث كان يعمل ملحقاً في السفارة السويدية في أواخر خريف ٢٠٠٨.

في فبراير من العام التالي، توفي والده، فاستقال من منصبه ليتولى إدارة أعمال العائلة، وفي وقت قياسي حولها إلى إمبراطورية كبرى؛ فبنى فنادق في "أوره"، و"سالين"، و"فيمدالين"، و"يارفسو"، وامتدت استثماراته إلى النرويج في "غيلو" و"ليليهامر". وفي عام ٢٠١٥، تمكن من بيع المجموعة لمجموعة سياحية ألمانية مقابل نحو مئتي مليون كرونة، لكنه احتفظ ببعض المصالح الصغيرة في "أوره" و"أبيسكو".

في العام نفسه، انضم إلى حزب العمال الديمقراطي الاشتراكي، وانتُخب عضواً في المجلس البلدي في "أوسترشوند" دون أي خبرة سياسية حقيقية، وسرعان ما ذاع صيته واكتسب شعبية كبيرة بفضل قدرته على إنجاز الأمور وولائه المطلق لفريق كرة القدم المحلي. تدرج سريعاً في المناصب حتى وجد نفسه وزيراً للدفاع، وبدا الأمر لفترة وكأنه ضربة معلم إعلامية للحكومة.

كان يُتحدث عنه كبطل ومغامر بفضل إنجازين كبيرين حققهما بجانب مسيرته المهنية: عبور بحر المانش سباحة في صيف ٢٠٠٢، وتسلق جبل إيفرست بعد ست سنوات، في مايو ٢٠٠٨. لكن سرعان ما انقلبت الآية، ولعل ذلك يعود إلى تصريحه الصارم بأن روسيا كانت

تدعم حزب "ديمقراطيي السويد" المناهض للأجانب خلال الحملة الانتخابية.

تعرض لهجمات ازدادت ضراوة مع الوقت، لكنها لم تكن شيئاً مقارنة بما تلاها. فبعد انهيار البورصة في يونيو، انهمر عليه سيل من الأخبار الزائفة، ولم يكن من الصعب التعاطف مع زوجته النرويجية ريبيكا التي وصفت تلك الأكاذيب في مقابلة مع صحيفة "داغينز نيهيتر" بأنها "وقحة"، وأضافت أن طفليهما باتا بحاجة إلى حراس شخصيين. ساد جو من الحقد والهياج، وكانت الحملة تزداد حدة يوماً بعد يوم.

أظهرت الصور الصحفية الأخيرة فورسيل لا كرجل يملك مخزوناً لا ينضب من الطاقة، بل بدا هزيلاً غائر العينين، وفي يوم الجمعة الماضي، أخذ فجأة إجازة غير متوقعة لمدة أسبوع، وترددت شائعات عن إصابته بانهيار عصبي. وأياً كانت الزاوية التي ينظر منها بلومكفيست للأمر، لم يسعه إلا أن يشعر بالأسف تجاهه؛ وهو ما قد يكون الموقف الخاطئ تماماً، خاصة الآن وهو يحقق فيما إذا كان للرجل أي صلة بالمتسول أو حتى بـ ماتس سابين، المؤرخ العسكري.

هل لا يزال من المنطقي افتراض أن فورسيل هو مثال النزاهة والحماس؟

وفقاً لحملة التشويه، قيل إنه استعان بقارب التجديف الذي كان يرافقه أثناء سباحة المانش ليرتاح فيه، كما كانت هناك تلميحات تشكك في وصوله لقمة إيفرست من الأساس. لكن بلومكفيست لم يجد أي دليل يدعم هذه الاتهامات، باستثناء حقيقة أن الرحلة الاستكشافية إلى إيفرست كانت كارثة مدوية، أشبه بمأساة إغريقية لا يمكن فيها الجزم بأي شيء.

لم يكن فورسيل نفسه هو محور تلك القصة؛ فقد كان بعيداً عن بؤرة الاضطراب التي شهدت وفاة المرأة الأمريكية الثرية بشكل فاحش، كلارا إنجلمان، مع دليلها فيكتور غرانكين على ارتفاع ثمانية آلاف وثلاثمائة متر. لم يتوسع بلومكفيست في البحث في ذلك الجانب، وركز بدلاً من ذلك على معرفة المزيد عن مسيرة فورسيل كضابط.

كان من المفترض أن تظل حقيقة عمله كعميل مخابرات سرية، لكنها تسربت عند ترحيله من روسيا، ورغم الشائعات الأكثر عبثية التي تداولتها حملة الكراهية الحالية، إلا أن القائد العام للجيش، لارس غرانث، وصف دور فورسيل في موسكو عدة مرات بأنه كان "شريفاً للغاية".

لم تكن هناك حقائق صلبة أخرى تذكر، وفي النهاية كفّ بلومكفيست عن البحث، واكتفى بتدوين أن يوهانس وريبيكا لديهما ابنان، صموئيل وجوناثان، يبلغان من العمر أحد عشر عاماً وتسعة أعوام. تعيش العائلة في "ستوكسوند" خارج ستوكهولم، لكنهم يملكون أيضاً منزلاً ريفياً ليس بعيداً، على الشاطئ الجنوبي الشرقي لجزيرة "ساندون". هل هم هناك الآن؟

كان بلومكفيست يملك رقم فورسيل الخاص. "اتصل بي إن كان لديك أي سؤال"، هكذا قال له بأسلوبه المتواضع المعهود. لكن بلومكفيست لم يرَ سبباً لإزعاجه في هذه اللحظة، وكان الأحرى به أن ينسى كل هذا ويأخذ قيلولة؛ فقد كان يشعر بتعب شديد، لكنه لم يكن مستعداً للاستسلام للراحة لمجرد ذلك. اتصل بالمفتش العام بوبلانسكي وتحدث معه عن سالاندر مجدداً، وأبلغه بما قد قاله المتسول عن ماتس سابين، رغم أنه أضاف:

– "أنا واثق بأن الأمر لا يعدو كونه لا شيء."

***

خرجت بولينا مولر من الحمام مرتدية برنس استحمام أبيض، ورأت أن سالاندر لا تزال مستغرقة أمام حاسوبها المحمول. وضعت يدها برفق على كتفها. لم تعد سالاندر تحدق في ذلك المنزل الكبير خارج موسكو كما كانت تفعل عادة، بل كانت تقرأ مقالاً، وكالعادة لم تستطع بولينا مواكبتها؛ فهي لم تقابل في حياتها شخصاً يلتهم السطور بمثل هذه السرعة. كانت الجمل تومض على الشاشة وتتلاشى، لكنها التقطت كلمات مثل "...جينوم الـ Denisovan وجينوم بعض سكان جنوب آسيا..."، وحينها فقط تملكها الفضول. فقد سبق لها في مجلة "جيو" أن كتبت عدة مقالات عن أصول الإنسان العاقل (homo sapiens) وقرابته مع إنسان "النياندرتال" وإنسان "الدينيسوفان".

قالت:

– "لقد كتبت عن هذا الموضوع من قبل."

لم تجب سالاندر، وهو ما أثار حنق بولينا. صحيح أن سالاندر تتولى رعاية كل شيء وتحميها، لكنها كانت غالباً ما تشعر بالوحدة والإقصاء؛ فلم تعد تطيق صمت سالاندر أو قضائها ساعات لا تنتهي أمام الحاسوب. خاصة في الليل، كان الأمر يصيبها بالجنون، والليل بحد ذاته كان سيئاً بما فيه الكفاية؛ فهناك تستعر بداخلها كل الأشياء الفظيعة التي فعلها توماس، وتغرق في أحلام الانتقام والقصاص. في تلك الساعات كانت بحاجة حقيقية لـ ليزبيث، لكن سالاندر كانت منشغلة بجحيمها الخاص. أحياناً يكون جسدها متشنجاً لدرجة أن بولينا لا تجرؤ على الاقتراب منها. وكيف يمكن لشخص أن ينام بهذا

القدر الضئيل؟ كلما استيقظت بولينا، وجدت سالاندر مستلقية بجانبها وعيناها مفتوحتان، تصيخ السمع لأي صوت في الردهة، أو جالسة خلف المكتب تراقب لقطات كاميرات المراقبة وصور الأقمار الصناعية. شعرت بولينا أنها لم تعد تحتمل استبعادها، ليس وهما تعيشان بهذا القرب، وأرادت أن تصرخ:

من الذي يطاردكِ؟ وما الذي تخططين له؟

سألتها:

– "ماذا تفعلين؟"

لم تتلقَّ جواباً هذه المرة أيضاً، لكن سالاندر التفتت على الأقل ورمقتها بنظرة شعرت بولينا وكأنها يد ممدودة؛ فقد كان في عينيها ضوء جديد أكثر ليونة.

سألت مجدداً:

– "ماذا تفعلين؟"

قالت سالاندر:

– "أحاول اكتشاف هوية رجل ما."

– "رجل؟"

– "أحد أفراد الشيربا، تجاوز الخمسين بقليل، فارق الحياة الآن. ربما هو من وادي (خومبو) في شمال شرق نيبال، ورغم احتمال كونه من (سيكيم) أو (دارجيلنغ) في الهند، إلا أن المؤشرات تشير في الغالب إلى نيبال، والمنطقة المحيطة بـ (نامتشي بازار). تنحدر عائلته من شرق التبت، ويبدو أنه كان يتبع في طفولته نظاماً غذائياً يفتقر إلى الدهون."

كان صدور هذا الكلام من ليزبيث أشبه بمحاضرة كاملة، وتهلل وجه بولينا وهي تجلس على كرسي بجانبها.

سألتها:

– "أي شيء آخر؟"

– "لديّ بيانات الـ DNA الخاصة به وتقرير التشريح. بالنظر للإصابات التي يعاني منها، أنا متأكدة أنه كان حمالاً أو دليلاً في بعثات تسلق المرتفعات الشاهقة، ولا بد أنه كان بارعاً جداً في عمله."

– "ما الذي يجعلكِ تقولين ذلك؟"

– "كان يملك وفرة غير عادية في الألياف العضلية من النوع الأول، وكان على الأرجح قادراً على حمل أوزان ثقيلة دون استهلاك قدر كبير من الطاقة. لكن السبب الرئيسي هو الجين الموجود في جسده والذي ينظم الهيموجلوبين في دمه؛ فلا بد أنه كان يتمتع بقوة وتحمل هائلين في البيئات منخفضة الأكسجين. أشك في أنه مر بتجارب مريرة؛ فقد أصيب بعضات صقيع حادة وتمزقات عضلية، كما أن عدة من أصابع يديه وقدميه كانت مبتورة."

– "هل تملكين بيانات كروموسوم Y الخاص به؟"

– "لديّ الجينوم الكامل."

– "ألا يجب عليكِ التحقق من قاعدة بيانات YFull في هذه الحالة؟"

كانت YFull شركة روسية –سبق لـ بولينا أن كتبت عنها قبل عام تقريباً– يديرها فريق من الرياضيين والبيولوجيين والمبرمجين الذين يجمعون بيانات الـ DNA لكروموسوم Y من أشخاص حول العالم، سواء من متطوعين في دراسات أكاديمية أو أشخاص أرسلوا عيناتهم لمعرفة المزيد عن أصولهم.

قالت سالاندر:

– "فكرت في التحقق من Familytree وAncestry، ولكنكِ تقترحين YFull؟"

– "أعتقد أنهم الأفضل؛ فالشركة يديرها أشخاص من طينتكِ، حفنة من "المهووسين" (nerds) حتى النخاع."

– "حسناً، لكنني أظن أن الأمر سيكون صعباً."

– "لماذا؟"

– "تخميني هو أن الرجل ينتمي لمجموعة لا تخضع بيانات الـ DNA الخاصة بها للتحليل بكثرة."

– "ربما توجد مواد لأقاربه في التقارير العلمية؟ صدف أنني أعرف أن هناك قدراً كبيراً من الأبحاث حول سبب كون الشيربا متسلقين أكفاء في المرتفعات الشاهقة."

قالت بولينا ذلك وهي تشعر بالفخر لمشاركتها الفعلية في الأمر.

قالت سالاندر، وقد بدأ ذهنها يشرد بعيداً:

– "هذا صحيح."

– "وهم مجموعة سكانية صغيرة جداً، أليس كذلك؟"

– "لا يتجاوز عدد الشيربا في العالم كله عشرين ألفاً بقليل."

– "حسناً، إذاً؟"

قالتها وهي تأمل أن يحاولا القيام بالأمر معاً. لكن سالاندر فتحت رابطاً آخر على حاسوبها المحمول: خارطة لستوكهولم.

– "لماذا هذا الأمر مهم جداً بالنسبة لكِ؟"

أجابت سالاندر:

– "ليس مهماً."

أظلمت عينا سالاندر، فنهضت بولينا وهي تشعر بالحرج، وارتدت ملابسها في صمت. غادرت الغرفة والفندق وانطلقت تمشي نحو قلعة براغ.

-١٣-

٢٥ أغسطس

وقعت ريبيكا فورسيل، التي كانت تُعرف آنذاك باسم ريبيكا لوف، في حب قوة يوهانس وروحه المرحة. كانت تعمل طبيبة في بعثة فيكتور غرانكين إلى جبل إيفرست، ولطالما ساورتها الشكوك حول مهمتها. كما لم تكن غافلة عن الانتقادات التي وُجهت إليهم. كانت "تجارة إيفرست" موضوعًا ساخنًا في تلك السنوات. دار الحديث عن زبائن اشتروا لأنفسهم مكانًا على القمة، تمامًا كما يشتري آخرون سيارة "بورش". لم يُعتبروا مدنسين لنقاء رياضة تسلق الجبال فحسب، بل اتُهموا أيضًا بزيادة المخاطر على الآخرين فوق الجبل. كانت ريبيكا قلقة من أن الكثيرين في مجموعتهم يفتقرون للخبرة الكافية ببساطة، وربما يوهانس خاصة، إذ لم يسبق له الصعود فوق خمسة آلاف متر.

ولكن بمجرد وصولهم إلى مخيم القاعدة وبدء معاناة الآخرين من السعال والصداع والشكوك حول المشروع برمته، أصبح يوهانس أقل همومها. كان يقفز حرفيًا على الركام الجليدي، ويصادق الجميع، حتى السكان المحليين، ربما لأن موقفه تجاههم كان طبيعيًا تمامًا ومحترمًا دائمًا. كان يمازحهم، كما يفعل مع أي شخص آخر، ويسرد عليهم قصصه الطريفة.

كان رجلًا مستقلًا بذاته واعتُبر شخصًا أصيلًا. لكن ريبيكا لم تكن متأكدة مما إذا كان هذا صحيحًا تمامًا. في رأيها، كان مفكرًا قرر بوعي أن يرى العالم من منظور إيجابي، مما زاد من جاذبيته في نظرها. في كثير من الأحيان، كل ما أرادته هو الانطلاق معه ومعانقة الحياة بملء ذراعيها.

صحيح أنه مر بأزمة عميقة بعد وفاة كلارا وفيكتور. لسبب ما، أثرت المأساة فيه بشكل أعمق مما أثرت في الآخرين. دخل في اكتئاب حاد، ومر وقت طويل قبل أن يستعيد ذاته المرحة والمفعمة بالطاقة. بعد ذلك أخذها إلى باريس وبرشلونة، وفي أبريل من العام التالي — بعد بضعة أشهر فقط من وفاة والده — تزوجا في أوسترسوند، وودعت هي منزلها في بيرغن بالنرويج دون أن تنظر خلفها أبدًا.

أحبت أوسترسوند وآره وكل ما يتعلق بالتزلج، وأحبت يوهانس. لم تستغرب أبدًا ازدهار أعماله وانجذاب الناس إليه، أو حتى أنه أصبح غنيًا وعُين وزيرًا في الحكومة بهذه السرعة. كان ظاهرة. بدا وكأنه يركض بلا توقف، ومع ذلك كان قادرًا على التأمل في نفس الوقت، وربما كان هذا هو السبب في ندرة غضبها منه. لم يكن يلتقط أنفاسه أبدًا، وكان يؤمن إيمانًا راسخًا بأن أي مشكلة يمكن حلها بمجرد التشمير عن السواعد وبذل جهد أكبر قليلًا. الجانب السلبي في ذلك هو أنه كان يضغط على أولادهما كثيرًا.

"يمكنكم فعل أفضل من ذلك"، كان يقول دائمًا، ورغم أنه لم يفشل أبدًا في تشجيعها، إلا أنه نادرًا ما وجد الوقت ليأخذ مخاوفها على محمل الجد.

كان يقبلها ويقول: "تستطيعين فعل ذلك يا بيكا، تستطيعين".

أصبح أكثر انشغالًا، خاصة بعد تعيينه وزيرًا، وغالبًا ما عمل حتى ساعات الصباح الأولى، ومع ذلك كان يستيقظ مبكرًا ليقطع خمسة كيلومترات ويمارس تمارين الـ(Navy Seals) كما كان يسميها، وهي تدريبات بوزن الجسم. كانت الوتيرة تفوق طاقة البشر. لكنه أحب ذلك، كما ظننت، ولم يبدُ أنه يكترث لتغير الرياح، وأن الشخص الذي كان موضع إعجاب كبير أصبح الآن هدفًا للكثير من الإساءة.

كانت هي من تعاني أكثر. في آخر الليل وأول الصباح، كانت تبحث عن اسمه في "غوغل" بشكل قهري، وتجد أفظع التعليقات والاتهامات، وأحيانًا، في أحلك ساعاتها، كانت تظن أن كل ذلك خطؤها — تلوم جذورها اليهودية. حتى يوهانس، الذي كان نموذجًا آريًا بامتياز، وقع ضحية لتلك الحملات المعادية للسامية، ومع ذلك ظل لفترة طويلة يقلل من شأنها ويحتفظ بتفاؤله.

"سيجعلنا هذا أقوياء يا بيكا، وقريبًا سيتغير كل شيء."

ولكن في النهاية، لا بد أن الأكاذيب قد نالت منه أيضًا. ليس أنه اشتكى أو تذمر لثانية واحدة. كان شخصًا يعمل حماسه بنظام الطيار الآلي، ويوم الجمعة الماضي أخذ إجازة لمدة أسبوع — دون سابق إنذار أو تفسير — مما سبب صداعًا أو اثنين لموظفيه بالتأكيد. لهذا السبب كانوا الآن في ساندون، في منزلهم بجوار الماء، بينما كان الأولاد مع والدته. جاؤوا برفقة الحراس الشخصيين الحتميين، مما يعني أنه كان عليها التحدث إليهم والاعتناء بهم. اختفى يوهانس في مكتبه بالطابق العلوي. بالأمس سمعته يصرخ في الهاتف. وهذا الصباح لم يمارس

تمارينه حتى. تناول إفطاره في صمت واختبأ في الطابق العلوي مرة أخرى. هناك خطب ما، خطب جلل. كانت تشعر بذلك.

في الخارج، كانت الرياح تشتد. كانت في المطبخ تعد سلطة الشمندر مع جبن الفيتا والصنوبر. حان وقت الغداء، لكنها بالكاد استطاعت حمل نفسها على إخباره.

صعدت في النهاية، ورغم أنها كانت تعلم أن عليها التصرف بشكل أفضل، إلا أنها دخلت الغرفة دون طرق الباب لتجده يخفي بعض الأوراق بسرعة. لو لم يكن يتصرف بريبة، لما لاحظتها حتى. لكنها رأت الآن أنه ملف طبي نفسي. كان ذلك غريبًا. ربما فحص أمني لزميل ما؟ حاولت أن تبتسم ابتسامتها المعتادة.

سألها:

– "ما الأمر؟"

– "إنه وقت الغداء."

– "لست جائعًا."

أنت دائمًا جائع بحق السماء، أرادت أن تصرخ.

– "ما الخطب؟ أخبرني."

– "لا شيء."

– "هيا، أستطيع أن أرى أن هناك شيئًا."

كانت تشعر بالغضب يعتمل بداخلها.

– "قلت لك، لا شيء."

– "هل أنت مريض أو ما شابه؟"

– "ماذا تعنين؟"

– "أراك تقرأ سجلات طبية، فمن الطبيعي أن أهتم"، ردت بحدة، وكان ذلك خطأ.

أدركت ذلك فورًا. نظر إليها بعينين يملؤهما القلق، وذلك أخافها. تمتمت باعتذار، وبينما كانت تغادر الغرفة لاحظت أن ساقيها بالكاد تحملانها.

ما الخطب؟ فكرت. لقد كنا سعداء جدًا.

***

عرفت سالاندر أن كاميلا الآن في شقة في ستراندفاغن بـستوكهولم. وعرفت أن قرصان كاميلا، يوري بوغدانوف، وعميل الاستخبارات الروسية السابق ورجل العصابات إيفان غالينوف كانا هناك معها، وأدركت أنه يجب عليها التصرف. ولكن كيف؟ بدلًا من ذلك، استمرت في البحث في قضية "الشيربا" الخاص بـ بلومكفيست. ربما كان ذلك نوعًا من الهروب. باستخدام عارض ملفات BAM، وجدت سبعة وستين علامة مميزة في قطاع الحمض النووي، فاستعرضتها واحدة تلو الأخرى وحددت في النهاية مجموعة فردية (Haplogroup)، بل وسلالة أبوية.

كانت تسمى DM١٧٤، وكانت هي أيضًا نادرة للغاية، وهو ما قد يكون أمرًا جيدًا أو سيئًا، فأدخلت المجموعة في محرك بحث YFull – شركة تسلسل الحمض النووي في موسكو التي أوصت بها بولينا – وانتظرت.

– "يا له من موقع تافه، إنه بطيء بشكل لا يصدق."

لم تكن تأمل في الكثير، وتساءلت لمَ تكبد نفسها العناء أصلًا. كان يجب أن تنسى الأمر برمته وتركز على كاميلا. لكنها تلقت إجابة حينها،

فأطلقت صفيرًا. كان هناك ٢١٢ نتيجة، موزعة على ١٥٦ اسم عائلة. كان ذلك أكثر مما توقعت بكثير. أغمضت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا، ثم استعرضت كل المواد، وتعمقت أكثر في المتغيرات غير العادية في القطاع. ظل اسم واحد يظهر مرارًا وتكرارًا. بدا الأمر خاطئًا بشكل عبثي. لكنه ظهر مرارًا: روبرت كارسون في دنفر، كولورادو.

كان يبدو آسيويًا بعض الشيء بالفعل. لكن باستثناء ذلك، كان أمريكيًا حتى النخاع، عداء ماراثون، متزلج منحدرات وجيولوجي في جامعة المدينة، يبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، أب لثلاثة أطفال، ديمقراطي نشط سياسيًا ومعارض شرس للجمعية الوطنية للبنادق (NRA)، منذ أن تورط ابنه الأكبر في حادثة إطلاق نار بمدرسة في سياتل.

كان روبرت كارسون أيضًا هاويًا شغوفًا بعلم الأنساب. قبل عامين أجرى تحليلًا لكروموسوم Y الخاص به، وكشف التحليل أنه يحمل نفس طفرة EPAS-١ التي يحملها المتسول.

"أنا أملك الجين الخارق"، كتب في مقال على موقع الجذور rootsweb.com، وأرفق صورة لنفسه وهو يقف بروح معنوية عالية بجوار جدول في جبال روكي، مستعرضًا عضلاته، ومرتديًا وزرة وقبعة فريق الهوكي "كولورادو أفالانش".

سرد أن جده لأبيه، داوا دورجي، عاش في جنوب التبت، ليس بعيدًا عن جبل إيفرست، لكنه فر من البلاد عام ١٩٥١ خلال الاحتلال الصيني واستقر مع أقاربه في وادي خومبو، بالقرب من دير تينغبوش البوذي في نيبال. على الإنترنت كانت هناك صورة لجده مع السير إدموند هيلاري في افتتاح المستشفى بقرية كوندي. أنجب ستة أطفال، من

بينهم لوبسانغ، "شاب طائش وسيم، وصدق أو لا تصدق، مهووس بفرقة رولينغ ستونز"، كتب روبرت. "لم أقابله قط، لكن أمي أخبرتني أنه كان أقوى متسلق في البعثة والأكثر وسامة وجاذبية بفارق كبير. (لكن مرة أخرى، لم تكن أمي موضوعية تمامًا، ولا أنا كذلك)".

يبدو أن لوبسانغ دورجي شارك في بعثة بريطانية في سبتمبر ١٩٧٦ لتسلق إيفرست عبر الحافة الغربية. ضمت المجموعة امرأة أمريكية، كريستين كارسون. كانت عالمة طيور، وخلال مسيرة الاقتراب من الجبل، درست حياة الطيور – "وفرة من الجواثم"، كما كتبت. في ذلك الوقت، كانت كريستين في الأربعين من عمرها، غير متزوجة وبلا أطفال، وأستاذة في جامعة ميشيغان. في مخيم القاعدة أصيبت بغثيان وصداع شديدين، وقررت النزول إلى نامتشي بازار لتلقي العلاج. في التاسع من سبتمبر علمت أن ستة من أعضاء البعثة، بينهم لوبسانغ دورجي، لقوا حتفهم ليس بعيدًا عن القمة.

عندما عادت إلى الوطن اكتشفت أنها حامل بطفل لوبسانغ دورجي. كان موقفًا حساسًا. كان لوبسانغ يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا فقط ومخطوبًا لفتاة في وادي خومبو. لكن كريستين أنجبت روبرت في أبريل ١٩٧٧، في آن أربور، ميشيغان. ورغم أنه لا يمكن الجزم – فهناك دائمًا عنصر العشوائية في الانتقاء الجيني – إلا أن روبرت والمتسول كانا على الأرجح أبناء عمومة من الدرجة الثالثة أو الرابعة. كان لهما سلف مشترك في وقت ما خلال القرن التاسع عشر، وهو ليس قريبًا جدًا، لكن سالاندر خمنت أن بلومكفيست سيكون قادرًا على سد الثغرات، خاصة وأن كارسون بدا مهتمًا بشكل نشط بهذه الأسئلة

بنفسه، وبدا شخصًا ثرثارًا وذكيًا. وجدت سالاندر صورًا له وهو يلتقي بعائلة والده في وادي خومبو العام الماضي.

كتبت لـ بلومكفيست:

<صاحبك من الشيربا. ربما كان حمالًا أو مرشدًا في بعثات المرتفعات العالية في نيبال، على سبيل المثال في "لهوتسي" أو "إيفرست" أو "كانغشينجونغا". لديه قريب في دنفر. أرفقت معلومات عن كل هذا. ألست بصدد التحقق من مقالك عن مصانع الذباب الإلكتروني؟>

حذفت الجملة الأخيرة. كيف يؤدي عمله هو شأنه اللعين الخاص. ثم ضغطت إرسال وخرجت للبحث عن بولينا.

***

كان بوبلانسكي يتنزه على طول نور مالارستراند مع المفتشة موديغ. كانت إحدى أفكاره الجديدة عقد الاجتماعات أثناء المشي. "يبدو أن ذلك يسهل التفكير"، كما أوضح. لكنها كانت أيضًا محاولة لإنقاص بعض الوزن وتحسين لياقته.

في هذه الأيام كان ينقطع نفسه عند أدنى مجهود، ولم يكن من السهل عليه أبدًا مجاراة موديغ. تحدثا عن كل شيء يمكن تخيله ووصلا الآن إلى القضية التي دفعت بلومكفيست للاتصال. وصفت موديغ زيارتها لمتجر الإلكترونيات في شارع هورنسغاتان، وعندها أطلق تنهيدة. لماذا الجميع مهووس بـ فورسيل؟ يبدو أن الناس يريدون لومه على كل علل المجتمع. تمنى بوبلانسكي من الله ألا يكون للأمر أي علاقة بزوجة فورسيل اليهودية.

قال:

– "فهمت."

– "حسنًا، نعم، يبدو الأمر جنونيًا تمامًا."

– "أي دوافع أخرى تخطر ببالك؟"

– "الحسد، ربما."

– "ما الذي قد يحسده أي شخص في ذلك الرجل المسكين؟"

– "يوجد حسد حتى في أدنى درجات السلم. تحدثت مع امرأة من رومانيا، اسمها ميريلا"، قالت سونيا. "أخبرتني أن الرجل كان يجني مالًا أكثر من كل المتسولين الآخرين في الحي. كان هناك شيء فيه يجعل الناس أسخياء، وأعلم أن ذلك سبب بعض الاستياء بين من كانوا في المنطقة لفترة طويلة."

– "لا يبدو لي كشيء يستحق القتل من أجله."

– "ربما لا. لكن الرجل بدا وكأن تحت تصرفه مبلغ كبير نسبيًا من المال. كان زبونًا دائمًا لكشك النقانق أسفل بيسيستورغيت ولمطعم ماكدونالدز في هورنسغاتان، وبالطبع أيضًا لمتجر المشروبات الكحولية (Systembolaget) في روزنلوندسغاتان، حيث كان يشتري الفودكا والجعة. ويبدو أنه شوهد بضع مرات في ساعات الصباح الأولى أبعد قليلًا باتجاه فولمار يكسكولسغاتان في سودرمالم، حيث كان يشتري الكحول المهرب (Moonshine)."

– "أفعل ذلك حقًا؟"

فكر بوبلانسكي في الأمر.

قالت موديغ:

– "أستطيع تخمين ما تفكر فيه. يجب أن نتحدث مع الأشخاص الذين يبيعون تلك الأشياء."

– "محققة تمامًا."

قال ذلك وهو يأخذ نفسًا عميقًا ليتمكن من صعود التل إلى هانتفيركارغاتان، وعادت أفكاره مرة أخرى إلى فورسيل وزوجته ريبيكا، المرأة الساحرة التي قابلها في المركز الاجتماعي اليهودي.

كانت طويلة القامة، تزيد بالتأكيد عن المتر وخمسة وثمانين، ممشوقة القوام بخطوات خفيفة وأنيقة وعينين داكنتين واسعتين تشعان بالدفء والحيوية. كان بوسعه أن يفهم لماذا يجذب هذا الزوجان الكثير من العداء.

بالطبع يستاء الناس ممن يشعون بمثل هذه الطاقة التي لا حدود لها. إنهم يجعلوننا نحن البقية نشعر بالضآلة والضعف بالمقارنة.

-١٤-

٢٥ أغسطس

قرأ بلومكفيست رسالة سالاندر ونهض عن مكتبه ليرنو ببصره نحو الأفق المائي؛ كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً، والرياح تشتد في الخارج بشكل ملحوظ، بينما كان يخت شِراعي يصارع الأمواج وسط العاصفة في عرض الخليج. تمتم في نفسه: "شيربا... رجل من الشيربا". لا بد أن في هذا الخيط شيئاً ما، يقيناً.

لم يكن يميل في قرارة نفسه إلى تصديق وجود صلة لوزير الدفاع بالأمر، ولكن... لا يمكن تجاهل حقيقة أن فورسيل قد تسلق جبل إيفرست بالفعل في عام ٢٠٠٨. عقد بلومكفيست العزم على سبر أغوار القصة من جذورها؛ فالمواد المنشورة حول تلك المأساة كانت غزيرة، ويعود الفضل في ذلك –كما استنتج سابقاً– إلى شخصية كلارا إنجلمان.

كانت إنجلمان تجسيداً حياً للأناقة المترفة، وهدية السماء لكُتّاب أعمدة النميمة، بشعرها الأشقر المصبوغ وشفتاها وصدرها اللذين خضعا للمسات الجراحة التجميلية. كانت زوجة لقطب العقارات الشهير ستان إنجلمان، الذي يمتلك فنادق وعقارات في نيويورك وموسكو وسانت بطرسبرغ. لم تكن كلارا فتاة من الطبقة المترفة بالولادة، بل كانت عارضة أزياء مجرية سابقة سافرت إلى أمريكا في

شبابها وفازت بلقب "ملكة جمال البيكيني" في لاس فيغاس، وهناك التقت بـ ستان الذي كان عضواً في لجنة التحكيم؛ وهي تفصيلة عشقتها الصحافة الشعبية.

لكن في عام ٢٠٠٨، كانت قد بلغت السادسة والثلاثين من عمرها، وأماً لابنتها جولييت التي كانت حينها في الثانية عشرة. حصلت على شهادة في العلاقات العامة من كلية "سانت جوزيف" في نيويورك، وبدا أنها تسعى لإثبات قدرتها على تحقيق إنجاز بمفردها. واليوم، وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على المأساة، يصعب فهم حجم السخط الذي أثارته في "مخيم القاعدة" عند سفح الجبل. صحيح أن مدونتها في مجلة "فوغ" كانت تعج بصور استعراضية وهي ترتدي أحدث صيحات الموضة، ولكن بالنظر إلى الماضي، يتضح أن التغطية الإعلامية التي نالتها كانت استعلائية وذكورية؛ فقد صورها المراسلون كأنها مجرد دمية شقراء حمقاء، وجعلوها النقيض الصارخ لهيبة الجبال وإهانة لسكانها المحليين؛ فكانت تمثل "تبهرج الغرب الثري" في مواجهة "نقاء المساحات الجبلية الشاسعة".

كانت كلارا إنجلمان في البعثة ذاتها التي ضمت يوهانس فورسيل وصديقه سفانتي ليندبرغ، الذي يشغل الآن منصب سكرتير الدولة في وزارته. دفع الثلاثة مبلغاً وقدره خمسة وسبعون ألف دولار ليتم إرشادهم إلى القمة، وهو أمر زاد الطين بلة؛ فقد قيل حينها إن إيفرست أصبح ملاذاً للأثرياء الذين لا يسعون إلا لتضخيم غرورهم. كان قائد البعثة ومالك شركة الإرشاد هو الروسي فيكتور غرانكين، وبجانبه ثلاثة أدلاء، ومدير للمخيم، وطبيب، وأربعة عشر فرداً من الشيربا؛ لخدمة

عشرة عملاء فقط. كان هذا العدد الهائل من البشر ضرورياً لإيصالهم إلى القمة.

هل يمكن أن يكون المتسول واحداً من أولئك الشيربا؟

قفزت الفكرة إلى ذهن بلومكفيست فوراً، وقبل أن يتعمق في تفاصيل المأساة، حاول البحث عنهم. هل يعقل أن ينتهي المطاف بأحدهم في السويد، أو أن تكون له علاقة خاصة بـ فورسيل؟ لم يجد شيئاً عن معظمهم، لكنه وجد خيطاً يربط بين فورسيل وشاب من الشيربا يدعى جانغبو تشيري.

التقى الاثنان مجدداً في "شاموني" بعد ثلاث سنوات، وتناولا الجعة معاً. كان من الممكن تماماً أن يتحولا إلى عدوين لدودين بعد ذلك، لكن في صورة منشورة على الإنترنت، كانا يرفعان إبهاميهما بعلامة النصر ويبدوان في غاية السعادة. وحسبما استطاع بلومكفيست اكتشافه، لم ينبس أحد من الشيربا المشاركين في البعثة بكلمة سوء عن فورسيل. كانت هناك اتهامات مجهولة —ظهرت ضمن حملة التضليل الحالية— تزعم أن فورسيل ساهم في وفاة كلارا إنجلمان من خلال تأخير المجموعة أو إعاقتها على الجبل. لكن وفقاً لشهادات عديدة، كان العكس هو الصحيح؛ فقد كانت إنجلمان هي من أبطأت حركة البعثة، وبحلول الوقت الذي وقعت فيه الكارثة، كان فورسيل وسفانتي ليندبرغ قد سبقا الآخرين ووصلا إلى القمة بمفردهما.

لا، لم يصدق بلومكفيست ذلك، أو ربما لم يرغب في تصديقه. كان دوماً —وهذا ديدنه في عمله— يحذر من الوقوع في فخ "التفكير الرغائبي" أثناء بحوثه الصحفية. وفي هذه الحالة، استصعب تخيل أن الرجل الذي يصب "الذباب الإلكتروني" جام غضبه عليه، قد تورط في

تسميم مشرد فقير في ستوكهولم. ولكن... ما الذي يجري بحق الجحيم؟

قرأ رسالة ليزبيث مرة أخرى، ثم تصفح الوثائق التي أرفقتها حول قريب المتوفى المحتمل في كولورادو، روبرت كارسون. ورغم أن رأيه قد تأثر ببحثه، إلا أن كارسون بدا له رجلاً مرحاً ومفعماً بالحيوية، لا يختلف كثيراً عن فورسيل نفسه. ودون تفكير طويل، طلب الرقم الذي زودته به سالاندر.

أجابه صوت قائلاً:

– "معك بوب."

عرف بلومكفيست بنفسه، ثم تملكه التردد في كيفية شرح سبب اتصاله، فبدأ بأسلوب التودد:

– "قرأت على الإنترنت أنك تملك جيناً خارقاً."

ضحك كارسون قائلاً:

– "أمر مثير للإعجاب، أليس كذلك؟"

– "جداً. آمل أنني لم أزعجك."

– "أبداً، كنت أقرأ ورقة بحثية مملة، لذا أفضل الحديث عن حمضي النووي. هل تعمل في مجلة علمية؟"

– "ليس تماماً. أنا أحقق في حالة وفاة مشبوهة."

– "أوه، يؤسفني سماع ذلك."

– "الأمر يتعلق برجل مشرد، يتراوح عمره بين الرابعة والخمسين والسادسة والخمسين، ومبتور عدة أصابع من يديه وقدميه. عُثر عليه ميتاً في ستوكهولم قبل أسبوع تقريباً، وكان يملك نفس المتغير في جين

EPAS-١ الذي تملكه أنت. على الأرجح، أنت وهو أبناء عمومة من الدرجة الثالثة أو الرابعة."

– "هذا محزن، لكن المذهل هو قدرتك على إيجاد هذا الرابط. ما اسمه؟"

– "هذه هي المشكلة؛ نحن لا نعرفه. كل ما استطعنا إثباته هو أنك وإياه قريبان."

– "وكيف يمكنني المساعدة؟"

– "في الحقيقة لا أعلم. لكن زميلتي تعتقد أن الرجل ربما كان حمالاً ماهراً في بعثات المرتفعات الشاهقة، وأنه تعرض لحادث كبير يفسر إصاباته. هل هناك أي من الشيربا في عائلتك تنطبق عليه هذه الأوصاف؟"

– "يا إلهي، أظن أن هناك الكثير منهم إذا نظرنا إلى العائلة الممتدة. أعتقد أن من الإنصاف القول إننا عائلة متطرفة بصفاتها."

– "هل تملك أي معلومات أكثر تحديداً؟"

– "أعطني بعض الوقت للتفكير، وسأجد شيئاً بالتأكيد. لقد رسمت شجرة عائلة كاملة تتضمن بيانات سيرة ذاتية. هل لديك أي تفاصيل أخرى يمكن إرسالها لي؟"

فكر بلومكفيست للحظة، ثم قال:

– "إذا وعدتني بالتعامل معها بسرية تامة، يمكنني أن أرسل لك تقرير التشريح وتحليل الحمض النووي."

– "أعطيك كلمتي."

– "سأرسلهما إليك فوراً. سأكون ممتناً جداً لو ألقيت عليهما نظرة عاجلة."

سكت كارسون برهة، ثم قال:

– "أتعلم؟ سيكون هذا شرفاً لي. شعور جيد أن يكون لي قريب في السويد، رغم أسفي على الظروف الصعبة التي مر بها."

– "يبدو أن هذا ما حدث فعلاً. لقد التقاه صديق لي."

– "وماذا حدث؟"

– "كان مضطرباً للغاية وتمتم بشيء عن يوهانس فورسيل، وزير دفاعنا الحالي، الذي كان في بعثة لإيفرست في مايو ٢٠٠٨."

– "قلت مايو ٢٠٠٨؟"

– "نعم."

– "أليس هذا هو الوقت الذي توفيت فيه كلارا إنجلمان؟"

– "بالضبط."

– "هذا أمر غريب."

– "بأي معنى؟"

– "لقد كان لي قريب بالفعل في تلك البعثة، كان أسطورة في مجاله. لكنه توفي قبل ثلاث أو أربع سنوات."

– "إذاً من المستبعد أن يظهر في ستوكهولم."

– "بالفعل."

– "سأرسل لك قائمة بأسماء الشيربا الذين أعرف أنهم كانوا على الجبل حينها، لعل ذلك يمنحك بعض الخيوط."

– "سيكون ذلك مفيداً."

قال بلومكفيست محدثاً نفسه أكثر مما يحدث كارسون:

– "لا أظن في الحقيقة أن للأمر علاقة بإيفرست؛ فالمسافة شاسعة بين هذا الرجل ووزير الدفاع."

– "هل تريد مني التعامل مع الأمر بعقل منفتح؟"

– "أعتقد ذلك. لقد أذهلتني قراءة قصة حياتك."

قال كارسون:

– "شكراً لك. أرسل لي المواد وسأبقى على تواصل معك."

أغلق بلومكفيست الخط وفكر لبرهة، ثم كتب رسالة شكر لـ سالاندر، يحيطها علماً بأمر فورسيل وإيفرست، وماتس سابين، وكل التفاصيل الأخرى؛ فقد كان يرى أن من حقها الإلمام بالصورة كاملة.

***

رأت ليزبيث البريد الإلكتروني في العاشرة مساءً، لكنها لم تقرأه؛ فقد كانت هناك أمور أخرى تشغل بالها، فضلًا عن أنها كانت في خضم شجار محتدم.

صرخت بولينا بحدة:

– "ألا يمكنكِ التوقف عن التحديق في حاسوبكِ اللعين؟"

توقفت سالاندر عن التحديق في حاسوبها اللعين ونظرت إلى بولينا بدلاً من ذلك. كانت تقف بجانب المكتب، وشعرها الطويل المجعد منسدل، وعيناها اللوزيتان تفيضان بالدموع والغضب.

– "توماس سيقتلني."

– "لكنكِ قلتِ إن بإمكانكِ الذهاب لوالديكِ في ميونيخ."

– "سيلحق بي إلى هناك، وسرعان ما سيوقعهم في حبائله. هم يحبونه، لا تسأليني لماذا، أو على الأقل يظنون أنهم يحبونه."

أومأت سالاندر برأسها وحاولت التفكير بوضوح. هل الأفضل الانتظار؟ قررت أن الإجابة هي: لا. لم تعد تستطيع التمهل أكثر من ذلك، وبالتأكيد لم يكن بوسعها اصطحاب بولينا معها إلى ستوكهولم.

كان عليها الذهاب إلى هناك فوراً وبمفردها؛ فلا تملك رفاهية البقاء سلبية، غارقة في الماضي. عليها الآن تتبع المطاردة عن كثب، وإلا فسيعاني آخرون، خاصة بوجود أشخاص مثل غالينوف في الساحة.

قالت لها:

– "هل أكلمهما؟"

– "والداي؟"

– "نعم."

ردت عليها بولينا بفظاظة:

– "مستحيل! لأنكِ منبوذة اجتماعياً يا ليزبيث، ألا تدركين ذلك؟"

ثم خطفت حقيبة يدها وخرجت مهرولة، وهي تصفق الباب خلفها بعنف.

فكرت سالاندر فيما إذا كان عليها اللحاق بها، لكنها ظلت متسمرة في مكانها أمام الحاسوب. قررت محاولة اختراق كاميرات المراقبة المحيطة بالشقة في شارع "ستراندفيغن"، حيث لا تزال كاميلا هناك على ما يبدو. لكن العمل كان يسير ببطء، وكانت مشتتة بأمور كثيرة؛ لم يكن غضب بولينا وحده هو السبب، بل أشياء شتى، بما في ذلك بريد بلومكفيست الإلكتروني، رغم أنه بدا في ظل هذه الظروف في ذيل قائمة أولوياتها.

كان محتوى الرسالة:

«لا أدري كيف تفعلين ذلك. مذهل حقاً! أرفع لكِ القبعة. ربما عليّ القول إن المتسول كان يهذي بشأن وزير الدفاع يوهانس فورسيل؛ قال: "لقد أخذته. تركت مامسابين"، أو شيئاً من هذا القبيل. (ربما "ماتس سابين"؟) الأمر غير واضح. لكن فورسيل تسلق إيفرست بالفعل

في مايو ٢٠٠٨ ، وبدا لفترة وكأنه شارف على الهلاك هناك أيضاً. أرسل لكِ قائمة بأسماء الشيربا الذين كانوا في الجانب الجنوبي من الجبل في ذلك الوقت، لعلّكِ تلمحين شيئاً هناك أيضاً. لقد تحدثت مع روبرت كارسون، وسيحاول مساعدتي.

انتبهي لنفسكِ وشكراً جزيلاً لكِ.

م.

ملاحظة: كان هناك شخص يدعى ماتس سابين، ضابط سابق في مدفعية السواحل ومؤرخ عسكري في جامعة الدفاع، توفي في "أبيسكو" قبل سنوات. ونحن نعلم أنه خاض شجاراً كبيراً مع فورسيل.»

تمتمت قائلة:

— "حقاً؟ أهذا ما حدث؟"

أغلقت البريد الإلكتروني وواصلت العمل على كاميرات المراقبة، لكن أصابعها كانت تتحرك وكأن لها إرادة خاصة؛ فخلال نصف ساعة كانت قد بحثت عن فورسيل وإيفرست، وانغمست في قراءة تقارير لا تنتهي عن امرأة تدعى كلارا إنجلمان.

فكرت سالاندر أن إنجلمان تشبه كاميلا بعض الشيء، نسخة أرخص من أختها تملك نفس الجاذبية الطاغية؛ شخصية تعتبر بديهياً أنها محور الاهتمام. وبالتأكيد، لم تكن سالاندر لتضيع وقتها عليها، فلديها ما هو أهم. ومع ذلك، واصلت القراءة رغم أن عقلها لم يكن حاضراً تماماً. أرسلت رسالة إلى بليج بشأن الكاميرات، واتصلت بـ بولينا التي لم تجب، ولكن شيئاً فشيئاً بدأت تتشكل لديها صورة أكثر اكتمالاً، وبالأخص عن رحلة صعود يوهانس فورسيل.

لقد وصل هو وصديقه ليندبرغ إلى القمة في الساعة الواحدة ظهراً من يوم ١٣ مايو ٢٠٠٨. كانت السماء لا تزال صافية، فمكثا هناك لفترة يتأملان المنظر، والتقطا صوراً وأبلغا مخيم القاعدة بوصولهما. ولكن بعد فترة وجيزة، عند الممر الصخري الضيق المعروف بـ "خطوة هيلاري"، وفي طريق العودة نحو القمة الجنوبية، بدأت المشاكل تلاحقهما وبدأ الوقت يداهمهما.

في الساعة الثالثة والنصف —وكانوا قد وصلوا فقط إلى ما يسمى بـ "الشرفة" على ارتفاع ثمانية آلاف وأربعمائة متر— بدأ القلق يساورهما من نفاد الأكسجين وعدم القدرة على الوصول إلى المخيم الرابع. كما ساءت الرؤية، ورغم أن فورسيل لم يكن يملك أدنى فكرة عما يحدث حولهما، إلا أنه شعر بوقوع أمر جلل.

سمع أصواتاً يائسة عبر جهاز اللاسلكي، لكنه في ذلك الحين كان منهكاً لدرجة تمنعه من استيعاب الموقف تماماً، كما صرح لاحقاً؛ كان يترنح في الفراغ، وساقاه بالكاد تحملانه.

بعد ذلك بوقت قصير، ضربت العاصفة الجبل وتحول كل شيء إلى فوضى عارمة. كانت البرودة قارسة، تقترب من ستين درجة تحت الصفر، وكان الاثنان يتجمدان وبالكاد يميزان الأعلى من الأسفل. كان من المفهوم ألا يستطيع أي منهما تقديم رواية مفصلة عن كيفية وصولهما إلى الخيام في "التلال الجنوبية الشرقية".

ولكن، إذا كان هناك وقت ضائع وغير مبرر في كل التقارير الصادرة عن ذلك اليوم، فهو الفترة ما بين السابعة والحادية عشرة مساءً. ورغم أن هذا لم يكن خيطاً قوياً، إلا أن سالاندر لاحظت بعض التناقضات في

رواياتهما، خاصة فيما يتعلق بحالة فورسيل ومدى سوء الوضع الذي كان عليه حقاً.

بدا الأمر وكأن الأزمة التي مر بها جرى تصويرها بمرور الوقت على أنها أقل خطورة مما كانت عليه. وبالنسبة لها، لم تجد في ذلك أمراً مستغرباً مقارنة بالدراما الحقيقية التي كانت فصولها تدور في جزء آخر من الجبل، حيث توفيت كلارا إنجلمان ودليلها فيكتور غرانكين في ذلك المساء. لم يكن غريباً أن تخصص الصحافة مساحات شاسعة لهذا الحدث؛ فمن بين الجميع، لماذا فقدت تلك "العميلة المرموقة" حياتها، بينما نجا كثيرون غيرها في ذلك اليوم؟ لماذا كان عليها أن تموت هي بالذات، وهي التي كانت مادة دسمة للنميمة والتشهير؟

لفترة من الوقت، قيل إن السبب يعود للحسد والحقد الطبقي وكراهية النساء. ولكن بمجرد أن هدأت العاصفة الإعلامية، اتضح أن جهوداً جبارة بُذلت لإنقاذ إنجلمان، وأنها منذ البداية كانت في وضع يستحيل إنقاذه، منذ لحظة انهيارها المفاجئ في الثلوج. بل إن مساعد الدليل، روبن هاميل، قال:

– "المشكلة لم تكن في قلة ما بُذل لإنقاذ كلارا، بل في كثرته. لقد كانت تُعتبر مهمة جداً لـ فيكتور وللبعثة لدرجة أننا خاطرنا بحياة الكثيرين في محاولاتنا تلك."

وبدا هذا الكلام منطقياً في نظر سالاندر.

كانت إنجلمان نجمة مشهورة لدرجة أن أحداً لم يجرؤ على إعادتها للأسفل بينما كان الوقت لا يزال متاحاً. تعطلت البعثة بأكملها وهي تجر خطاها بصعوبة، وبعد أن نزعت قناع الأكسجين في حالة من الارتباك واليأس قبيل الواحدة ظهراً، زاد ضعفها وهوانها.

انهارت على ركبتيها ثم سقطت للأمام على الثلج. ساد الذعر، وصرخ غرانكين —الذي لم يكن في حالته المعهودة من القوة ذلك اليوم— في الجميع طالباً التوقف. بُذلت جهود مضنية لإنزالها في تلك اللحظة، لكن سرعان ما تدهور الطقس، واجتاحتهم عاصفة ثلجية عاتية. ووجد آخرون في المجموعة —خاصة الدنماركي مادس لارسن والألمانية شارلوت ريختر— أنفسهم في حالة حرجة، وبدا لعدة ساعات أنهم يتجهون نحو كارثة شاملة.

لكن شيربا البعثة، وعلى رأسهم قائدهم نيما ريتا، عملوا دون كلل وسط العاصفة، وقادوا الناس مقيدين بالحبال أو ثبتوا خطواتهم أثناء النزول. ومع حلول المساء، تم إنقاذ الجميع، باستثناء كلارا إنجلمان وفيكتور غرانكين، الذي رفض تركها، كقبطان يرفض مغادرة سفينته الغارقة.

في الأسابيع والأشهر التي تلت ذلك، أُجري تحقيق موسع في المأساة، وبدا أن معظم الأسئلة قد وجدت إجاباتها. الشيء الوحيد الذي لم يُفسر تماماً —رغم افتراض أنه نتج عن التيارات النفاثة القوية في تلك الارتفاعات— هو العثور على جثة إنجلمان على بعد كيلومتر واحد إلى الأسفل، رغم أن جميع الشهود أكدوا أنها وغرانكين ماتا معاً، جنباً إلى جنب وسط الثلوج.

فكرت سالاندر في هذا الأمر، وفي كل الجثث الأخرى التي بقيت هناك فوق المنحدرات، عاماً بعد عام، دون أن يتمكن أحد من إنزالها ودفنها. ومع مرور الساعات، راحت تفحص الروايات المختلفة بدقة حتى بدأ يتراءى لها أن ثمة خطأً ما في القصة برمتها. قرأت حتى عن ماتس سابين —الذي ذكره بلومكفيست— ثم غاصت في سلاسل

أحاديث النميمة على الإنترنت. وفي لحظة ما، طرأت ببالها فكرة مغايرة تماماً، لكنها لم تستطع المضي أبعد من ذلك.

انفتح الباب بعنف ودخلت بولينا وهي مخمورة تماماً، وكالت لـ سالاندر سيلاً من التقريع واصفة إياها بالوحش المجرد من المشاعر. ردت سالاندر الصاع صاعين، حتى انقضت كل منهما على الأخرى في عناق محموم، يجمعهما شعور مشترك باليأس والوحدة.

-١٥-

٢٦ أغسطس

قطع ميكائيل مسافة عشرة كيلومترات كاملة ركضًا بمحاذاة الشاطئ ذهابًا وإيابًا ذلك الصباح، وحين عاد إلى الكوخ كان الهاتف يرن. كانت المتصلة إريكا بيرغر. كان العدد القادم من مجلة «ميلينيوم» سيذهب للمطبعة في اليوم التالي. لم تكن راضية عنه تمامًا، لكنها لم تكن ساخطة أيضًا.

قالت:

– "عدنا إلى الوضع الطبيعي."

وسألته عما يفعله. أخبرها أنه يتنفس بعض الهواء النقي وعاد لممارسة الركض، لكنه ذكر أيضًا أنه يجري بعض الأبحاث حول وزير الدفاع والحملة الموجهة ضده، وهو ما وصفته بيرغر بالأمر المضحك.

– "لماذا مضحك؟"

– "صوفي لديها هذا في قصتها."

– "بأي معنى؟"

– "لقد كتبت عن العدوانية التي يواجهها أطفال فورسيل، وعن رجال الشرطة الذين يضطرون للقيام بدوريات خارج المدرسة اليهودية."

– "قرأت عن ذلك."

– "أتعلم..."

شعر بالانزعاج حين سمع تلك النبرة المتأملة في صوتها. هكذا تبدو دائمًا حين تلمع في رأسها فكرة لقصة صحفية.

– "إذا كنت لا ترغب حقًا في متابعة تقريرك عن انهيار سوق الأسهم، فربما يمكنك كتابة ملف شخصي (Profile) عن فورسيل بدلًا من ذلك، وإظهاره في ضوء أكثر تعاطفًا. أذكر أنكما كنتما على وفاق."

جالت عيناه فوق صفحة الماء.

– "أعتقد أننا كنا كذلك."

– "إذًا ما قولك؟ يمكنك أيضًا مساعدة قرائنا بالقيام ببعض التدقيق في الحقائق."

– "ليست فكرة سيئة."

كان يفكر في الشيربا وبعثة إيفرست.

– "علمت للتو أن فورسيل قد أخذ أسبوع إجازة إضافي هو الآخر. ألا يملك منزلًا بالقرب منك؟"

– "على الجانب الآخر من الجزيرة."

– "حسنًا إذًا."

– "سأفكر في الأمر."

– "لم تكن تفكر كثيرًا في الماضي. كنتَ تنطلق في العمل وحسب."

– "أنا في إجازة أيضًا، كما تعلمين."

– "أنت لست في إجازة أبدًا. أنت مدمن عمل عجوز يجلله الشعور بالذنب، أكبر من أن تستوعب مفهوم الإجازة برمته."

– "تقصدين أنه لا جدوى من المحاولة حتى؟"

قالت "لا" وضحكت، فشعر أنه مضطر للضحك هو الآخر. كان مرتاحًا لأنها لم تقترح المجيء لزيارته.

لم يرغب في تعقيد الأمور مع كاترين، لذا تمنى لـ إريكا التوفيق وودعها. كان غارقًا في التفكير وهو يراقب العاصفة تلهب الأمواج. ما الذي يجب عليه فعله؟ هل يثبت لها أنه يستوعب مفهوم الإجازة فعلًا؟ أم يواصل العمل؟

توصّل إلى استنتاج مفاده أن لقاء فورسيل فكرة جيدة، لكن عليه أولًا أن يقرأ المزيد من القاذورات التي كُتبت عنه. وبعد تذمر وتمتمة مع نفسه وحمام طويل، انكب على العمل. في البداية كان الأمر كئيبًا ومثيرًا للغثيان، وكأنه نزل مجددًا إلى نفس المستنقع الذي خاض فيه أثناء التحقيق في مصانع الذباب الإلكتروني.

لكنه اندمج ببطء، وبذل جهدًا كبيرًا في تتبع المصادر الأصلية لكل تلك المزاعم ورسم خريطة لكيفية انتشارها وتحريفها. كان يقترب تدريجيًا من أحداث إيفرست مرة أخرى حين رن هاتفه المحمول، مما أفلته. هذه المرة كان المتصل بوب كارسون من دنفر.

بدا صوت كارسون منفعلًا.

***

كان تشارلي نيلسون يجلس مقطب الجبين على مقعد خارج مركز «بريما ماريا» لعلاج الإدمان، أو "المجفف" كما يسميه. لم يكن يحب التحدث إلى الشرطة، وخصوصًا لم يرد أن يراه أصدقاؤه يفعل ذلك. لكن المرأة، التي كان اسمها موديغ أو شيء من هذا القبيل، أخافته، ولم يرغب في أي مشاكل.

قال:

– "ارحميني، هلّا فعلتِ؟ لم أبع يومًا زجاجة مغشوشة."

– "أوه، حقًا؟ هل تتذوق كل شيء أولًا إذًا؟"

– "خفة دم لا تُطاق."

– "خفة دم؟" قالت موديغ. "لا يمكنني أن أكون أقل خفة دم حتى لو حاولت."

– "فقط دعيني وشأني. أي شخص كان يمكنه إعطاؤه ذلك المشروب، أليس كذلك؟ أتعرفين ماذا يسمون هذا المكان؟"

– "لا يا تشارلي، لا أعرف."

– "مثلث برمودا. يخرج الناس من «المجفف» إلى متجر الخمور (Systembolaget) وحانة البيرة هناك ثم يعودون، وفجأة يختفون."

– "ماذا تعني بالضبط؟"

– "أن هناك الكثير من الأمور المشبوهة تجري هنا. تأتي بعض الكائنات الغريبة اللعينة، تروّج لمشروبات مشبوهة وحبوب مخدرة رديئة. لكن نحن من ندير عملًا جادًا، ونقف هنا في الريح والمطر، ليلة بعد ليلة، لا نتحمل القيام بألاعيب كهذه. ما لم نقدم بضاعة عالية الجودة تجعلنا قادرين على النظر في أعين الناس في اليوم التالي، فنحن منتهون."

– "لا أصدق كلمة من هذا،" قالت موديغ. "أنا واثقة أنك لست دقيقًا إلى هذا الحد. وأود القول إنك في ورطة كبيرة الآن. هل ترين الرجال بزي الشرطة هناك؟"

كان تشارلي يراقبهم طوال الوقت ويشعر بنظراتهم تخترقه.

– "إذا لم تخبرنا بكل ما تعرفه، سنسحبك للداخل الآن وهنا. قلت إنك بعت للرجل."

– "بعت له، نعم. لكني اعتقدت أنه مخيف، لذا بقيت بعيداً عنه قدر الإمكان."

– "مخيف بأي طريقة؟"

– "كانت لديه عيون مخيفة، وكان يملك جذوعًا بدلًا من الأصابع وبقعًا دموية على وجهه. كان يثرثر حول القمر. «لونا، لونا»، ظل يردد. هذا يعني القمر، أليس كذلك؟"

– "على حد علمي."

– "على الأقل فعل ذلك مرة واحدة. ظهر من شارع كروكماكارغاتان، يعرج، وكان يضرب صدره ويقول إن «لونا» وحيدة وتناديه، هي وشخص اسمه «مامسابيب» أو أيًا كان اللفظ اللعين، وقد أخافني ذلك. كان مختلًا تمامًا، وأعطيته البضاعة رغم أنه لم يملك المال الكافي. لم أتفاجأ إطلاقًا أنه أصبح عنيفًا لاحقًا."

– "عنيفًا بأي طريقة؟"

تبًا تبًا تبًا، فكر نيلسون. كان قد وعد بعدم قول أي شيء. لكن فات الأوان الآن، وعليه مسايرتها.

– "ليس معي."

– "مع من؟"

– "هيكي يارفينن."

– "ومن يكون؟"

– "زبون، أحد زبائني الذين يتمتعون ببعض الأناقة في الواقع. التقى هيكي بالرجل في نورا بانتورغيت في منتصف الليل. على الأقل لا

بد أنه كان هو. وصف هيكي صينيًا ضئيلًا فاقدًا لأصابع يرتدي سترة مبطنة ضخمة لعينة. كان يهذي حول كونه فوق السحاب، وحين لم يصدقه هيكي تلقى لكمة جعلت رأسه يدور. قال إن الصيني كان قويًا كالثور."

– "أين يمكننا العثور على هيكي يارفينن هذا؟"

– "يارفينن يروح ويجيء، لذا لا يمكنك المعرفة حقًا."

دونت الشرطية ملاحظات وأومأت، وطرحت بضعة أسئلة أخرى. ثم تركته وانصرفت مع أفراد الشرطة، فتنفس نيلسون الصعداء. كان متأكدًا من وجود شيء غريب جدًا بشأن ذلك الصيني، فانطلق للاتصال بـ هيكي يارفينن قبل أن تصل إليه الشرطة.

***

لاحظ بلومكفيست فورًا أن نبرة كارسون قد تغيرت، كما لو كان مستيقظًا طوال الليل أو أصيب بنزلة برد.

– "إنه وقت متقدم من النهار لديكم، أليس كذلك؟"

– "جدًا."

– "ليس هنا. رأسي يكاد ينفجر. هل تذكر أنني أخبرتك عن قريب لي كان على الجبل في عام ٢٠٠٨؟ وتذكر أنني قلت إنه مات؟"

– "بالتأكيد."

– "حسنًا، لقد كان كذلك. أو على الأقل افتُرض موته. لكن دعني أبدأ من البداية. اتصلت بعمي في خومبو. إنه يعمل كنوع من مركز تبادل المعلومات المحلي، واستعرضنا القائمة التي أرسلتها بالكامل. القريب الوحيد الذي وجدناه هناك كان هذا الشخص، وكنت على وشك الاستسلام. إذا كان ميتًا فهو ميت ولا يمكنه الظهور في ستوكهولم

والموت مرة أخرى. لكن عمي أخبرني أنه لم يتم العثور على جثة قط. نظرت في الأمر عن كثب، ورأيت أن العمر كان متطابقًا، وكذلك الطول."

– "ما اسمه؟"

– "نيما ريتا."

– "كان أحد القادة، أليس كذلك؟"

– "كان هو الـ «سردار»، رئيس مجموعة الشيربا، والشخص الذي عمل بجدية أكبر على الجبل في ذلك اليوم."

– "أعرف، أعرف، قرأت عنه... لقد أنقذ مادس لارسن، وامرأة تدعى شارلوت."

– "هذا صحيح، ولولاه لكانت الكارثة أسوأ بكثير. لكنه دفع ثمنًا باهظًا. ركض صعودًا ونزولًا مثل عبد في سفينة، وبعد ذلك عانى من أضرار صقيع شديدة في وجهه وصدره. واضطر لبتر بعض أصابع يديه وقدميه."

– "إذًا تعتقد حقًا أنه هو؟"

– "لا بد أن يكون هو. كان لديه وشم لعجلة بوذية على معصمه."

– "يا إلهي،" قال بلومكفيست.

– "بالضبط، كل شيء يقع في مكانه. نيما ريتا هو ابن عمي من الدرجة الثالثة، كما يسمونها، لذا من المنطقي تمامًا افتراض أنني وهو نتشارك تلك الطفرة الخاصة في كروموسوم Y التي أشارت إليها زميلتك الباحثة."

– "هل ترى أي تفسير لانتهاء المطاف به في السويد؟"

– "لا، لا أرى. لكن هناك تكملة مثيرة للاهتمام."

– "أخبرني. لم يتح لي الوقت للإلمام بكل التفاصيل بعد."

قال كارسون:

– "في البداية، تمت الإشادة بالمرشدين المساعدين، روبن هاميل ومارتن نوريس، لجهودهم في الإنقاذ، بقدر ما كان هناك مجال للإشادة بعد وفاة إنجلمان وغرانكين. ولكن مع صدور التقارير الأكثر شمولًا، اتضح أن الدور الحاسم في الدراما لعبه نيما ريتا ورجال الشيربا التابعون له. لكن لا أعرف إن كان ذلك قد نفع نيما كثيرًا."

– "لماذا؟"

– "لأنه بحلول ذلك الوقت كان يمر بالجحيم بالفعل. كان يعاني من قضمات صقيع من الدرجة الرابعة، وهو ألم لا يمكن وصفه، وانتظر الأطباء أطول فترة ممكنة قبل البتر. كانوا يعلمون أن رزقه يعتمد على قدرته على التسلق. بالنسبة لمواطن من وادي خومبو، كان نيما ريتا قد كسب الكثير – وإن لم يكن كثيرًا بالمعايير الأوروبية – لكن المال كان يتسرب من بين أصابعه. شرب الكحول بكثرة ولم يكن لديه مدخرات على الإطلاق. لكن الأسوأ من ذلك، أن اسمه لُطخ بالوحل. طاردته شياطينه الخاصة."

– "بأي طريقة؟"

– "اتضح أن إنجلمان دفع له ليعتني بشكل خاص بـ كلارا – وبالطبع فشل في ذلك – وبعد ذلك اتُهم بالعمل ضد مصالحها. أنا لا أصدق ذلك. كان نيما ريتا بحسب كل الروايات شخصًا مخلصًا بشكل لا يصدق. لكن مثل العديد من الشيربا الآخرين، كان شديد الإيمان بالخرافات، واعتبر إيفرست كائنًا حيًا يعاقب المتسلقين على خطاياهم، وكلارا إنجلمان... حسنًا، أفترض أنك قرأت عنها؟"

– "رأيت التقارير في ذلك الوقت."

– "كان العديد من الشيربا منزعجين منها. في مخيم القاعدة كانوا يشكون من أنها قد تجلب النحس للبعثة ولا بد أنها أثارت غضب نيما أيضًا. لقد مر بالتأكيد بعذاب الجحيم بعد ذلك. يبدو أنه عانى من الهلوسة، وربما كان ذلك جزئيًا لأسباب عصبية. تعرض لتلف في الدماغ بسبب الوقت الطويل الذي أمضاه فوق ثمانية آلاف متر، وأصبح مريرًا بشكل متزايد وتصرف بغرابة. فقد عددًا من أصدقائه. لم يرغب أحد في التعامل معه. لا أحد باستثناء زوجته، لونا."

– "لونا ريتا، أفترض. وأين هي الآن؟"

– "هذا هو بيت القصيد. اعتنت لونا بـ نيما بعد عملياته. خبزت الخبز وزرعت البطاطس، وكانت تذهب أحيانًا إلى التبت لشراء الصوف والملح لبيعهما في نيبال. لكن في النهاية لم يكن ذلك كافيًا، فبدأت العمل في بعثات التسلق. كانت أصغر بكثير من نيما، وكانت قوية. سرعان ما ترقت من مساعدة مطبخ لتصبح متسلقة «شيرباني». لكن في عام ٢٠١٣ كانت جزءًا من المحاولة الهولندية لتسلق تشو أويو، سادس أعلى جبل في العالم، وسقطت في صدع جليدي على ارتفاع شاهق. عمت الفوضى البعثة. حدث انهيار ثلجي، وهبت عاصفة، واضطر المتسلقون للنزول عن الجبل بسرعة. تركوا لونا لتموت في الصدع. جن جنون نيما من الحزن، واعتبر ذلك عملًا عنصريًا. صرخ قائلًا لو حدث ذلك لأحد «الأسياد» (Sahib)، لأخرجوهم فورًا."

– "لكنها كانت مجرد امرأة محلية فقيرة."

– "لا فكرة لدي إن كان ذلك قد أحدث فرقًا. أشك في ذلك. عمومًا، لدي رأي جيد في الناس بمجتمع التسلق. لكن نيما كان

مصممًا، وحاول تنظيم بعثة لاستعادة جثتها من هناك ومنحها دفنًا لائقًا. لم يتطوع شخص واحد، ففي النهاية انطلق بمفرده، رغم كبر سنه، والظاهر أنه لم يكن واعيًا تمامًا بسبب الكحول أيضًا."

— "يا إلهي."

— "إذا تحدثت إلى أقاربي في خومبو، سيقولون إن ذلك كان أعظم إنجازاته، أكثر من كل مرات صعوده لإيفرست. وصل إلى هناك ورأى لونا في الأسفل داخل الصدع، محفوظة للأبد في الجليد، وقرر النزول والاستلقاء بجوارها ليولدا من جديد معًا. ولكن حينها... همست له «آلهة الجبل» بأن يخرج إلى العالم بدلًا من ذلك ويحكي قصتها."

— "يبدو..."

— "... جنونًا مطبقًا، أوه نعم،" قال كارسون. "ورغم أنه خرج بالفعل إلى العالم، أو على الأقل إلى كاتماندو، وروى الحكاية، لم يفهم أحد ما يتحدث عنه. أصبح حديثه مفككًا أكثر فأكثر، وشوهد أحيانًا يبكي تحت الأعلام عند معبد بوداناث. وبين الحين والآخر كان يذهب إلى مناطق التسوق في ثاميل لتعليق صحف حائطية بلغة إنجليزية ركيكة وخط أسوأ. كان لا يزال يهذي حول كلارا إنجلمان."

— "ماذا قال؟"

— "في هذه المرحلة كان يعاني من اضطراب عقلي حاد، لا تنسَ، وربما كان كل شيء فوضى كبيرة في رأسه، لونا وكلارا وكل شيء آخر. كان منتهيًا تمامًا، وبعد أن شن هجومًا لفظيًا عنيفًا ضد سائح بريطاني وحُبس ليوم واحد، أدخله أقاربه إلى مركز جيتجونغ مارغ للصحة النفسية في كاتماندو. بقي هناك بشكل متقطع حتى نهاية سبتمبر ٢٠١٧، ثم ذات يوم خرج ليحصل على بعض الجعة والفودكا. يبدو أنه

كان مرتابًا بشأن الأدوية التي يعطيه الأطباء إياها، وقال إن الشيء الوحيد الذي يسكت الأصوات في رأسه هو الكحول. أعتقد أن الموظفين سمحوا بحدوث ذلك على مضض. سمحوا له بالهروب لأنهم عرفوا أنه سيعود دائمًا. لكن هذه المرة لم يعد، وشعروا بالقلق في المستشفى. كانوا يعلمون أنه ينتظر زيارة كان متحمسًا لها جدًا."

– "أي نوع من الزيارات؟"

– "لا أعرف. لكن ربما كانت من صحفي. بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة كلارا إنجلمان وفيكتور غرانكين، كان يجري إعداد عدد من المقالات والأفلام الوثائقية. يبدو أن نيما كان سعيدًا جدًا لأن شخصًا ما أراد أخيرًا الاستماع إليه."

– "لكنك لا تعرف المزيد عما أراد البوح به؟"

– "فقط أنه كان كلامًا مبهمًا للغاية، مليئًا بالأشباح والأرواح."

– "ولا شيء عن فورسيل، وزير دفاعنا؟"

– "لا أعرف، كل ما لدي هو إشاعات ولا أعتقد أن المركز سيفرج عن سجلاته في أي وقت قريب."

– "ماذا حدث عندما لم يعد؟"

– "بحثوا عنه، بالطبع، في كل الأماكن التي اعتاد التسكع فيها. لكنهم لم يجدوا له أثرًا، باستثناء تقارير مختلفة تفيد برؤية جثته ليس بعيدًا عن نهر باغماتي، حيث تُحرق جثث الموتى. لكن لم يتم تحديد هوية أي جثة على أنها له، وبعد عام أُغلق التحقيق. فقدوا الأمل، وفي النهاية أقامت عائلته حفل تأبين صغير في نامتشي بازار، أو ربما كان أقرب إلى... كيف أقولها؟... لحظة صلاة له. كان جميلًا جدًا، كما يبدو. لم يكن يحظى بتقدير كبير في تلك السنوات الأخيرة. لكن ذلك

أعاد الاعتبار لسمعته. نيما ريتا وصل إلى قمة إيفرست إحدى عشرة مرة بدون أكسجين. إحدى عشرة مرة! وصعوده لـ تشو أويو، كان..."

استرسل كارسون بحماس، لكن بلومكفيست لم يعد يستمع بنفس التركيز. كان يبحث عن نيما ريتا، ورغم كتابة الكثير عنه — كانت هناك مداخل في ويكيبيديا باللغتين الإنجليزية والألمانية — إلا أنه وجد صورتين فقط. في إحداهما، كان نيما ريتا يقف مع نجم التسلق النمساوي هانز موسل، بعد صعودهما للوجه الشمالي لإيفرست في عام ٢٠٠١. وفي الأخرى، الأحدث، ظهر من الجانب أمام منزل حجري في قرية بانغبوتش في خومبو. مثل الصورة الأولى، التُقطت من مسافة بعيدة قليلًا — بالتأكيد بعيدة جدًا لكي تكون أي برمجيات للتعرف على الوجه فعالة. لكن بلومكفيست لم يساوره شك. لقد ميز العينين والشعر، والبقع على الوجنتين.

— "هل ما زلت معي؟" قال كارسون.

— "أنا مصدوم قليلًا فقط."

— "لست متفاجئًا. لديك لغز كبير بين يديك الآن."

— "يمكنك قول ذلك مجددًا. ولكن بصدق يا بوب... أستطيع القول إنك تملك جينات خارقة. لقد كنت رائعًا."

— "جيناتي الخارقة مخصصة لتسلق المرتفعات العالية، لا للعمل البوليسي."

— "أعتقد أنه يجب عليك التحقق من جيناتك البوليسية أيضًا."

ضحك كارسون بتعب.

– "هل يمكنني أن أطلب منك التكتم على هذا الأمر في الوقت الحالي؟" قال بلومكفيست. "سيكون سيئًا إذا تسرب أي شيء قبل أن نعرف المزيد."

– "أخبرت زوجتي بالفعل."

– "أبقِ الأمر في نطاق العائلة إذًا، أرجوك."

– "أعدك."

بعد ذلك، راسل بلومكفيست كلًا من نيمان وبوبلانسكي ليخبرهما بما عرفه. ثم واصل قراءة المواد المتعلقة بـ فورسيل، وفي وقت لاحق من الصباح اتصل به ليرى ما إذا كان بإمكانه ترتيب مقابلة.

***

كان فورسيل قد أشعل نارًا في الموقد. استطاعت ريبيكا شم رائحتها من الطابق السفلي في المطبخ، وسمعته يروح ويجيء بخطوات متوترة. لم يعجبها وقع خطواته ولم تتحمل صمته ونظرته الزجاجية. كانت لتفعل أي شيء لتره يبتسم مجددًا.

هناك خطب ما، فكرت مرة أخرى، خطب جلل. كانت على وشك الصعود لتطلب التحدث إليه حين نزل الدرج الحلزوني. شعرت بالسعادة في البداية. كان يرتدي ملابس التدريب وحذاء ركض نايكي، وكان يفترض أن يكون ذلك إشارة لاستعادته روحه المعنوية. لكن كان هناك شيء في وقفته أخافها. التقت به في منتصف الدرج ومسدت خده. قالت:

– "أنا أحبك."

رمقها بنظرة يغمرها الأسى لدرجة جعلتها تجفل، ولم يكن في رده ما يبعث على الطمأنينة:

– "أحبك."

بدت الكلمة كوداع فقبلته. لكنه نفض نفسه عنها وسأل عن مكان الحراس الشخصيين. أخذت لحظة قبل الإجابة. كان لديهما شرفتان، وكان الحراس يجلسون في الغربية، المواجهة للماء. سيتعين عليهم تغيير ملابسهم ومرافقته إذا خرج للركض، وكالعادة سيكافحون لمجاراته. أحيانًا كان يركض ذهابًا وإيابًا قليلًا حتى لا يرهقهم.

قالت:

– "في الشرفة الغربية."

تردد. بدا وكأنه يريد قول شيء ما. صدره يعلو ويهبط. كتفاه متوترتان بشكل غير طبيعي، وكانت هناك بقع حمراء على رقبته لم ترها من قبل.

– "ما الأمر؟"

– "حاولت كتابة رسالة لكِ. لكني لم أستطع."

– "لماذا بحق السماء قد تكتبين لي رسالة؟ أنا أقف هنا أمامك."

– "لكني..."

– "لكنك؟"

كادت تنهار، لكنها أقسمت ألا تستسلم قبل أن يخبرها بالضبط عما يجري. أمسكت بيديه ونظرت في عينيه. ولكن حينها حدث أسوأ شيء يمكن تخيله.

انتزع نفسه منها بقوة، وقال "أنا آسف"، ثم ركض مبتعدًا، ليس باتجاه الحراس الشخصيين، بل عبر الشرفة المطلة على الغابة. وفي لمح البصر غاب عن الأنظار، فصرخت بكل ما أوتيت من قوة. وعندما اندفع الحراس للداخل، كانت في حالة انهيار تام.

– "لقد هرب مني، لقد هرب مني."

-١٦-

٢٦ أغسطس

كان فورسيل يركض بسرعة جنونية حتى كاد صدغاه ينفجران من خفقان دمه، وعقله يضج بضجيج حياة بأكملها. لم يكن في تلك الذكريات ما يبعث على الارتياح، حتى أكثر لحظاتها بهجة. حاول أن يستحضر صورة بيكا وولديه، لكن لم يتراءَ له سوى ملامح الخيبة والعار في أعينهم. وعندما تناهى إلى مسامعه زقزقة عصفور من بعيد، بدت وكأنها آتية من عالم آخر لا صلة له به، ولم يستطع فهم مغزاها.

كيف يمكن لأي كائن أن يغني؟ كيف يجدون الرغبة في الحياة؟

كان وجوده كله قد استحال سواداً مطبقاً ويأساً لا قرار له. ومع ذلك، لم يكن يدري ما الذي يريده حقاً. لو كان في المدينة، لألقى بنفسه أمام شاحنة نقل ضخمة أو تحت عجلات قطار الأنفاق. أما هنا، فلم يكن أمامه سوى البحر؛ ورغم أنه شعر بنداء مياهه، إلا أنه كان يعلم يقيناً أنه سباح أمهر من أن يغرق بسهولة، وأن في أعماق يأسه إرادة حياة جامحة لا يثق في قدرته على كبح جماحها.

لذا استمر في الركض، لا بطريقته المعتادة، بل وكأنه يحاول الفرار من الحياة ذاتها. لم يستوعب كيف آلت به الأمور إلى هذا الحد؛ هو الذي ظن يوماً أنه قادر على مواجهة أي ريح، وأنه في قوة الدب. لكنه أخطأ، وانزلق إلى هاوية يعلم أنه لا يستطيع التعايش مع تبعاتها. في

البداية، أراد حقاً أن يرد الصاع صاعين، أن يقاتل. لكنهم أطبقوا حصارهم عليه، كانوا يعلمون أنهم امتلكوا زمامه، وها هو الآن هنا. طارت الطيور من حوله، ومن بعيد قفزت غزال مذعورة بين الأشجار. نيما، نيما. كيف يكون هو بالذات؟ لا يوجد أي منطق في هذا.

لقد أحب نيما، رغم أن كلمة "الحب" قد لا تكون الأدق، ولكن... كانت هناك رابطة تجمع بينهما، نوع من التحالف. كان نيما أول من لاحظ تسلل يوهانس إلى خيمة ريبيكا ليلاً في مخيم القاعدة، وقد أزعجه ذلك؛ فإلاهة "إيفرست" في نظره لا تقبل بمثل تلك الأفعال على منحدراتها المقدسة.

قال له حينها:

– "هذا يغضب الجبل كثيراً."

وفي النهاية، لم يملك يوهانس إلا أن يمازحه. ورغم أن الجميع حذروه قائلين: «هذا الرجل لا يتقبل المزاح!»، إلا أن نيما تقبل الأمر وضحك، ولعل حقيقة أن ريبيكا ويوهانس كانا أعزبين حينها قد ساعدت في تلطيف الأجواء.

كانت حالة غرانكين وإنجلمان أكثر تعقيداً؛ فكلاهما كان متزوجاً من شخص آخر. كانت الأمور شائكة من نواحٍ شتى، وتذكر لونا، لونا الرائعة الشجاعة، التي كانت تأتيهم أحياناً في الصباح بالخبز الطازج وجبن الماعز وزبدة الياك. تذكر قراره بمساعدتهم، نعم، لعل من هنا بدأ كل شيء. أعطاهم يوهانس المال، وكأنه يسدد ديناً لم يكن يعلم بعد أنه مدين به.

استمر في الركض، تنجذب خطاه نحو الماء انجذاباً لا يقاوم. وبمجرد وصوله إلى الشاطئ، نزع حذاءه وجواربه وسترة الركض،

وخاض في غمار البحر. بدأ يسبح، تماماً كما كان يركض: بهياج وضراوة. لاحظ زبد الموج الأبيض يعلو السطح، وأن الماء في هذه النقطة كان أبرد مما توقع. كانت التيارات قوية، لكنه بدلاً من أن يبطئ، شق عباب الماء بإصرار.

كان يريد أن يسبح لنسيان كل شيء.

كان الحراس قد طلبوا تعزيزات، وبينما لم تكن ريبيكا تدري ما الذي يمكنها فعله، صعدت إلى مكتب يوهانس. كانت تأمل أن تجد ما يساعدها على فهم ما جرى، لكنها لم تعثر على أي خيط، سوى بقايا ورق محترق في الموقد. وبينما كانت تستند إلى المكتب، سمعت طنيناً مفاجئاً بجانبها. لبرهة، ظنت أنها هي من تسببت في ذلك.

لكنه كان هاتف يوهانس المحمول، يظهر على شاشته اسم ميكائيل بلومكفيست. تركت الهاتف يرن؛ فآخر من تود الحديث إليه هو صحفي. لقد سمموا حياتها وحياة يوهانس، وأرادت أن تصرخ:

عد إليّ، أيها العجوز الأحمق. نحن نحبك...

لم تدرِ ماذا حدث بعد ذلك، فلا بد أن ساقيها قد خانتاها.

جلست على الأرض وراحت تصلي، رغم أنها لم تصلِّ منذ كانت طفلة صغيرة. وعندما طن الهاتف مجدداً، نهضت على ساقين مرتعشتين. إنه بلومكفيست مرة أخرى. بلومكفيست... حاولت أن تتذكر، ألم يكن في صفهم؟ ربما يعرف شيئاً. لم يكن الأمر مستحيلاً، لذا وبدافع من لحظة يأس، رفعت الخط وسمعت نبرة الانكسار في صوتها:

– "هاتف يوهانس، معكِ ريبيكا."

أدرك بلومكفيست على الفور أن خطباً ما قد وقع، لكنه لم يتخيل مدى خطورته. هل هو مجرد شجار بين زوج وزوجته؟ كان يمكن أن يكون أي شيء...

قال:

– "هل اتصلت في وقت غير مناسب؟"

– "نعم... في الحقيقة، لا."

أحس بمدى اضطرابها.

– "هل أتصل لاحقاً؟"

انفجرت قائلة:

– "لقد رحل فجأة! هرب من حراسه الشخصيين. ما الذي يحدث؟"

– "هل أنتم في جزيرة ساندون؟"

تمتمت:

– "ماذا...؟ نعم."

– "هل لديكِ أي فكرة عما أصابه؟"

قالت:

– "أنا مرعوبة من أن يكون قد ارتكب حماقة ما."

فأطلق بعض كلمات المواساة المعتادة بأن الأمور ستُحل بالتأكيد. ثم هرع نحو الرصيف حيث قاربه. لم يكن قارباً قوياً، وساندون جزيرة كبيرة تمتد على مساحة أربعة وخمسين هكتاراً. كان منزل عائلة فورسيل بعيداً، والوصول إليه سيستغرق وقتاً. كانت الرياح تهب بقوة، وبدا القارب صغيراً وخفيفاً وسط الأمواج، ورذاذ الماء يلطم وجهه. ما الذي أظن نفسي فاعلاً؟ لم يملك إجابة، لكن هذه كانت طريقته في

مواجهة الأزمات: المبادرة بالفعل. ضغط على مقبض السرعة، وسرعان ما سمع هزيز مروحية تحلق فوقه.

على الأرجح للأمر علاقة بـ فورسيل، وفكر مجدداً في زوجته. بدا صوتها وكأنها تصرخ في وجه الجميع ولا أحد في آن واحد: «ما الذي يحدث؟». لقد هزته نبرة القلق الحادة في صوتها.

أبقى عينيه مسمرتين على الماء أمامه، وكانت الرياح تهب في ظهره حالياً، مما ساعده قليلاً. بدأ يقترب من الطرف الجنوبي للجزيرة. مرت بجانبه زورق سريع يُقاد برعونة، فترنح قاربه الصغير يمنة ويسرة بفعل الأمواج التي خلفها الزورق. كافح لئلا يلتفت ويصرخ في وجه أولئك الفتيان المندفعين، واستمر في مسح خط الشاطئ بعينيه. لم يكن هناك الكثير من الناس، ولا سباحون في الماء. فكر في التوجه نحو البر والبحث في الغابة، لكنه لمح فجأة نقطة ضئيلة في عرض القناة، تطفو وتهوي مع الأمواج. وجه قاربه نحوها وصرخ:

***

– "هوي! أنت هناك! هوي!"

كانت الرياح قد ابتلعت كل صوت، وشعر فورسيل أنه وحيد في هذا العالم. كان الألم العضلي المبرح والتقلصات التي بدأت تهاجم ذراعيه تمنحه شعوراً بالتحرر. كان تركيزه الوحيد منصباً على المضي قدماً حتى يخور تماماً ويغوص في أعماق الماء، بعيداً عن الحياة. لكن الأمر لم يكن بتلك البساطة؛ فهو لم يكن يريد العيش، لكنه لم يكن واثقاً من رغبته في الموت أيضاً. لم يكن يعرف سوى أن كل أمل قد تبخر، ولم يبقَ سوى العار والغضب العارم الذي تحول إلى قوة تنفجر

في داخله، كأنها نصل طعن به نفسه، وكان الأمر فوق طاقته. لم يعد يحتمل.

فكر في ولديه صموئيل وجوناثان، وحينها أدرك أنه لا يستطيع مواجهة الخيار الذي يقف أمامه: أن يخذلهم بموته، أو أن يعيش ليراهم ينظرون إليه كرجل ملطخ بالعار. لذا استمر في السباحة، وكأن البحر سيمنحه الجواب. سمع صوت مروحية فوقه وابتلع جرعة من الماء. ظن أن موجة قد غمرته، لكنها كانت قواه التي بدأت تخور.

كان يصارع لإبقاء رأسه فوق السطح، فحول سباحته إلى سباحة الصدر، لكن ساقيه كانت تجره للأسفل. وفي لمحة بصر، ودون أن يدري كيف، صار تحت الماء. تملكه الذعر، وبدأ يخبط بذراعيه بشكل عشوائي. كان هناك شيء واحد مؤكد تماماً: حتى لو أراد الموت، فهو لا يريده بهذه الطريقة. قاتل ليخرج ثانية، يلهث طلباً للهواء، ثم استدار نحو الشاطئ وسبح لنحو خمسة أو عشرة أمتار قبل أن يغوص مجدداً.

هنا تملكه الخوف حقاً. كتم أنفاسه، لكن في غضون ثوانٍ ابتلع مزيداً من الماء وأصيب حنجرته بتشنج. لم يعد قادراً على التنفس على الإطلاق. حاول جسده حمايته قدر المستطاع حتى أدى خوفه المتصاعد من الموت إلى حالة من فرط التنفس. كان صدره ورأسه يكادان ينفجران من الألم والرعب. فقد وعيه لبرهة، ثم استعاده، لكنه كان يغوص نحو القاع. وبقدر ما استطاع التفكير في تلك اللحظة، فكر في عائلته، وفي كل شيء... ولا شيء.

اختفى ذلك الرأس وسط الأمواج، ثم ظهر ثانية، فصرخ بلومكفيست:

— "انتظرني، أنا قادم."

لكن قاربه كان بطيئاً جداً، وعندما نظر مرة أخرى، لم يرَ سوى البحر وطائر نورس يغوص، ومن بعيد قارب شراعي أزرق. حاول تحديد النقطة التي لمح فيها الرجل لآخر مرة. أهنا... أم هناك؟ لم يكن أمامه سوى الأمل، وفي النهاية أطفأ المحرك وحدق في الماء. كان الماء عكراً؛ تذكر ما قرأه بأن هذا ينتج عن مزيج من المطر وطحالب مزهرة ومواد كيميائية وجزيئات تربة. لوح للمروحية فوقه — ولكن ما نفع ذلك؟ نزع حذاءه وجواربه ووقف لبرهة في القارب وهو يتأرجح مع الريح، ثم قفز.

كانت البرودة صادمة. غاص تحت السطح وبحث حوله، لكنه لم يبصر شيئاً على الإطلاق. كان الأمر يبدو يائساً، وبعد دقيقة عاد للسطح ليلتقط أنفاسه. رأى أن قاربه قد جرفه التيار بعيداً، لكنه لم يملك ما يفعله لإيقافه. غاص مجدداً، في الاتجاه المعاكس هذه المرة، ولمح جثة على بعد مسافة قصيرة، بدت هامدة وتغوص كعمود. سبح نحوها وأمسك بالرجل من تحت إبطيه. كان ثقيلاً كالرصاص، وجسده خامل يصعب التحكم فيه. بذل بلومكفيست كل ما في وسعه، وراح يركل الماء بقوة محاولاً السباحة، وببطء، سنتيمتراً تلو الآخر، نجح في رفع الرجل للأعلى. لكن حساباته النفسية كانت خاطئة.

لقد ظن أنه بمجرد وصوله بالجسد إلى السطح، سيصبح كل شيء أسهل. لكنه شعر وكأنه يحمل جذع شجرة ضخماً. كان الرجل في حالة سيئة وبدا وزنه أثقل فوق الماء. لم يكن يظهر عليه أي علامة من علامات الحياة، وأدرك بلومكفيست كم صار بعيداً في عرض الخليج. لن يتمكن أبداً من العودة بالجسد إلى الشاطئ بمفرده، لكنه لم يستطع

الاستسلام. منذ زمن بعيد، في شبابه، التحق بدورة في الإنقاذ. حاول مراراً تغيير طريقة إمساكه بالرجل ليحصل على قبضة أفضل.

لكنه بدأ يشعر بالرجل يزداد ثقلاً، وبدأ بلومكفيست يصارع بشدة، وبدأ يستنشق الماء. بدأت عضلاته تتقلص. كان هذا هو المنتهى. سيتعين عليه ترك الرجل، وإلا فسيُجر هو الآخر نحو الأعماق. في لحظة كان على وشك الاستسلام، وفي اللحظة التالية شعر أنه لا يستطيع. استمر في الصراع حتى أظلم كل شيء وغاب عن الوعي.

-١٧-

٢٦ أغسطس

تأخر الوقت، وكان بوبلانسكي لا يزال في مكتبه بمقر الشرطة، يتصفح المواقع الإخبارية. وزير الدفاع فورسيل يرقد في غيبوبة بوحدة العناية المركزة في مستشفى كارولينسكا، بعد أن نجا من الغرق بأعجوبة. وُصفت حالته بالحرجة. وحتى لو استعاد وعيه، كان هناك خطر من إصابته بتلف في الدماغ. دار الحديث عن ذلك، وعن توقف القلب، ووذمة رئوية تناضحية (Osmotic pulmonary oedema)، وانخفاض درجة حرارة الجسم، فضلًا عن عدم انتظام ضربات القلب. لم تكن الأمور تبشر بالخير.

لمحت وسائل الإعلام الجادة إلى أنها قد تكون محاولة انتحار، ولا بد أن الخبر تسرب من داخل أروقة الوزارة. كان من المعروف على نطاق واسع أن فورسيل سباح ماهر، وفي هذه الحالة سيكون التفسير الأكثر منطقية هو أنه بالغ في تقدير قدراته، وسبح بعيدًا جدًا فعلِق في التيارات المتجمدة. لكن من المستحيل الجزم بذلك. وردت تقارير تفيد بأن رجلًا يركب زورقًا آليًا أنقذه، ثم التقطه قارب تابع لجمعية الإنقاذ البحري، ونُقل إلى المستشفى بطائرة مروحية.

تحت هذه القصص، نُشرت مقالات تشيد بـ فورسيل بوصفه "وزيرًا قويًا ومبادرًا دافع عن القيم الإنسانية الأساسية". بدت وكأنها

نعي. قالوا إنه "حارب التعصب والقومية المدمرة" وكان "متفائلًا لا يلين، سعى دائمًا للحلول الوسط". ذكرت المقالات أنه كان ضحية "حملة كراهية ظالمة للغاية"، يمكن تتبع خيوطها إلى مصانع الذباب الإلكتروني في روسيا.

تمتم بوبلانسكي:

— "آن لأحدهم أن يقول ذلك أخيرًا."

وأومأ برأسه موافقًا وهو يقرأ عمودًا لـ كاترين لينداس في صحيفة سفينسكا داغبلادت، جادلت فيه بأن هذا نتيجة منطقية لـ "المزاج العام في مجتمع يشجع حملات المطاردة وشيطنة الناس".

ثم التفت إلى المفتشة موديغ، التي كانت تجلس في الكرسي المتهالك بجواره، وحاسوبها المحمول على ركبتيها.

— "حسنًا يا سونيا، هل نحرز أي تقدم في قصتنا؟"

نظرت موديغ إليه، وبدت حائرة بعض الشيء.

— "لا أستطيع القول إننا نفعل حقًا. لم نعثر على هيكي يارفينن بعد، لكني تحدثت مع إحدى الطبيبات اللاتي اعتنين بـ نيما ريتا في عيادة الصحة النفسية في كاتماندو، تلك التي ذكرها بلومكفيست."

— "وماذا قالت؟"

— "قالت إن نيما ريتا أصيب بذهان حاد وكان يسمع أصواتًا وصرخات استغاثة. كان يائسًا لأنه لم يستطع فعل شيء حيالها. انطباعها كان أنه يعيش باستمرار تجربة ما من الماضي."

— "أي نوع من التجارب، هل قالت؟"

— "أشياء مر بها على الجبل، أوقات شعر فيها بالعجز. قالت إنهم حاولوا علاجه بالأدوية وبالصدمات الكهربائية، لكن الأمر كان صعبًا."

– "هل سألتِ عما إذا كان قد تحدث عن فورسيل؟"

– "تعرفت على الاسم، لكن هذا كل شيء. كان يتحدث في الغالب عن زوجته وعن ستان إنجلمان، الذي كان خائفًا منه. أعتقد أن هذا خيط يجب أن نتبعه. يبدو أن إنجلمان هذا عديم الضمير إلى حد كبير. لكني سمعت شيئًا آخر مثيرًا للاهتمام أيضًا."

– "ما هو؟"

– "بعد الدراما على إيفرست عام ٢٠٠٨، أراد الصحفيون جميعًا التحدث إلى نيما ريتا. لكن ذلك الاهتمام سرعان ما تلاشى. شاع أنه مريض ومضطرب فصار منسيًا تقريبًا. ولكن مع اقتراب الذكرى العاشرة، اتصلت به شخصية تدعى ليليان هندرسون، صحفية في مجلة «ذي أتلانتيك»، كانت تكتب كتابًا عن الدراما. حاولت ليليان مقابلة نيما في المستشفى، عبر الهاتف."

– "ماذا اكتشفت؟"

– "لا شيء في الواقع، حسب ما فهمت. لكنها اتفقت مع نيما ريتا على اللقاء بما أنها كانت قادمة إلى نيبال لإجراء بعض الأبحاث. غير أنه بحلول وقت وصولها، كان قد اختفى بالفعل، وفي نهاية المطاف لم يظهر الكتاب للنور قط. كان الناشرون خائفين من التعرض للمقاضاة."

– "من قِبل مَن؟"

– "من قِبل السيد إنجلمان."

– "مم كان خائفًا جدًا؟"

– "هذا ما أعتقد أننا يجب أن نكتشفه."

سأل بوبلانسكي:

– "إذًا هل نحن متأكدون تمامًا من أن المتسول وهذا الـ نيما ريتا هما نفس الشخص؟"

– "أقول نعم. هناك الكثير من التطابقات، ويبدو أن هناك شبهًا جسديًا حقيقيًا."

– "كيف اكتشف بلومكفيست هذا؟"

– "كل ما أعرفه هو ما كتبه لك. حاولت الوصول إليه، لكن لا يبدو أن أحدًا يعرف مكانه، ولا حتى إريكا بيرغر. تقول إنها قلقة. كانوا يتحدثون للتو عن عمل ملف تعريفي لـ فورسيل، ومنذ الحادث وهي تحاول بجنون الوصول إليه."

– "أليس لديه مكان في ساندون أيضًا؟"

– "نعم، في ساندهامن."

– "هل يعقل أن الاستخبارات العسكرية (Must) أو الأمن السري (Säpo) قد وضعوا أيديهم عليه؟ الأمر برمته يبدو محاطًا بتكتم شديد."

– "هو كذلك. أبلغنا القيادة العسكرية العليا، لكنهم لم يردوا علينا. ونحن لا نعرف أيضًا إن كان بلومكفيست قد أخبرنا بكل شيء. ربما وجد فعلًا صلة بين الشيربا وفورسيل."

قال بوبلانسكي:

– "ألا تجدين هذه القصة برمتها مقززة؟"

– "ماذا تعني؟"

– "فورسيل ينتقد روسيا ويتهمهم بالتدخل في العملية الانتخابية السويدية، وفجأة يكرهه الجميع ويغرق حتى أذنيه في الأكاذيب، ويُدفع إلى قاع اليأس. ثم، يا للمفاجأة، تظهر جثة شيربا ميت من العدم وتشير

أصابع الاتهام مباشرة إلى فورسيل. لدي شعور بأن أحدهم يحاول توريطه."

– "لا يبدو الأمر جيدًا حين تضعه في هذا الإطار."

– "لا،" قال بوبلانسكي. "أما زلنا لا نعرف كيف دخل المتسول إلى البلاد؟"

– "أكدت وكالة الهجرة مجددًا أنه ليس في أي من سجلاتهم."

– "غريب."

– "كان يجب أن يظهر في قواعد بياناتنا."

– "ربما فرضت أجهزة الاستخبارات تعتيمًا على ذلك أيضًا،" تمتم.

– "لن يفاجئني ذلك."

– "أليس مسموحًا لنا بالتحدث إلى زوجة فورسيل أيضًا؟"

هزت موديغ رأسها.

– "سنحتاج لاستجوابها قريبًا، أنا واثق أنهم يتفهمون ذلك. لا يمكنهم منعنا من القيام بعملنا."

– "لدي شعور سيء بأن هذا بالضبط ما يعتقدون أنهم قادرون على فعله."

– "هل هم خائفون من شيء ما أيضًا؟"

– "يكاد يبدو الأمر كذلك."

– "حسنًا، سيتعين علينا فقط قبول ذلك، والاكتفاء بما لدينا. ولكن يالها من فوضى،" قال بوبلانسكي، ولم يستطع منع نفسه من إلقاء نظرة أخرى على المواقع الإخبارية.

ظلت حالة يوهانس فورسيل حرجة.

***

تأخر توماس مولر في العودة من العمل إلى شقته الواسعة في أوستربروغيد بـ كوبنهاغن. أخرج جعة من الثلاجة ورأى أن الحوض متسخ وأن أطباق الإفطار لم توضع في غسالة الصحون. تجول في جميع الغرف. لم يتم تنظيف أي منها.

لم تكلف عاملات النظافة أنفسهن عناء العمل ببساطة. وكأنه لا يملك ما يكفي من المتاعب بالفعل. لا شيء سوى الغم والتذمر في العمل. سكرتيرته ميتة دماغيًا. صرخ في وجهها اليوم لدرجة أصابته بالصداع، ثم بالطبع، وسط كل ذلك، كانت هناك بولينا. لقد طفح الكيل الآن. كيف تجرؤ! بعد كل ما فعله. كانت نكرة حين التقاها أول مرة، صحفية عديمة القيمة في صحيفة محلية. أعطاها كل شيء — كل شيء عدا اتفاق ما قبل الزواج الموقع، وكان ذلك خطأً فادحًا. يا لهذه اللعينة.

عندما تعود إليه مثل خرقة مبللة، سيتظاهر باللطف. ثم سيريها الجحيم. لن يغفر لها أبدًا، خاصة ليس بعد تلك الرسالة. <لقد تركتك> قالت الرسالة. <قابلت امرأة. أنا عاشقة> هذا كل شيء، وحطم هاتفه المحمول، ومزهرية كريستال... لا، لا يريد التفكير في الأمر.

خلع سترته، واستلقى على الأريكة مع جعته وتساءل عما إذا كان سيتصل بـ فريدريك، عشيقته. لكنه ملّ منها أيضًا. شغّل التلفاز وسمع أن وزير الدفاع السويدي يتأرجح بين الحياة والموت. لم يكن ليكترث أقل من ذلك. ذلك المهرج كان أحمقًا من دعاة الصوابية السياسية، الجميع يعرف ذلك، ومنافقًا ومحتالًا أيضًا. غيّر القناة إلى بلومبرغ والأخبار المالية وترك أفكاره تشرد، ولا بد أنه قلّب القنوات عشر مرات

على الأقل حين رن جرس الباب. تبًا. من بحق الجحيم يأتي في العاشرة مساءً؟ كاد يتجاهل الأمر.

ثم خطر له أنها قد تكون بولينا، فجرّ نفسه للوقوف وفتح الباب بعنف. لكنها لم تكن زوجته. كانت فتاة تبدو مشاكسة، بشعر أسود وترتدي الجينز وسترة بقلنسوة (Hoodie)، تقف في الممر ممسكة بحقيبة وتنظر لأسفل نحو أرضية الردهة.

– "لا أحتاج لأي شيء،" قال.

– "الأمر بخصوص التنظيف."

– "يمكنك إخبار رئيستك نيابة عني أن تذهب للجحيم،" قال. "ليس لدي وقت لأشخاص لا يقومون بعملهم بشكل صحيح."

– "ليس خطأ شركة التنظيف،" قالت المرأة.

– "عما تتحدثين؟"

– "أنا من ألغى الخدمة."

– "فعلتِ ماذا؟"

– "ألغيتها، وسأهتم بالأمور بنفسي."

– "ألا تفهمين؟ لا أريد مزيدًا من التنظيف. اغربي عن وجهي،" بصق الكلمات وأغلق الباب بقوة.

لكن المرأة وضعت قدمها في الطريق وعبرت العتبة، وحينها فقط لاحظ أن هناك شيئًا غريبًا بشأنها. كانت تمشي بطريقة مضحكة، دون تحريك ذراعيها أو الجزء العلوي من جسدها، ورأسها مائل قليلًا لجانب واحد، وكأنها تنظر إلى نقطة بعيدة عند النوافذ. ربما كانت مجرمة أو تعاني من مشكلة عقلية. كانت عيناها جليديتين وخاليتين من

التعبير، وكأنها ليست حاضرة تمامًا، فقال بكل السلطة التي استطاع حشدها:

– "إذا لم تغربي عن وجهي فورًا، سأتصل بالشرطة."

لم تجب. لم يبدُ حتى أنها سمعته. انحنت لتخرج بعض الحبال ولفافة شريط لاصق قوي من حقيبتها، وللحظة لم يستطع التفكير في شيء ليقوله. ثم صرخ "اخرجي!" وأمسك يدها.

لكن بطريقة ما تمكنت هي من الإمساك بمعصمه وجره نحو طاولة الطعام. كان مستشيطًا غضبًا وخائفًا في آن واحد، فانتزع نفسه منها، ناويًا ضربها أو دفعها نحو الجدار، لكنها اندفعت نحوه بحيث سقط على ظهره فوق الطاولة. في غضون ثوانٍ كانت فوقه بتلك العيون الجليدية الفارغة نفسها، وبسرعة البرق كانت قد قيدته. بنبرة رتيبة قالت:

– "والآن سأكوي قميصك لك."

ثم وضعت شريطًا لاصقًا على فمه ورمقته كما يرمق الوحش فريسته. لم يشعر توماس مولر برعب كهذا في حياته قط.

***

عانى بلومكفيست بشدة في التيارات الباردة وابتلع الكثير من الماء. تم انتشاله هو وفورسيل ونقلهما بنفس المروحية. لفترة من الوقت كان فاقدًا للوعي تقريبًا. لكنه تعافى بسرعة نسبيًا، والآن، في وقت متأخر من المساء، بعد جولة الأطباء وثلاث جلسات استجواب من الاستخبارات العسكرية، أُعيدت إليه ممتلكاته، بما في ذلك هاتفه المحمول الذي استُعيد من زورقه. كانت عائلة شابة في مركب شراعي قد سحبته من الخليج. سُمح له بالعودة للمنزل، لكن الأطباء نصحوه بالبقاء في

المستشفى لليلة. أُبلغ أيضًا أن مدعيًا عامًا يدعى ماتسون أصدر أمرًا بمنعه من النشر. كان بحاجة للاتصال بأخته أنيكا، المحامية.

كان يعلم جيداً أن الأساس القانوني لإسكات الصحفيين واهٍ، وعلى أية حال فقد استاء من السلوك الاستبدادي لرجال الاستخبارات. لكنه ترك الأمر. لم يكن ليكتب كلمة واحدة حتى يصل إلى حقيقة القصة بأي حال، لذا ظل جالسًا على السرير يجمع أفكاره. لم يُترك في سلام طويلًا.

طرقٌ آخر على الباب، وظهرت امرأة طويلة بشعر أشقر داكن وعينين محتقنتين بالدم في الغرفة. لسبب ما — ربما لأنه كان يحدق للتو في كل المكالمات الفائتة على هاتفه — استغرق الأمر بعض الوقت ليدرك أنها ريبيكا فورسيل. كانت يداها ترتجفان، وقالت إنها أرادت شكره حقًا قبل مغادرته.

— "هل هو أفضل؟" سأل بلومكفيست.

— "تجاوز الأسوأ، الحمد لله. لكننا لا نعرف بعد ما إذا كان قد تعرض لأي تلف في الدماغ. من المبكر جدًا الجزم."

طلب منها الجلوس في الكرسي بجواره.

— "يقولون إنك أنت أيضًا نجوت بأعجوبة،" قالت.

— "هذه مبالغة بعض الشيء."

— "لكن مع ذلك... هل تدرك تمامًا ما فعلته — من أجلنا؟ هل تستوعب ذلك؟ إنه شيء عظيم."

— "شكرًا،" قال. "أنا ممتن."

— "هل هناك أي شيء يمكننا فعله لك؟"

أخبريني بكل ما تعرفينه عن نيما ريتا، فكر في نفسه. قولي الحقيقة.

— "احرصي على أن يتحسن زوجك ويجد لنفسه وظيفة أكثر راحة."

— "لقد كان وقتًا عصيبًا."

— "أتفهم ذلك."

— "أتعلم..."

بدت مشوشة، وكانت تفرك يدها بعصبية بذراعها اليسرى.

— "نعم؟"

— "كنت أقرأ للتو عن يوهانس على الإنترنت، وفجأة أصبح الناس لطفاء مرة أخرى، ليس كلهم بالطبع، لكن الكثيرين. الأمر يكاد يكون غير واقعي. جعلني أدرك حجم الكابوس الذي كنا نعيشه."

مال بلومكفيست للأمام وأمسك بيدها.

— "أنا من اتصلت بصحيفة «داغنز نيهيتر» وأخبرتهم أنها محاولة انتحار، رغم أنني لا أعرف على وجه اليقين ما حدث بالضبط. هل كان ذلك تصرفًا سيئًا؟" سألت.

— "كانت لديك أسبابك، أفترض."

— "أردتهم أن يفهموا إلى أي مدى وصلت الأمور."

— "مبرر كافٍ."

— "رجال الاستخبارات (Must) أخبروني شيئًا غريبًا جدًا،" قالت وهي تبدو مضطربة.

— "ماذا أخبروك؟" سأل محاولًا أن يبدو هادئًا.

— "أنك اكتشفت موت نيما ريتا هنا في ستوكهولم."

– "نعم، الأمر غريب حقًا. هل كنتما تعرفانه؟"

– "لست متأكدة إن كنت أجرؤ على قول شيء. إنهم يلحون علي طوال الوقت لألتزم الصمت حيال الأمر."

– "يلحون علي أنا أيضًا،" قال، وأضاف: "لكن هل يجب علينا أن نكون مطيعين إلى هذا الحد؟"

ابتسمت بأسى.

– "ربما لا."

– "إذًا، هل كنتما تعرفانه؟"

– "عرفناه لفترة في مخيم القاعدة. أحببناه كثيرًا، وأعتقد أنه أحبنا. «ساهب، ساهب» (Sahib)، كان يقول طوال الوقت عن يوهانس، «شخص طيب جدًا». كانت لديه زوجة جميلة."

– "لونا."

– "لونا،" رددت الاسم. "لقد دللتنا جميعًا، كانت دائمة الحركة والنشاط. ساعدناهما في بناء منزل في بانغبوتش بعد ذلك."

– "أحسنتم صنعًا."

– "لست متأكدة من ذلك. جميعنا شعرنا بالذنب لما حدث له."

– "هل لديك أي فكرة كيف يمكن أن يختفي من كاتماندو، ويُفترض موته، ثم يظهر في ستوكهولم بعد ثلاث سنوات ويموت مرة أخرى؟"

– "الأمر يصيبني بالغثيان." نظرت إليه والبؤس يملأ عينيها.

– "أخبريني،" قال.

– "كان يجب أن ترى أولئك الصبية الصغار في خومبو. كانوا يعبدونه. لقد أنقذ أرواحًا، ودفع ثمنًا باهظًا."

– "أفترض أن ذلك كان نهاية مسيرته في التسلق."

– "لُطخ اسمه بالوحل."

– "لكن ليس من قِبل الجميع بالتأكيد؟"

– "من قِبل الكثيرين."

– "عمن نتحدث؟"

– "أولئك المقربين من كلارا إنجلمان."

– "زوجها، على سبيل المثال؟"

– "بالطبع، هو أيضًا."

استطاع سماع تغير النبرة في صوتها.

– "طريقة غريبة للتعبير."

– "حسنًا، ربما. لكنك تفهم... القصة أكثر تعقيدًا مما يدركه معظم الناس، وتورط فيها العديد من المحامين. قبل عام أو عامين، اضطر ناشر أمريكي لسحب كتاب عنها."

– "بسبب محامي إنجلمان، أراهن."

– "صحيح. إنجلمان قطب عقارات، ظاهريًا رجل أعمال، لكنه في الجوهر رجل عصابات، مافيوزو، هذا رأيي على الأقل. وأعلم أنه لم يكن سعيدًا جدًا بزوجته قرب النهاية."

– "كيف ذلك؟"

– "لأنها وقعت في حب مرشدنا، فيكتور غرانكين، وأرادت ترك ستان. قالت إنها ستحصل على الطلاق وتخبر الصحافة كم كان خنزيرًا نرجسيًا. هذه هي الأشياء التي تمكن إنجلمان من قمعها، رغم أنه ربما لا يزال بإمكانك العثور على شذرات منها في مواقع النميمة على الإنترنت."

– "فهمت."

– "كان الأمر كله مريرًا للغاية."

– "هل عرف نيما ريتا بالأمر؟"

– "أبقوا الأمر طي الكتمان الشديد، لكني واثقة أنه عرف. كان يعتني بها."

– "وهل تكتم هو أيضًا عليه؟"

– "أعتقد ذلك. على الأقل طالما كان عقله لا يزال سليمًا إلى حد ما. ولكن بعد وفاة زوجته، يبدو أنه أصبح مشوشًا أكثر فأكثر. لن يفاجئني أبدًا إن كان قد تجول وثرثر حول ذلك، وأمور أخرى أيضًا."

نظر بلومكفيست في عيني ريبيكا فورسيل، وإلى جسدها الطويل المنكمش في الكرسي. قال بشيء من التردد:

– "في أيامه الأخيرة كان يتحدث عن زوجك أيضًا."

شعرت ريبيكا بالغضب يتصاعد بداخلها، لكنها حرصت على عدم إظهاره، وعرفت أنها تظلمه. بلومكفيست يقوم بعمله. لقد أنقذ حياة زوجها. لكن كلماته أيقظت أسوأ شكوكها، أن يوهانس يخفي عنها شيئًا يتعلق بـإيفرست ونيما ريتا. في قرارة نفسها، لم تصدق أبدًا أن حملة الكراهية هي التي حطمته.

كان يوهانس مقاتلًا، محاربًا، أحمقًا مفرط التفاؤل يقتحم المصاعب مهما كانت الفرص ضئيلة. المرات الوحيدة التي رأته فيها مهزومًا كانت الآن، في ساندون، وبعد صعوده لإيفرست. كانت قد استنتجت بنفسها بالفعل أنه لا بد من وجود صلة. وهذا بالتأكيد ما جعلها غاضبة جدًا، وليس بلومكفيست. هو مجرد رسول.

– "لا أفهم ذلك،" قالت.

– "إطلاقًا؟"

صمتت. ثم قالت: "يجب أن تتحدث مع سفانتي"، وندمت فورًا.

– "سفانتي ليندبيرغ؟"

– "هذا صحيح."

كانت هي ويوهانس قد خاضا شجارًا كبيرًا في المنزل يوم عيّن ليندبيرغ وكيلًا لوزارته. ظاهريًا، كان ليندبيرغ نسخة طبق الأصل من يوهانس، بنفس الطاقة والحماسة العسكرية. لكنه في الواقع كان شيئًا مختلفًا تمامًا. فبينما كان فورسيل يحسن الظن بكل شيء والجميع – حتى يثبت العكس – كان ليندبيرغ دائمًا حسابيًا ومتلاعبًا.

– "ماذا يمكن لـ سفانتي أن يخبرني؟" سأل بلومكفيست.

أيًا كان ما يخدم مصالحه، فكرت.

– "ما حدث على إيفرست،" قالت، متسائلة عما إذا كانت تخون يوهانس بتلك الكلمات. لكن يوهانس خذلها بعدم إخبارها بكل ما جرى على الجبل. نهضت، وعانقت بلومكفيست وشكرته مرة أخرى، وعادت إلى وحدة العناية المركزة.

-١٨-

٢٦ – ٢٧ أغسطس، ليلاً

كانت المفتشة العامة أولريك جنسن تُجري الاستجواب الأول مع صاحب البلاغ، توماس مولر، في مستشفى الملك بميونيخ في كوبنهاغن. كان قد أُدخل المستشفى في الحادية عشرة وعشر دقائق ليلاً، مصاباً بحروق في ذراعيه وأعلى صدره. كانت جنسن في الرابعة والأربعين من عمرها، وأماً لأطفال صغار، وقد أمضت سنوات طويلة في التعامل مع الجرائم الجنسية. نُقلت مؤخراً إلى فرقة الجرائم العنيفة وغالباً ما كانت تعمل في نوبة الليل —إذ كان هذا هو النظام الأنسب لعائلتها في تلك المرحلة— لذا فقد نالت نصيبها الوافر من أقوال الشهود المشوشة أو المخمورة. لكن ما كانت تسمعه الآن فاق كل توقعاتها.

قالت له:

– "أدرك أنك تتألم بشدة، وأن المورفين يؤثر على وعيك. لكن هل يمكننا محاولة الالتزام بالحقائق والتركيز على وصف دقيق؟"

تمتم قائلاً:

– "لم أرَ قط عينين مثل عينيها."

– "لقد قلت ذلك بالفعل. لكن عليك أن تكون أكثر تحديداً. هل كانت لهذه المرأة أي علامات مميزة؟"

– "كانت شابّة، قصيرة القامة، شعرها أسود، وتتحدث كأنها شبح."

– "وكيف يتحدث الأشباح؟"

– "بلا أي مشاعر، أو بالأحرى... كأن عقلها منشغل بشيء آخر تماماً. لم تكن حاضرة تماماً."

– "ماذا قالت؟ هل يمكنك تكرار كلماتها من فضلك لنكون فكرة أوضح عما حدث بالفعل؟"

– "قالت إنها لا تكوي ملابسها أبداً، لذا فهي ليست بارعة في الأمر، وكان من المهم بالنسبة لي أن أبقى ساكناً."

– "هذا كلام قاسٍ للغاية."

– "لقد كان جنوناً محضاً."

– "أهذا كل شيء؟"

– "قالت إنها ستعود إليّ مرة أخرى إن لم أفعَل..."

– "إن لم تفعل ماذا؟"

تململ مولر في سريره بالمستشفى ورمقها بنظرة عاجزة.

كررت سؤالها:

– "إن لم تفعل ماذا؟"

– "إن لم أترك زوجتي وشأنها. قالت إنه لا يجب أن أراها مجدداً، وأن عليّ أن أطلقها."

– "لقد قلت إن زوجتك مسافرة، أليس كذلك؟"

– "نعم، إنها..." أخذ يتمتم بكلمات غير مسموعة.

سألته جنسن:

– "هل فعلت لها شيئاً؟"

– "لم أفعل شيئاً على الإطلاق. هي التي..."

– "ماذا؟"

– "هي التي تركتني."

– "ولماذا تركتك، برأيك؟"

– "إنها..."

كان على وشك أن يتفوه بشيء فظيع، لكنه كان ذكياً بما يكفي ليمسك لسانه. أدركت جنسن أن هناك ماضياً بينهما، وأنه لن يكون ماضياً جميلاً بأي حال، لكنها نحّت هذا الأمر جانباً في الوقت الحالي.

قالت:

– "هل تتذكر أي شيء آخر قد يساعدنا؟"

– "قالت تلك المرأة إن حظي كان عاثراً."

– "وماذا كانت تقصد بذلك، برأيك؟"

– "قالت إنها كانت تكتم الكثير من الهراء في داخلها طوال الصيف، وقد أدى ذلك إلى إصابتها بنوع من الجنون."

– "هذا لا يفسر الكثير، أليس كذلك؟"

– "وكيف لي أن أعرف ما الذي كانت تقصده بحق الجحيم؟"

– "وكيف انتهى الأمر؟"

– "نزعت الشريط اللاصق عن فمي وكررت كل شيء مجدداً."

– "أن تبتعد عن زوجتك؟"

– "وسأفعل ذلك بالتأكيد. لا أريد رؤيتها مجدداً أبداً."

– "حسناً. يبدو أن هذه خطة جيدة للوقت الراهن. إذاً، أنت لم تتحدث مع زوجتك هذا المساء أيضاً؟"

– "لقد أخبرتكِ، أنا لا أعرف حتى أين هي. ولكن بحق الله..."

– "نعم؟"

– "عليكم التحرك والقيام بشيء ما. هذه الشخصية مجنونة تماماً، إنها قاتلة، وستقتل شخصاً ما في المرة القادمة."

قالت جنسن:

– "سنبذل قصارى جهدنا. ولكن يبدو أن..."

– "يبدو أن ماذا؟"

تابعت قائلة، وهي تشعر فجأة بملل شديد من وظيفتها:

– "يبدو أن جميع كاميرات المراقبة في الحي كانت خارج الخدمة في تلك اللحظة، لذا ليس لدينا الكثير لنعتمد عليه."

***

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل حين كانت ليزبيث سالاندر في سيارة أجرة في طريقها قادمة من مطار "أرلاندا"، تقرأ عن محامية طلاق أوصت بها أنيكا جانيني، عندما تلقت رسالة مشفرة من بلومكفيست. كانت متعبة ومضطربة لدرجة تمنعها من الرغبة في الاطلاع عليها، فحدقت بشرود خارج النافذة.

ما الذي أصابني؟

لقد أحبت بولينا؛ ربما بطريقتها الملتوية الخاصة. وكيف عبرت عن ذلك الحب؟ لقد أرسلتها إلى والديها في ميونيخ بقلب محطم. واعتدت على زوجها، وكأن الانتقام منه سيعوض بطريقة ما قصورها في الحب. لم تجد في نفسها القدرة على قتل أختها –التي سببت كل هذا الأذى– لكنها كانت مستعدة لإنهاء حياة توماس مولر في كوبنهاغن دون أن يرف لها جفن. بينما كانت تجلس فوقه ممسكة بالمكواة، مرت صور زالاتشينكو والمحامي بيورمان والطبيب النفسي تيليبوريان وكل أولئك

الوحوش أمام عينيها. كان الأمر وكأن السدود قد انفجرت فجأة؛ كأنها أرادت الانتقام لحياتها برمتها، وقد تطلب الأمر كل ما تملكه من ضبط نفس لتمنع نفسها من الانزلاق نحو الجنون المطلق.

كان عليها أن تستعيد توازنها، وإلا فسيستمر الأمر على هذا المنوال: ترددٌ في اللحظات التي تتطلب الفعل، وجنونٌ يحل محل الهدوء.

شيء ما مما حدث في شارع "تفيرسكوي" أفقدها توازنها؛ كان إدراكاً جديداً من ماضيها. لم يكن الأمر يتعلق فقط بحقيقة أنها رقدت هناك عاجزة حين جاء "زالا" ليأخذ كاميلا ليلاً، بل كانت هناك أمها أيضاً. ماذا كانت تعرف؟ هل أغمضت هي الأخرى عينيها عن الحقيقة؟ كانت هذه الفكرة تنغص عليها عيشها باستمرار، لدرجة جعلتها تخشى نفسها؛ تخشى ترددها، وتخشى أن تكون محاربة عديمة الفائدة في المعركة الحاسمة التي تنتظرها حتماً: معركة حياتها الكبرى.

كانت تعلم أن كاميلا تلقت زيارة من عصابة "سفافيلسيو" للدراجات النارية منذ أن ساعدها بليج في اختراق كاميرات المراقبة المحيطة بالشقة في شارع "ستراندفيغن". كانت تدرك أن أختها تلاحقها بكل الوسائل المتاحة لديها، وأن كاميلا نفسها —إن واتتها الفرصة— لن تتردد لحظة واحدة. لذا، تباً لكل شيء، كان عليها أن تتماسك. عليها أن تكون قوية وصامدة. ولكن أولاً، كان عليها أن تجد مكاناً تذهب إليه.

لم يعد لها بيت في ستوكهولم، لذا فكرت في الأمر ووازنت بين البدائل. ثم، وبسرعة، قررت قراءة بريد بلومكفيست على أي حال. كان الأمر يتعلق بـ فورسيل والشيربا، وكان مثيراً للاهتمام من عدة جوانب.

لكنها لم تكن قادرة على التعامل معه في تلك اللحظة. كتبت رداً بدافع مفاجئ، فاجأها هي نفسها:

أنا في المدينة. هل نلتقي الآن، فوراً؟ في فندق؟

فكرت أن هذا لم يكن مجرد عرض غير لائق، أو حتى رد فعل لشعورها بالوحدة واليأس. لقد كان أيضاً... إجراءً وقائياً؛ فليس من المستبعد، أليس كذلك، أن تعمد كاميلا ورجالها –بعد فشلهم في تتبع أثرها– إلى استهداف دائرتها المقربة. ولهذا السبب وحده، سيكون من المنطقي "حبس" كالي بلومكفيست في غرفة فندق.

لكن من ناحية أخرى، كان هو قادراً تماماً على حبس نفسه في مكان ما. وعندما لم تتلقَّ منه رداً بعد عشر دقائق، ثم خمس عشرة، ثم عشرين دقيقة، تمتمت بضيق، وأغمضت عينيها وشعرت بأنها قادرة على النوم إلى الأبد. وربما استسلمت للنوم فعلاً؛ لأنها حين كتب لها بلومكفيست أخيراً، انتفضت وكأنها تعرضت لهجوم.

***

كانت شقيقته أنيكا قد أحضرت له ملابس وحذاءً بديلاً وأوصلته بسيارتها إلى منزله في شارع "بلمانسغاتان". ظن أنه سينهار فوراً على سريره، لكنه بدلاً من ذلك جلس أمام حاسوبه وأجرى بعض البحوث عن ستان إنجلمان. كان الرجل الآن في الرابعة والسبعين من عمره وقد تزوج مرة أخرى، وكان يخضع للتحقيق بتهم الرشوة والترهيب فيما يتعلق ببيع ثلاثة فنادق في لاس فيغاس. ورغم أن الموقف لم يكن واضحاً تماماً –إذ كان هو بالطبع يدعي العكس تماماً– إلا أن إمبراطوريته بدت وكأنها تترنح. وقيل إنه يسعى للحصول على مساعدة من معارفه التجاريين في روسيا والسعودية.

لم يدْلِ إنجلمان بتصريح علني واحد بشأن نيما ريتا. ومع ذلك، فقد هاجم بضراوة الدليل الراحل فيكتور غرانكين، الذي كان قد وظف نيما كقائد لـ الشيربا، كما رفع دعوى قضائية ضد شركة غرانكين، (Everest Adventure Tours). وتوصلوا إلى تسوية أمام قاضٍ في موسكو، انتهت بتصفية الشركة. لم يكن هناك شك في حجم الغضب الذي شعر به تجاه تلك البعثة —التي كان نيما ريتا جزءاً منها. لكن ذلك لم يفسر سبب ظهور رجل من الشيربا في ستوكهولم تحديداً، فترك بلومكفيست هذا الخيط في الوقت الحالي؛ فقد كان متعباً جداً للغوص في صفقات إنجلمان العقارية وعلاقاته الغرامية ومغامراته السخيفة الأخرى. وبدلاً من ذلك، تفحص ملف سفانتي ليندبرغ، الذي كان على الأرجح الشخص الأكثر دراية بما واجهه فورسيل على إيفرست.

كان ليندبرغ برتبة فريق، وهو ضابط سابق في قوات "مغاوير السواحل"، ويُفترض أنه ضابط مخابرات أيضاً. كان صديقاً مقرباً لـ يوهانس فورسيل منذ صباهما. كما كان متسلق جبال متمرساً؛ فقبل إيفرست، كان قد تسلق ثلاث قمم أخرى يتجاوز ارتفاعها ثمانية آلاف متر —برود بيك، وغاشربروم، وأنابورنا— ولعل هذا هو السبب الذي جعل فيكتور غرانكين يسمح له ولـ يوهانس بالانطلاق نحو القمة قبل الآخرين حين بدأت سرعة المجموعة تتباطأ خلال صباح يوم ١٣ مايو ٢٠٠٨. لكن بلومكفيست عقد العزم على فحص الأحداث الحقيقية التي وقعت على الجبل لاحقاً، ربما غداً. وفي الوقت الحالي، سجل أن ليندبرغ نفسه كان أحد المستهدفين في حملة الكراهية ضد فورسيل.

أشارت بعض المصادر إلى أنه كان المركز الحقيقي للقوة في وزارة الدفاع. لكنه كان نادراً ما يجري مقابلات، وأقرب شيء وجده

بلومكفيست يتعلق بجانبه الشخصي كان ملفاً طويلاً في مجلة (Runner's World) يعود لثلاث سنوات مضت، فشرع في قراءته. تذكر لاحقاً أن ليندبرغ نُقل عنه قوله: "عندما تظن أنك انتهيت تماماً، يتبقى لديك ٧٠ في المائة أخرى". لكن لا بد أنه غفا عند هذه النقطة.

استيقظ أمام حاسوبه، وجسده يرتجف بالكامل، وصورة فورسيل وهو يغوص تحت الأمواج ماثلة بوضوح في ذهنه. أدرك أنه ليس منهكاً فحسب، بل إنه في حالة صدمة أيضاً. لذا جر نفسه إلى السرير، متوقعاً أن يغط في النوم فوراً. لكن أفكاره كانت تتسارع بجنون، وفي النهاية التقط هاتفه ورأى أن سالاندر قد ردت.

أنا في المدينة. هل نلتقي الآن، فوراً؟ في فندق؟

كان متعباً لدرجة أنه اضطر لقراءتها مرتين. ثم شعر بـ... ماذا؟ إحراج، ارتباك؟ لم يستطع الجزم. لم يعرف سوى أنه أراد التظاهر بأنه لم يرَ الرسالة، رغم أن ذلك لن ينطلي على سالاندر؛ فبحلول الآن ستكون قد رأت أنه قرأها. ماذا يفعل؟ لم يطاوعه قلبه على الرفض، وبالتأكيد لم يرد القول نعم. أغمض عينه، محاولاً ترتيب أفكاره. إذاً هي في ستوكهولم، وتريد رؤيته الآن، فوراً، في فندق؟ هل يعني هذا شيئاً أكثر من مجرد رغبتها في رؤيته الآن، فوراً، في فندق؟

تمتم قائلاً:

– "بحق المسيح، يا ليزبيث."

نهض وأخذ يتجول بتوتر في الشقة. لقد أفقدته توازنه أكثر، وفي لحظة ما نظر من النافذة نحو شارع "بلمانسغاتان". وهناك رأى شخصاً عرفه على الفور، كان يقف عند حانة "بيشوبس آرمز". كان هو الرجل صاحب شعر "ذيل الحصان" الذي رآه في سندهامن، وحينها انتفض

وكأنه تلقى لكمة في معدته. لأنه الآن لم يعد هناك مجال للشك، أليس كذلك؟

لقد كان مراقباً. بدأ قلبه يخفق بشدة وجف ريقه، وفكر في الاتصال بـ بوبلانسكي أو أي شخص آخر في الشرطة على الفور. وبدلاً من ذلك، أرسل رداً لـ سالاندر:

أنا مراقب

ردت عليه فوراً:

غلطتي. سأساعدك على التخلص منهم

أراد أن يصرخ بأنه متعب جداً لدرجة تمنعه من التخلص من أي أحد، وبأنه يريد فقط بعض النوم والمضي قدماً في عطلته اللعينة ونسيان كل ما هو ليس بسيطاً وهادئاً.

كتب لها:

حسناً

-١٩-

٢٧ أغسطس

كانت كيرا تود لو تمكنت من قطع علاقتها بنادي سفافيلسيو للدراجات النارية. كانت ستسعد بالتخلص من أولئك البلطجية الملعونين بستراتهم الجلدية السخيفة والمسامير المعدنية، والوشوم التي تغطيهم. لكنها كانت بحاجة إليهم مرة أخرى، ولذلك أغدقت عليهم المال. كما ذكّرتهم بـ زالاتشينكو، وأعلنت أن الأمر مسألة شرف تخليداً لذكراه.

كان الأمر يغص في حلقها. كانت تفضل لو وبختهم على كونهم حثالة وفاشلين، وأرسلتهم جميعًا إلى الحلاق. لكنها حافظت على هدوئها، بل وعلى وقارها، ومرة أخرى شعرت بالامتنان لوجود غالينوف معها. كان يرتدي اليوم بدلة بيضاء من الكتان وحذاءً جلديًا بنيًا، ويجلس في الكرسي الأحمر المقابل لها، يقرأ مقالًا عن العلاقة بين اللغة السويدية والألمانية الدنيا (Low German). بدا وكأن كل هذا ليس سوى رحلة دراسية بالنسبة له. لكنه أضفى عليها الهدوء، ومنحها رابطًا بالماضي، والأهم من ذلك كله، أنه أرعب الدراجين.

عندما وقفوا في وجهها وتمردوا على تلقي الأوامر من امرأة، لم يكن على غالينوف سوى إنزال نظارات القراءة الخاصة به وتوجيه نظرة

زرقاء جليدية إليهم. حينها، نفذوا ما طُلب منهم بحذافيره. خمنت أنهم يعرفون ما هو قادر عليه، لذا لم تمانع كونه خاملًا هكذا.

سيأتي دوره لاحقًا؛ فمطاردة أختها يتولاها بوغدانوف وبقية العصابة. حتى الآن لم يجدوا شيئًا، ولا أثرًا واحدًا. وكأنهم يطاردون ظلًا، وما زاد الطين بلة أنهم فقدوا خيطًا آخر الليلة. كانت قد استدعت ماركو ساندستروم، رئيس سفافيلسيو، في وقت سابق، والآن دخل غرفة المعيشة مع بلطجي آخر – كريل، اعتقدت أن اسمه كذلك – رغم أنها بالكاد تكترث.

قالت:

– "لا أريد أي أعذار. فقط سردًا واقعيًا لكيفية حدوث هذا."

ابتسم ساندستروم بتوتر، وأعجبها ذلك. كان ضخمًا ومخيفًا مثل كل الآخرين في سفافيلسيو. لكنه على الأقل امتلك الذوق الكافي لعدم إطالة لحيته وشعره، وكان حجم كرشه طبيعيًا. كان وجهه جميلًا تقريبًا، في الواقع، واستطاعت كاميلا تخيل غرس أظافرها في صدره، تمامًا كما فعلت في الأيام الخوالي.

قال ساندستروم محاولًا أن يبدو صاحب سلطة، رغم أنه لم يستطع منع نفسه من اختلاس النظر إلى غالينوف الذي لم يرفع بصره حتى:

– "أنتِ تطلبين المستحيل."

أعجبها ذلك أيضًا.

قالت:

– "ما المستحيل؟ طلبت منك فقط ألا يغيب عن ناظريك، هذا كل شيء."

– "نعم، على مدار الساعة. هذا يتطلب موارد، ونحن لا نتحدث عن شخص نكرة."

– "كيف. أمكن. حدوث. هذا؟" كررت، مشددة على كل كلمة.

قال الشخص الذي ظننت أن اسمه كريل:

– "ذلك الوغد..."

قاطعه ساندستروم:

– "دعني أتولى هذا. كاميلا..."

– "كيرا."

– "آسف، كيرا." تابع قائلًا: "انطلق بلومكفيست بزورقه الآلي بعد ظهر أمس. لم تكن هناك طريقة للحاق به، وسرعان ما أصبح الوضع غير مريح. كانت الجزيرة تعج بالشرطة والجنود، ولم تكن لدينا فكرة إلى أين ذهب، لذا تفرقنا. بقي يورما في ساندهامن وتوجه كريل إلى بيلمانسغاتان وانتظر هناك."

– "وهناك ظهر بلومكفيست."

– "في وقت متأخر من ذلك المساء، في سيارة أجرة. بدا منهكًا تمامًا. لم يكن هناك ما يشير إلى أنه لن يذهب للنوم في منزله ببساطة، وأعتقد أننا يجب أن نشيد بـ كريل لالتصاقه به. أطفأ بلومكفيست أضواءه، لكنه خرج من المبنى حاملًا حقيبة في الواحدة صباحًا ومشى نحو محطة المترو (Tunnelbana) بجوار ماريتورغيت. لم يلتفت خلفه ولا مرة واحدة. عندما وصل إلى الرصيف جلس واضعًا رأسه بين يديه."

– "بدا وكأنه مريض،" أضاف كريل.

– "بالضبط،" قالساندستروم. "كل ذلك جعلنا نخفف حذرنا. في المترو استند إلى النافذة وأغمض عينيه. بدا متعبًا للغاية. ولكن بعد ذلك..."

– "نعم؟"

– "في غاملا ستان (المدينة القديمة)، وقبيل إغلاق الأبواب مباشرة، انتفض واقفًا كالسهم، واندفع عبر الأبواب واختفى عن الرصيف. لقد فقدناه."

لم تنبس كيرا ببنت شفة في البداية. تبادلت نظرة مع غالينوف، ثم نظرت إلى يديها وجلست بلا حراك. كان أحد أول الأشياء التي تعلمتها أن الصمت والهدوء أكثر ترهيبًا من أي نوبة غضب، ورغم أنها أرادت الصراخ، قالت ببساطة وبشكل جاف وعملي:

– "تلك المرأة التي كانت مع بلومكفيست في ساندهامن. هل حددنا هويتها؟"

– "بالتأكيد. إنها كاترين لينداس، تعيش في نيتورغيت ٦. إنها عاهرة إعلامية معروفة."

– "هل تعني له شيئًا؟"

بدأ كريل قائلًا:

– "حسنًا..."

كان لـ كريل ذيل حصان وعينان صغيرتان دامعتان. لم يبدُ خبيرًا في شؤون القلب بالضبط. لكنه بدا متحمسًا للمحاولة.

– "بدا لي أنهما عاشقان. كانا ملتصقين ببعضهما طوال اليوم في الحديقة."

– "حسنًا، جيد،" قالت. "إذًا أريدك أن تراقبها هي أيضًا."

– "يا للمسيح، كاميلا... آسف، كيرا. هذا طلب كبير. هذه ثلاثة عناوين يجب مراقبتها،" قال ساندستروم.

مرة أخرى جلست في صمت، ثم شكرتهم. شعرت بالسرور عندما نهض غالينوف بقامته الفارعة ليودعهم. قال لهم بضع كلمات ربما بدت مهذبة في البداية، لكنها لاحقًا، وبمجرد استيعابهم لها، سترعبهم حتى النخاع.

كان بارعًا جدًا في هذا النوع من الأمور، وكان ذلك مطلوبًا، كما فكرت. مرة أخرى فقدت زمام المبادرة، فنظرت حولها بغضب. كانت الشقة بمساحة ١٧٠ مترًا مربعًا، اشتُريت عبر شركات وهمية ووسطاء قبل عامين، ولا تزال غير شخصية للغاية وبأثاث قليل. لكنها ستفي بالغرض لعدم وجود بديل أفضل. نهضت، ودون طرق الباب دخلت الغرفة الجانبية على اليمين، حيث كان بوغدانوف يجلس منكبًا على أجهزة الكمبيوتر الخاصة به، وتفوح منه رائحة العرق.

– "كيف تسير الأمور مع كمبيوتر بلومكفيست؟"

– "علي حسب."

– "على حسب ماذا؟"

– "لقد دخلت إلى خادمه، كما أخبرتك."

– "لكن لا جديد؟"

تململ في كرسيه وأدركت فورًا: ليس لديه أي أخبار سارة هو الآخر.

– "بالأمس كان بلومكفيست يبحث عن فورسيل، وزير الدفاع. هذا مثير للاهتمام بالطبع، ليس فقط لأن فورسيل أحد أهداف

الاستخبارات العسكرية الروسية (G.R.U) ولأن غالينوف تعامل معه في الماضي، بل لأن الوزير حاول أمس..."

– "لا أهتم بـ فورسيل اللعين،" قاطعته بحدة. "أنا مهتمة فقط بالروابط المشفرة التي تلقاها بلومكفيست وأعاد إرسالها."

– "لم أتمكن من كسر تشفيرها."

– "ماذا تعني بـ «لم أتمكن»؟ عليك فقط مواصلة المحاولة."

عض بوغدانوف شفته ونظر إلى الطاولة.

– "لم أعد بالداخل."

– "عما تتحدث؟"

– "الليلة الماضية قام أحدهم بطرد حصان طروادة[8] الخاص بي."

– "كيف بحق الجحيم حدث ذلك؟ ظننت أنه من المستحيل الوصول لأحصنة طروادة خاصتك."

– "أعرف، ولكن..."

قضم الجلد حول أظافره.

– "إذًا تقصد أنه كان نوعًا من العبقرية اللعينة؟" هسهست.

– "يبدو كذلك،" وافقها، وكانت كيرا على وشك الانفجار غضبًا حين خطرت لها فكرة مختلفة تمامًا. وبدلًا من الصراخ وإحداث مشهد، ابتسمت.

أدركت أن ليزبيث أقرب مما كانت تجرؤ على الأمل.

***

[8] حصان طروادة :(*Trojan*) برنامج خبيث يتخفّى في هيئة ملف أو تطبيق شرعي، وما إن يُشغَّل حتى يفتح بابًا خفيًا للاختراق، أو سرقة البيانات، أو التحكم بالجهاز دون علم المستخدم، سُمّي تشبيهًا بحصان طروادة الأسطوري الذي أخفى الخطر داخل هدية.

كان بلومكفيست مستلقيًا في السرير بفندق هيلستن في شارع لتمكارغاتان، بينما جلست سالاندر في كرسي أحمر بجوار النافذة، تنظر إليه بشرود. نام بالكاد ساعتين. لم تكن فكرة الذهاب إلى هناك جيدة جدًا. لم تكن ليلة رومانسية، ولم يلتقيا كصديقين قديمين. الأمر برمته خرج عن مساره منذ لحظة لقائهما عند المدخل.

في البداية حدقت به وكأنها لا تطيق صبرًا لتمزيق ملابسه، ورغم أنه كان يفكر في كاترين في الطريق إلى هناك، ربما لم يكن ليتمكن من الدفاع عن نفسه. لكن لم تكن ترغب في وضع يديها عليه هو، بل على حاسوبه وهاتفه المحمول. انتزعتهما منه واتخذت وضعية القرفصاء الغريبة خلف بعض الشاشات السوداء التي فردتها ونصبتها على الأرض. بقيت هناك، صامتة وبلا حراك، وأصابعها فقط تعمل بسرعة جنونية. في النهاية لم يعد يطيق ذلك. فقد أعصابه وصرخ في وجهها بأنه كاد يغرق. وأنه أنقذ وزيرًا لعينًا. إما أن يحصل على بعض النوم أو على الأقل يُسمح له بالتحدث ومعرفة ما تفعله.

— "اخرس،" قالت.

— "بحق المسيح!"

كان غاضبًا. شعر برغبة في المغادرة وعدم رؤيتها ثانية أبدًا. لكنه في النهاية أدار ظهره لكل شيء، وخلع ملابسه، واستلقى على جانب واحد من السرير المزدوج ونام كطفل نكد. وفي وقت ما قرب الفجر تسللت بجواره وهمست في أذنه، وكأنها في محاولة إغراء مخبولة:

— "كان لديك حصان طروادة علي جهازك، يا ذكي،" وذلك أفسد بقية ليلته.

كان خائفًا. بدأ يقلق على مصادره وأصر على أن تخبره بما يجري، وهو ما فعلته على مضض. تدريجيًا اتضح له حجم الجنون، وإن لم يكن كله بالطبع. كالعادة لم تكن صريحة جدًا وسرعان ما بدأت جفونها تثقل. وضعت رأسها على الوسادة وغفت، تاركة إياه وحيدًا ومضطربًا في السرير، فأنّ، مقتنعًا بأنه لن يتمكن من العودة للنوم. لكنه استيقظ الآن وسالاندر عادت للكرسي، ترتدي ملابس داخلية وقميصًا أسود طويلًا جدًا عليها. كانت تغفو وتصحو، بينما نظر بلومكفيست بوهن إلى عضلات ساقيها والهالات السوداء تحت عينيها.

– "هناك إفطار في الخارج،" قالت.

– "عظيم."

ذهب لإحضار الصواني ووضعها واحدة تلو الأخرى على السرير. أعد القهوة في آلة "نسبرسو" بجوار النافذة وجلس متربعًا على المرتبة، وجلست هي مقابله. نظر إليها وكأنها غريبة وصديقة حميمة في آن واحد، وبشكل أوضح من أي وقت مضى، شعر أنه يفهمها ومع ذلك لا يفهمها على الإطلاق.

– "لماذا ترددتِ؟" سأل.

لم يعجبها سؤاله. لم تعجبها النظرة في وجهه. أرادت الهرب من هناك أو سحبه إلى السرير وإسكاته، وفكرت في بولينا وزوجها والمكواة في يدها، وفي أشياء أخرى أسوأ بكثير من ماضٍ بعيد في طفولتها. لم تكن واثقة على الإطلاق أنها ستجيبه. ثم قالت:

– "تذكرت شيئًا."

نظر إليها بلومكفيست بتركيز فندمت فورًا لأنها لم تبقِ فمها مغلقًا.

– "ما الذي تذكرتِه؟"

– "لا شيء."

– "هيا."

– "تذكرت عائلتي."

– "ماذا عنهم؟"

اتركي الأمر، فكرت. فقط اتركيه.

– "تذكرت..." بدأت، وكأنها لا تستطيع منع نفسها، أو كأن شيئًا بداخلها مصمم على صياغة هذا في كلمات.

– "أخبريني،" قال.

– "أمي كانت تعلم أن كاميلا تسرق منا وتكذب على الشرطة لحماية زالا. كانت تعلم أن كاميلا تقول أشياء مريعة عنا لسلطات الرعاية الاجتماعية وتجعل الوضع في المنزل جحيمًا لا يطاق أكثر مما هو عليه."

– "أعرف كل هذا،" قال. "هولغر أخبرني."

– "ولكن هل عرفت أيضًا..."

– "ماذا؟"

هل تترك الأمر وحسب؟ بصقت الكلمات:

– "أن أمي في النهاية طفح بها الكيل وهددت بطرد كاميلا؟"

– "لم تكن لدي فكرة."

– "إنها الحقيقة."

– "لكن كاميلا كانت طفلة فقط."

– "كانت في الثانية عشرة."

– "ومع ذلك..."

– "ربما كانت يائسة فقط ولم تعنِ ذلك حقًا. لكنها كانت دائمًا في صفي، أنا أعرف ذلك. لم تحب كاميلا."

– "يمكن أن يحدث ذلك في أي عائلة. يصبح أحد الأطفال هو المفضل."

– "لكن في هذه الحالة كانت هناك عواقب. لقد أعمانا ذلك."

– "عن ماذا؟"

– "عما كان يحدث."

– "ماذا كان ذلك؟"

توقفي، فكرت. توقفي.

أرادت أن تصرخ وتهرب. لكنها استمرت، وكأن قوة لم تعد تسيطر عليها تدفعها:

– "كنا نظن أن كاميلا لديها زالا. وأن الحرب كانت اثنين ضد اثنين، أنا وأمي ضد زالا وكاميلا. لكن لم يكن الأمر كذلك. كانت كاميلا وحيدة."

– "كنتم جميعًا وحيدين."

– "كان الأمر أسوأ لـ كاميلا."

– "بأي طريقة؟"

أشاحت بوجهها.

– "زالا كان يأتي أحيانًا لغرفتنا ليلًا،" قالت. "في ذلك الوقت كنت أصغر من أن أفهم السبب. لكني لم أفكر في الأمر كثيرًا أيضًا. كان شريرًا ويفعل ما يحلو له. هكذا كان الأمر، وفي ذلك الوقت كان يشغل بالي شيء واحد فقط."

– "أردتِ إيقاف الاعتداء على والدتك."

– "أردت قتل زالا، وبالطبع كنت أعلم أن كاميلا تحالفت معه. لم يكن لدي سبب للقلق عليها."

– "أفهم ذلك."

– "لكن من الواضح أنه كان يجب أن أسأل نفسي لماذا تغير زالا."

– "بأي طريقة تغير؟"

– "أصبح يبيت عندنا أكثر فأكثر، وبطريقة ما لم يكن ذلك منطقيًا. كان معتادًا على الرفاهية ووجود أشخاص يخدمونه. وفجأة أصبحت شقتنا جيدة بما يكفي له. لا بد أن السبب هو وجود بيدق جديد في اللعبة. في جادة تفيرسكوي اتضح لي الأمر. كان منجذبًا لـ كاميلا، مثل كل الرجال الآخرين."

– "إذًا كان يأتي لأجلها ليلًا."

– "كان يطلب منها دائمًا أن تتبعه لغرفة المعيشة، وعند الاستماع لأصواتهم كان يبدو لي وكأنهم يخططون لشيء ضد أمي وضدي. لكن ربما سمعت شيئًا آخر أيضًا، شيئًا لم أتمكن من استيعابه في ذلك الوقت. كانوا يخرجون كثيرًا في السيارة."

– "اعتدى عليها."

– "لقد دمرها."

– "لا يمكنك لوم نفسك على ذلك،" قال.

أرادت أن تصرخ.

– "كنت أجيب على سؤالك فقط. أدركت أنني وأمي لم نرفع إصبعًا لمساعدتها. هذا ما جعلني أتردد."

جلس بلومكفيست صامتًا على السرير، يحاول استيعاب ما سمعه. ثم وضع يده على كتفها. دفعتها بعيدًا ونظرت من النافذة.

– "أتعلمين ما أعتقد؟" قال.

لم تجب.

– "أعتقد أنكِ ببساطة لست من النوع الذي يطلق النار على الناس هكذا."

– "هذا هراء."

– "لا أعتقد أنكِ كذلك يا ليزبيث. لم أعتقد ذلك أبدًا."

أخذت "كرواسون" من الصينية، وتمتمت لنفسها أكثر مما تمتمت له:

– "لكن كان يجب أن أقتلها. الآن هي قادمة خلفنا جميعًا."

-٢٠-

٢٧ أغسطس

كان بوبلانسكي يحمل معه زجاجة ويسكي من نوع "غرانتس" تعتق ثناياها لاثني عشر عاماً. ظلت تلك الزجاجة مهملة في منزله لسنوات، وكان ما يفعله الآن –بتقديمها رشوة لمجرد الحصول على شهادة– يتنافى تماماً مع مبادئه. لكن بما أن الشاهد قد اشترط الحصول على الويسكي، لم يشأ المفتش أن يجعل من الأمر قضية كبرى. فمنذ الأمس، صبّ جلّ تركيزه على ملابسات موت نيما ريتا، ولم يدخر جهداً في تعقب آخر شاهد يُعرف أنه رأى ذلك الرجل من "الشيربا" على قيد الحياة. وفي نهاية المطاف، اهتدى إليه هنا في "هانينغه"، في شقة صغيرة تقع ضمن كتلة سكنية صفراء في شارع "كلوكارليدن".

رأى بوبلانسكي في مسيرته أوكاراً أسوأ من هذه، لكنها لم تكن بأي حال من الأحوال مكاناً مريحاً للعين؛ فقد كانت تفوح منها رائحة كريهة، وتنتشر في أرجائها الزجاجات الفارغة ومنافض السجائر المكتظة وبقايا الطعام المتعفن. أما الشاهد نفسه، فقد كان يشي بمظهر من "الأناقة البوهيمية"؛ إذ كان يرتدي قميصاً أبيض نظيفاً إلى حد ما، ويعتمر قبعة "بيريه" باريسية.

قال بوبلانسكي:

– "سيد يارفينين."

أجاب الشاهد:

– "أهلاً بك أيها المفتش العام."

– "هل تفي هذه بالغرض؟"

رفع الزجاجة أمامه، فاستقبلته ابتسامة خفيفة، ثم جلس الاثنان على مقعدين خشبيين أزرقين في المطبخ.

قال بوبلانسكي:

– "لقد التقيت بالرجل الذي نعرف الآن أن اسمه نيما ريتا في ليلة الرابع عشر من أغسطس، أليس كذلك؟"

أجاب هيكي يارفينين:

– "صحيح... نعم... كان معتوهاً تماماً. كنت أشعر بحال سيئة جداً وأنتظر رجلاً يبيع الخمور عادةً في ساحة "نورا بانتورغيت"، وفجأة ظهر هذا المتشرد وهو يترنح. كان يجدر بي أن أطبق فمي؛ فجنونه كان بادياً للعيان من على بعد ميل. لكنني رجل ثرثار بطبعي، لذا سألته – بكل أدب ولباقة– عن حاله، فبدأ يصرخ في وجهي."

– "بأي لغة؟"

– "الإنجليزية والسويدية."

– "إذاً، كان يتحدث السويدية؟"

– "حسناً، ليس تماماً. لكنه كان يعرف بعض الكلمات. لم أفهم منه شيئاً؛ كان يصرخ عن كونه صعد بين الغيوم، وحارب الآلهة وتحدث مع الموتى."

– "هل تظن أنه كان يتحدث عن جبل إيفرست؟"

– "ربما. لم أكن أصيخ السمع باهتمام؛ فقد كنت أشعر بضيق شديد ولم أكن أملك طاقة لتحمل هذيانه."

– "ألا تذكر شيئاً محدداً مما قاله؟"

– "زعم أنه أنقذ الكثير من الناس. قال: "لقد أنقذت حياة الكثيرين"، ثم أراني بقايا أصابعه المبتورة في يديه."

– "هل قال أي شيء عن وزير الدفاع فورسيل؟"

نظر إليه هيكي يارفينين بدهشة وسكب بعض الويسكي في كأسه، ثم تجرعه بيد مرتجفة.

– "من الغريب أن تذكر ذلك."

– "لماذا هو غريب؟"

– "لأنه الآن، وبالتفكير في الأمر، يبدو أنه ذكر فورسيل بطريقة ما. لكن ربما ليس في الأمر مفاجأة؛ فالجميع يتحدثون عنه هذه الأيام."

– "ماذا قال تحديداً؟"

– "أظنه قال إنه يعرفه. وأنه يعرف كل أنواع الشخصيات الهامة الأخرى. لقد صدّع رأسي ولم أعد أطيق سماعه، فتفوهت بعبارة غبية جداً."

– "مثل ماذا؟"

– "حسناً... لم يكن كلاماً عنصرياً أو شيئاً من هذا القبيل. لكن لم تكن فكرة صائبة؛ فقد قلت له إنه يشبه الصينيين اللعينين أو شيئاً من هذا القبيل، فجن جنونه وانهال عليّ بالضرب. باغتني الأمر لدرجة أنني لم أملك فرصة للدفاع عن نفسي؛ لقد أوسعني ضرباً مبرحاً، هل تتخيل ذلك؟"

– "أرى أن الأمر لم يكن لطيفاً أبداً."

تابع يارفينين وهو لا يزال مضطرباً:

– "نزفتُ كذبيحة. انظر، ثمة جرح هنا لم يندمل بعد."

أشار إلى شفته، وكان هناك أثر ندبة بالفعل. لكن بما أن جسده كان مليئاً بالكدمات والجروح، لم يبدُ بوبلانسكي متأثراً بشكل خاص. سأله:

– "ماذا حدث بعد ذلك؟"

– "اندفع مبتعداً، وحالفه الحظ كثيراً، أو ربما لا ينبغي أن أقول "حظاً" بما أنه مات في اليوم التالي. لكن هكذا بدا الأمر حينها؛ فقد التقى بشخص يبيع الخمور في شارع "فازاغاتان"."

أمال بوبلانسكي جسده فوق طاولة المطبخ مستفسراً:

– "شخص يبيع الخمور؟"

– "أوقفه رجل على الرصيف بجوار الفندق، أنت تعرف الفندق الذي أقصده. على الأقل بدا الأمر وكأنه يعطيه زجاجة. لكن المسافة كانت بعيدة وقد أكون مخطئاً."

– "ماذا يمكنك أن تخبرني عن ذلك الرجل؟"

– "بائع الخمور؟"

– "نعم."

– "لا شيء يذكر. كان نحيفاً، شعره داكن، وطويل القامة. كان يرتدي سترة سوداء وبنطال جينز وقبعة. لكنني لم أرَ وجهه."

– "هل بدا سكيراً هو الآخر؟"

– "مشيتُه لم تكن مشية سكير."

– "ماذا تعني؟"

– "كانت خطوته خفيفة جداً وسريعة."

– "كشخص يمارس الرياضة بانتظام؟"

– "ربما."

راقب بوبلانسكي يارفينين في صمت لبرهة؛ شعر أنه أمام رجل في حالة انهيار حر، لكنه –رغم كل شيء– يحاول جاهداً الحفاظ على بقايا مظهر لائق. روح المقاومة لم تكن قد خبت فيه بعد.

سأله:

– "هل رأيت إلى أين ذهب؟"

– "في اتجاه المحطة المركزية. فكرت للحظة في ملاحقته، لكن لم تكن لدي أدنى فرصة للحاق به."

– "إذاً، ربما لم يكن هناك ليبيع الكحول حقاً؟ ربما كان كل ما يريده هو إعطاء زجاجة لـ نيما ريتا."

– "هل تقصد أن––؟"

– "أنا لا أجزم بشيء. لكن نيما ريتا مات مسموماً، وبالنظر إلى نمط حياته، فليس من المستبعد أن يكون السم الذي تجرعه قد قُدم له في زجاجة كحول. لذا يمكنك أن تدرك سبب اهتمامي بهذا الرجل."

تجرع يارفينين جرعة أخرى من الويسكي وقال:

– "حسناً، في هذه الحالة، هناك شيء آخر يجدر بي ذكره. لقد قال بالفعل إنهم حاولوا تسميمه من قبل."

– "هل قال كيف؟"

– "وجدت صعوبة في فهم ذلك أيضاً. كان يصرخ ويولول عن كل الأشياء المذهلة التي فعلها وعن كل الشخصيات الرفيعة التي يعرفها. ومع ذلك، تشكل لدي شعور بأنه أمضى وقتاً في مشفى المجانين وأنه رفض تناول أدويته. صرخ قائلاً: "حاولوا تسميمي، لكني هربت، هبطت

من جبل إلى البحيرة". هذا ما أظنه قاله على الأقل؛ إنه هرب من بعض الأطباء."

– "من جبل، إلى بحيرة؟"

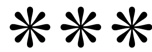
– "أعتقد ذلك."

سأل بوبلانسكي:

– "هل تشكل لديك انطباع بأنه كان في مشفى في السويد أم في الخارج؟"

– "في السويد، على ما أظن. أشار بيده خلفه، وكأن المكان كان في الجوار. لكنه، مرة أخرى، كان يشير في كل الاتجاهات، وكأن السماوات والآلهة التي كان يصارعها كانت هي الأخرى هنا، في مكان ما خلف المنعطف."

– "فهمت"، هكذا قال بوبلانسكي، وهو يتوق للمغادرة في أقرب فرصة.



خلف المكتب في غرفتها بالفندق، لاحظت ليزبيث أن رجال عصابة "سفافيلسيو"، ومن بينهم رئيسهم ساندستروم، يغادرون العنوان في شارع "ستراندفيغن". كان عليها أن تفكر في خطوتها التالية.

أغلقت حاسوبها ورأت أن بلومكفيست قد ارتدى ملابسه وجلس على السرير، غارقاً في القراءة عبر هاتفه المحمول. لم تكن ترغب حقاً في التحدث عن حياتها الخاصة، ولا في سماع أن معدنها طيب في العمق، أو أي شيء من هذا الهراء الذي يحاول ميكائيل قوله لها دوماً.

قالت:

– "بمَ تشغل نفسك؟"

– "عفواً؟"

– "ماذا تفعل؟"

أجاب ميكائيل:

– "أعمل على قصة رجل الشيربا."

– "هل وصلت لشيء؟"

– "أنا أتقصى أمر المدعو إنجلمان."

– "رجل لطيف، أليس كذلك؟"

– "تماماً. إنه من نوعك المفضل."

قالت ليزبيث:

– "وهناك أيضاً ماتس سابين."

– "نعم، هو أيضاً."

– "وما رأيك فيه؟"

– "لم أصل إلى نتيجة حاسمة بشأنه بعد."

– "أعتقد أن بإمكانك نسيان أمره."

استثار قولها فضوله فرفع بصره نحوها مستفسراً:

– "لماذا تقولين ذلك؟"

– "لأني أخمن أنه مجرد خيط من تلك الخيوط التي يلتقطها المرء ويتحمس لها لوجود روابط كثيرة متداخلة. لكني لا أظن أن وراءه شيئاً ذا قيمة."

– "ولماذا لا؟"

كانت سالاندر تفكر في كاميلا وعصابة "سفافيلسيو" وهي تمشي نحو النافذة وتنظر لشارع "لونتماكارغاتان" من خلال فجوة في الستائر. ربما يجدر بها ممارسة بعض الضغط بعد كل شيء.

كرر سؤاله:

– "لماذا لا؟"

– "لقد وجدت اسمه بسرعة كبيرة، أليس كذلك؟ حتى قبل أن تتأكد مما قيل تحديداً."

– "هذا صحيح."

– "سيكون من الأفضل لك أن تعود بالتاريخ إلى الوراء، إلى الحقبة الاستعمارية."

– "وما الداعي لذلك؟"

– "أليست قصة إيفرست برمتها مجرد تركة ثقيلة من تلك الأيام؟ متسلقون بيض وأشخاص ببشرة مختلفة يحملون أمتعتهم؟"

– "حسناً، ربما يكون الأمر كذلك."

– "أعتقد أن عليك التركيز على هذا الجانب، ومحاولة اكتشاف كيف كان نيما ريتا ليعبر عن نفسه."

– "هل تمانعين في قول ما تقصدينه بوضوح، ولو لمرة واحدة؟"

جلس بلومكفيست على السرير منتظراً إجابتها، لكنه لاحظ كيف بدت وكأنها تشرد بعيداً مجدداً، تماماً كما فعلت في ذلك الصباح. قرر أنه قد يبحث في الأمر بنفسه، وشرع في حزم أمتعته؛ أراد التحرك ليلتقي بها لاحقاً، فوضع حاسوبه المحمول في الحقيبة ونهض ليحتضنها، ويخبرها أن تنتبه لنفسها. لكنها لم تظهر أي رد فعل حتى حين اقترب منها جداً.

قال وهو يشعر بشيء من السخف:

– "الأرض تنادي ليزبيث."

حينها فقط بدأ التركيز يعود لعينيهما، ونظرت هي إلى حقيبته. وبدا أن منظر الحقيبة استثار شيئاً في عقلها.

قالت:

– "لا يمكنك الذهاب إلى منزلك."

– "في هذه الحالة، سأذهب لمكان آخر."

أكدت بصرامة:

– "أنا جادة. لا يمكنك الذهاب للمنزل، ولا لأي شخص مقرب منك. إنهم يراقبونك."

– "أستطيع تدبير أموري."

– "لا تستطيع. أعطني هاتفك."

– "توقفي عن هذا. ليس ثانية."

– "أعطني إياه."

فكر في أنها عبثت بهاتفه بما فيه الكفاية، وكان على وشك وضعه في جيبه. لكنها خطفته منه متجاهلة احتجاجاته، وشرعت فوراً في العمل على بعض الأكواد البرمجية. فتركها وشأنها؛ فلطالما فعلت ما يحلو لها بحواسيبه. وبعد بضع دقائق قال بنبرة يشوبها الضيق:

– "ماذا تفعلين؟"

رفعت بصرها، وعلى وجهها طيف ابتسامة.

قالت:

– "أعجبني هذا."

– "ما الذي أعجبك؟"

– "تلك الكلمات."

– "أي كلمات؟"

– "عبارة: "ماذا تفعلين؟". هل يمكنك تكرارها بنفس النبرة؟"

– "عن أي شيء تتحدثين؟"

– "قلها فحسب."

مدت له الهاتف.

– "ماذا؟"

– "ماذا تفعلين؟"

قال لها:

– "ماذا تفعلين؟"

– "رائع، مثالي."

عبثت بهاتفه لثوانٍ أخرى ثم أعادته إليه.

– "ما الذي فعلتِه؟"

– "سأتمكن من معرفة مكانك، وسماع ما يدور حولك."

– "ماذا؟! ألن تبقى لي أي حياة خاصة على الإطلاق؟"

– "يمكنك عيش حياتك الخاصة كما تشاء، ولن أتسمع إليك دون داعٍ، على الأقل ما لم تنطق بتلك الكلمات."

– "إذاً، هل يمكنني الاستمرار في التحدث عنكِ بالسوء؟"

– "ماذا؟"

– "كانت مزحة يا ليزبيث."

– "حسناً."

ابتسم ميكائيل.

ولعلها ابتسمت هي الأخرى. وضع هاتفه بعيداً، نظر إليها مجدداً وقال: "شكراً لكِ."

قالت:

– "ابقَ بعيداً عن الأنظار الآن."

– "سأفعل. من حسن الحظ أنه لا أحد يعرف من أكون."

– "ماذا؟"

لم تفهم هذه المزحة أيضاً، وحينها احتضنها بالفعل.

غادر الفندق وحاول الانخراط في زحام المدينة، لكن محاولته لم تكلل بالنجاح التام؛ فما إن وصل لشارع "تيغنيرغاتان" حتى استوقفه شاب يطلب صورة "سيلفي"، فواصل طريقه نحو شارع "سفيافيغن". كان يجدر به أن يبقي رأسه منخفضاً، لكنه جلس على مقعد ليس بعيداً عن مكتبة ستوكهولم العامة، وبحث مرة أخرى عن نيما ريتا. انتهى به المطاف بقراءة مقال طويل في مجلة (Outside) يعود لأغسطس ٢٠٠٨.

كان ذلك المقال هو الرواية الأكثر تفصيلاً التي أدلى بها نيما ريتا على الإطلاق. لكن الاقتباسات لم تكن لافتة للنظر، على الأقل من الوهلة الأولى. لقد قرأ بلومكفيست كل ذلك من قبل؛ إجابات رصينة أو حزينة على أسئلة حول كلارا إنجلمان. لكنه فجأة رأى شيئاً جعله ينتفض، ولم يدرك للوهلة الأولى السبب. كان مكمن الأمر في تلك الرسالة البسيطة المفجعة:

"لقد حاولت حقاً الاعتناء بها. حاولت. لكن الـ مومساهب سقطت فحسب، ثم جاءت العاصفة، وكان الجبل غاضباً ولم نستطع إنقاذها. أنا آسف جداً جداً لأجل الـ مومساهب."

مامساهب. (Mamsahib)

بالطبع. الـ "مامسابين" قد تكون هي الـ "مامساهب" (Memsahib)، وهي الصيغة المؤنثة لكلمة "ساهب" (Sahib)، وهو

لقب كان يُخاطب به البيض في الهند إبان الحقبة الاستعمارية. كيف لم يخطر له ذلك؟ لقد قرأ خلال تحقيقاته أن "الشيربا" غالباً ما يشيرون إلى المتسلقين الغربيين بهذا اللقب.

لقد أخذت فورسيل. وتركت المومساهب.

هذا ما لا بد أنه قاله، وبالتالي فهو يقصد كلارا إنجلمان على الأرجح. ولكن ما معنى ذلك؟ هل أنقذ نيما ريتا يوهانس فورسيل بدلاً منها؟ هذا لا يتفق مع ما قرأه عن تسلسل الأحداث.

فـ كلارا إنجلمان ويوهانس فورسيل كانا في مكانين مختلفين على الجبل، ومن المرجح أن إنجلمان كانت قد فارقت الحياة بالفعل عندما بدأت متاعب فورسيل. ومع ذلك... هل وقع أمر مختلف توجب التكتم عليه؟ قد يكون الأمر كذلك، وقد لا يعدو كونه هراءً. لكنه شعر بدفعة قوية من الحماس جعلته يقرر نسيان أمر عطلته؛ فالآن صار أكثر تصميماً من أي وقت مضى على كشف الحقيقة. أرسل رسالة نصية فورية لـ ليزبيث:

لماذا عليكِ أن تكوني ذكية بهذا الشكل اللعين دائماً؟

-٢١-

٢٧ أغسطس

جلست بولينا مولر بملابس نومها على سريرها في الغرفة التي قضت فيها سنوات مراهقتها، بحي بوغينهاوزن في ميونخ. كانت تتحدث في الهاتف وتحتسي الشوكولاتة الساخنة. كانت والدتها تروح وتجيء للاعتناء بها وكأنها عادت ابنة العشر سنوات، وحين تفكر في الأمر، تجد أن الحياة قد تكون أسوأ.

هذا ما أرادته، أن تكون طفلة من جديد، بلا مسؤوليات. أرادت أن تتمكن من البكاء حتى تجف عيناها. وعلاوة على ذلك، كانت مخطئة؛ فقد عرف والداها جيداً حقيقة توماس مولر. لم يظهر في أعينهما أدنى ذرة شك حين أخبرتهما عما فعله بها. لكنها الآن أغلقت باب غرفتها، معلنة أنها لا ترغب في الإزعاج حاليًا.

قالت كبيرة المفتشين جنسن عبر الهاتف، بنبرة توحي بأنها لا تصدق كلمة واحدة مما قالته بولينا:

– "إذًا ليس لديك أدنى فكرة عمن قد تكون هذه المرأة."

لم يكن الأمر واضحًا لـ بولينا فورًا حول هوية المرأة ذات المكواة فحسب، بل رأت فيه نوعًا من المنطق المظلم، وكانت مرعوبة من أنها بطريقة ما قد وافقت ضمنيًا على ما حدث. كم من مرة قالت أثناء رحلة العودة: "لا أستطيع رؤيته ثانية، لا أستطيع ببساطة. أفضل الموت."

قالت:

– "لا، لا يبدو الوصف كأي شخص أعرفه."

– "زوجك أخبرني أنكِ التقيتِ بامرأة ووقعتِ في الحب."

– "كتبت ذلك فقط لإغاظته."

– "ومع ذلك، تولد لديه انطباع بوجود نوع من الارتباط العاطفي بين الجانية وبينك. حتى أن الرسالة بدت وكأنها كلها عنك. اضطر زوجك لأن يقسم بألا يزعجك ثانية أبدًا."

– "هذا غريب."

– "هل هو غريب حقًا؟ الجيران قالوا إنكِ كنتِ تضعين ضمادة على ذراعك في الأيام الأخيرة قبل مغادرتك. وأنكِ أخبرتهم أنكِ حرقتِ نفسك بالمكواة."

– "هذا صحيح."

– "ليس الجميع صدقوكِ يا بولينا. لقد سمعوا صراخًا من شقتك. صراخًا وأصوات شجار."

ترددت قبل الإجابة.

– "هل حدث ذلك حقًا؟"

– "ربما كان توماس هو من حرقك؟"

– "ربما."

– "ستتفهمين إذًا أننا نشك في أن هذا قد يكون عملًا انتقاميًا – من شخص مقرب منك."

– "لا أعرف."

– "لا تعرفين..."

هكذا استمر الأمر، شد وجذب، حتى تغيرت نبرة جنسن فجأة وقالت:

– "بالمناسبة..."

– "نعم؟"

– "لا أعتقد أنكِ بحاجة للقلق بشأنه."

– "ماذا تعنين؟"

– "زوجك يبدو مرعوبًا من هذه المرأة. أعتقد أنه سيبتعد عنك تمامًا."

ترددت بولينا ثم قالت: "هل هذا كل شيء؟"

– "في الوقت الحالي، نعم."

– "حسنًا، أفترض أنه يجب علي قول شكرًا، إذًا."

– "لمن؟"

– "لا أعرف،" قالت، ثم أضافت – لأنه بدا الشيء المناسب لقوله – أنها تأمل أن يتحسن توماس قريبًا.

بالتأكيد لم تكن تعني كلمة واحدة من ذلك، وبينما كانت جالسة على سريرها بعد إنهاء المكالمة، تحاول استيعاب المعلومات، رن هاتفها مرة أخرى. كانت محامية طلاق تدعى ستيفاني إردمان. قرأت بولينا عنها في الصحف. أرادت إردمان أن تمثلها، وقالت إن بولينا لا داعي للقلق بشأن أتعابها. لقد تم التكفل بذلك بالفعل.

***

التقت المفتشة موديغ بـ بوبلانسكي في ممر مقر الشرطة وكانت تهز رأسها. خمن أن ذلك يعني أنهم لم يجدوا أي أثر لـ نيما ريتا في سجلات مجلس المقاطعة أيضًا. لكنهم على الأقل حصلوا على إذن

للبحث، وكان ذلك في حد ذاته نصرًا صغيرًا، نظرًا لكثرة العراقيل.

تواصلهم مع الاستخبارات العسكرية اقتصر حتى الآن على اتصال من طرف واحد، وكان انزعاجه يتزايد. رمق موديغ بنظرة ذات مغزى وقال:

– "ربما لدينا مشتبه به."

– "ربما؟"

– "لكن بلا اسم، وبالكاد لدينا وصف."

– "وتسمي ذلك مشتبهًا به؟"

– "حسنًا، لنسمه خيطًا."

أخبرها عن الرجل الذي رآه هيكي يارفينن من مكانه في ساحة نورا بانتورغيت، في وقت ما بين الواحدة والثانية من صباح السبت ١٥ أغسطس، والذي ربما أعطى نيما ريتا زجاجة الكحول المهرب.

كانت موديغ تدون الملاحظات وهما يدخلان مكتبه ويجلسان متقابلين، في صمت أول الأمر. تململ بوبلانسكي في كرسيه. كان يحاول تحديد شيء يتحرك في عقله الباطن.

– "إذًا لا توجد مؤشرات توحي بأنه استخدم نظام الرعاية الصحية لدينا؟"

– "ليس حتى الآن،" قالت. "لكني لم أيأس. ربما سجل تحت اسم مختلف، ألا تظن ذلك؟ لقد قدمنا طلبًا لاستصدار أمر قضائي يسمح لنا بإجراء بحث أوسع بناءً على خصائصه الجسدية."

– "هل لدينا فكرة عن المدة التي شوهد فيها في المدينة؟"

– "الأمر دائمًا صعب عندما يتعلق بإدراك الناس للوقت، لكن لا شيء يشير إلى أنه كان في الحي لأكثر من أسبوعين."

– "هل يمكن أن يكون قد جاء من جزء آخر من المدينة، أو من بلدة أخرى؟"

– "لا أعتقد ذلك. هذا هو حدسي."

مال بوبلانسكي بظهره في الكرسي ونظر من النافذة نحو شارع بيرغسغاتان، وفي لحظة اتضح له ما كان يبحث عنه.

– "الجناح الجنوبي،" قال.

– "ماذا؟"

– "وحدة الطب النفسي المغلقة في سودرا فليغلن – الجناح الجنوبي. أعتقد أنه ربما كان محتجزًا هناك."

– "ما الذي يجعلك تقول ذلك؟"

– "الأمر ملائم. إنه بالضبط نوع المكان الذي تضع فيه شخصًا تريد إخفاءه. الجناح الجنوبي لا يتبع حتى لمجلس المقاطعة. إنه مؤسسة مستقلة وأعرف من خبرتي القديمة أن هناك علاقة عمل بين السلطات العسكرية والعيادة. هل تذكرين أندرسون، ذلك الجندي المجنون التابع للأمم المتحدة من الكونغو الذي هاجم الناس في المدينة؟ كان مريضًا هناك."

– "أذكره،" قالت موديغ. "لكن هذا يبدو لي تخمينًا بعيد الاحتمال."

– "لم أنتهِ بعد."

– "في هذه الحالة، تفضل بالمتابعة يا سيدي."

– "وفقًا لـ يارفينن، قال نيما إنه نزل من جبل ليهرب، نزل إلى بحيرة، وهذا يتطابق أيضًا، أليس كذلك؟ الجناح الجنوبي يقع في موقع

درامي على حافة جرف، فوق خليج أورستافيكن. علاوة على ذلك، ليس بعيدًا جدًا عن ماريتورغيت."

– "تفكير جيد،" قالت موديغ.

– "قد يكون مجرد تخمين جامح."

– "سأتحقق منه فورًا، تحسبًا."

– "ممتاز، رغم أن..."

– "ماذا؟"

– "لا يزال ذلك لا يفسر كيف ظهر نيما ريتا في السويد وتمكن من عبور جميع فحوصات الجوازات دون تسجيل اسمه."

– "لا، لن يفسر ذلك،" قالت موديغ. "لكنه شيء نبدأ به."

– "وسيكون بداية مفيدة أيضًا لو تمكنا من التحدث إلى ريبيكا فورسيل، رغم أنه يبدو أننا ممنوعون من ذلك أيضًا."

– "نعم،" قالت وهي تنظر إليه بتمعن.

– "ما الأمر؟"

– "يُفترض أن هناك امرأة أخرى في ستوكهولم، شخص عرف نيما ريتا وكلارا إنجلمان."

– "من تكون؟"

أخبرته موديغ.

***

كانت كاترين ليندلس تسير على طول شارع غوتغاتان وحاولت مرة أخرى الاتصال بـ بلومكفيست، لكنه لم يجب، مما أثار غضبها، رغم أن خطه كان مشغولًا أحيانًا. ما الذي يهمها؟ لديها أشياء أهم لتفكر فيها. انتهت لتوها من تسجيل حلقتها الصوتية (بودكاست) –

مناقشة حول الحملة الإعلامية ضد فورسيل مع وزيرة الثقافة أليسيا فرانكل، وأستاذ الصحافة يورغن فريغستاد — لكن ذلك لم يجعلها أكثر استرخاءً. شعرت بعدم التوازن، كما يحدث لها غالبًا بعد جلسات التسجيل.

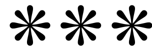
دائمًا ما يكون هناك رد أو سؤال يزعجها، والآن كانت قلقة من أنها ربما اتخذت موقفًا متشددًا للغاية، أو كانت متحيزة بقدر وسائل الإعلام التي تنتقدها؛ أنها طالبت الآخرين بالحيادية دون أن ترتقي هي نفسها لذلك. لكنها لم تكن تتردد أبدًا في نقد ذاتها، وكانت تدرك جيدًا أن الهستيريا حول فورسيل قد تغلغلت تحت جلدها. ربما كان الأمر يتعلق بها أكثر مما يتعلق به.

كانت تعرف جيدًا كيف يمكن للكراهية والأكاذيب تدمير شخص ما، ورغم أنها لم تفكر أبدًا في الانتحار، إلا أنها كانت تفقد توازنها أحيانًا وتؤذي نفسها — تمامًا كما كانت تفعل وهي مراهقة — بجرح نفسها. شعرت باعتلال المزاج منذ استيقاظها فجر ذلك اليوم واستعدادها للتسجيل، وكأن شيئًا مظلمًا من الماضي يحاول العودة. لكنها طردت الفكرة. كان شارع غوتغاتان مليئًا بالناس. مجموعة من أطفال الحضانة يتحركون ببالوناتهم على الرصيف أمامها، فانعطفت نحو بونديغاتان وشقت طريقها إلى نيتورغيت، حيث تنفست الصعداء قليلًا.

كانت نيتورغيت تعتبر واحدة من أرقى العناوين في سودر، ورغم أنها كانت بالنسبة للبعض كلمة قبيحة تقريبًا، إلا أنها كانت مرادفًا لـ "النخبة" في الوسط الإعلامي. شعرت بالأمان في الحي، وكأنها وجدت منزلًا وملاذًا في آن واحد. صحيح أنها أثقلت كاهلها بالرهن العقاري

لشرائه، لكن منذ أن حقق برنامجها نجاحًا كبيرًا – كان البودكاست الإعلامي الأكثر استماعًا في السويد – شعرت بأمان معقول، وكان بإمكانها في أي حال بيع المكان والانتقال للضواحي عند الضرورة. لم تشك أبدًا في أن كل شيء يمكن أن يُسلب منها في لحظة.

سارعت خطاها. هل تلك خطوات خلفها؟ لا، هي تتخيل فقط، مخاوف قديمة سخيفة. ومع ذلك أرادت العودة للمنزل بأسرع ما يمكن. أرادت نسيان العالم والغرق في كوميديا رومانسية، أو أي شيء ليس جزءًا من حياتها الخاصة.



كان بلومكفيست يجلس في شرفة بمنطقة أوسترمالم، يجري مقابلة مع المرأة التي تحدثت عنها موديغ. جاء من المكتبة الملكية، حيث أمضى اليوم بطوله في القراءة. بدأ يرى تسلسل الأحداث بوضوح أكبر الآن، أو على الأقل أدرك الفجوات وما يحتاج لاكتشافه.

لذلك دعا نفسه إلى منزل إلين في شارع يونغفروغاتان. كانت الآن في التاسعة والثلاثين، امرأة أنيقة بملامح مميزة، نحيلة للغاية وبعيدة المنال نوعًا ما. فيلكه هو اسم زواجها، لكن في عام ٢٠٠٨ كانت تدعى مالمغارد، وكانت مشهورة جدًا في عالم اللياقة البدنية – ولديها عمود نصائح خاص في صحيفة أفتونبلادت – وكانت عضوًا في بعثة إيفرست بقيادة الأمريكي غريغ دولسون.

قامت مجموعة دولسون بمحاولة الوصول للقمة في نفس يوم متسلقي فيكتور غرانكين: ١٣ مايو. خلال فترة التأقلم، عاشت البعثتان جنبًا إلى جنب في مخيم القاعدة، وتقربت إلين من مواطنيها يوهانس فورسيل وسفانتي ليندبيرغ. كما صادقت كلارا إنجلمان.

– "شكرًا لموافقتك على رؤيتي،" قال بلومكفيست.

– "لا مشكلة، لكن كما تتخيل، لقد سئمت قليلًا من هذه القصة. ألقيت ما يقارب المئتي محاضرة عنها."

– "يبدو مالًا وفيرًا بالنسبة لي."

– "كانت هناك أزمة مالية حينها أيضًا، إذا كنت تذكر، لذا لم يكن الأمر مربحًا لتلك الدرجة."

– "يؤسفني سماع ذلك. لكن أخبريني عن كلارا إنجلمان. أعلم أنها وغرانكين كانا مرتبطين، لذا لا داعي للمراوغة حول ذلك."

– "هل ستقتبس كلامي؟"

– "ليس إذا لم ترغبي في ذلك. أحتاج فقط لفهم ما حدث."

– "حسنًا. لقد كانت بينهما علاقة بالفعل. لكنهما كانا متحفظين بشأنها. حتى في مخيم القاعدة لم يعرف الكثيرون بالأمر."

– "لكنكِ عرفتِ؟"

– "لأن كلارا أخبرتني."

– "أليس غريبًا بعض الشيء أن كلارا كانت عضوًا في بعثة فيكتور غرانكين؟ بكل مالها وعلاقاتها، لماذا لم تختر أحد القادة الأمريكيين، دولسون مثلًا، الذي كان أكثر شهرة؟"

– "غرانكين كانت له سمعة جيدة أيضًا، لكن كان هناك رابط ما بين فيكتور وستان إنجلمان. كانا يعرفان بعضهما بطريقة ما."

– "ومع ذلك لاحق غرانكين زوجته؟"

– "نعم، لا بد أن ذلك كان لا يُطاق بالنسبة لـ ستان."

– "قرأت أنكِ ظننتِ أن كلارا كانت تعيسة في البداية، حين كانت في مخيم القاعدة؟"

– "لا، لم أقل ذلك،" قالت. "رأيتها كقمة في التكبر والغطرسة. لكن تدريجيًا أدركت كم كانت حزينة وفهمت أنه بالنسبة لها، مغامرة إيفرست كلها كانت تتعلق بالحرية. أملت أن تمنحها الشجاعة للحصول على الطلاق. ذات مساء، ونحن نشرب النبيذ في خيمتها، أخبرتني أنها وكلت محاميًا."

– "تشارلز ميسترتون، صحيح؟"

– "ربما، لا أذكر اسمه. وكانت قد تواصلت أيضًا مع ناشر. قالت إنها تريد الكتابة ليس فقط عن تسلق الجبل، بل عن علاقات ستان مع العاهرات ونجمات الإباحية، وعن كل اتصالاته الإجرامية."

– "كنت لأتوقع أن يشعر إنجلمان بالتهديد من ذلك."

– "أجد صعوبة في تخيل ذلك. إذا كان لدى كلارا محامٍ واحد، فهو يملك عشرين، وأعلم أنها كانت خائفة. قالت: «سيدمرني»."

– "ولكن بعد ذلك حدث شيء ما."

– "بطلنا أوقعها في شباكه."

– "غرانكين."

– "بالضبط."

– "كيف فعلها؟"

– "لا فكرة لدي. لكن كان من السهل الانجذاب لـ فيكتور. كان يشع هدوءًا رائعًا في وجه أي صعوبات عملية. نظرة واحدة إليه وكنا جميعًا نشعر: فيكتور سيحل المشكلة. كان له حضور ضخم يشبه الدب، ويبدد كل مخاوفنا بضحكة مجلجلة. أذكر أنني حسدت المجموعة الأخرى، تمنيت لو كان قائدنا نحن أيضًا."

– "ووقعت كلارا في حبه."

– "تمامًا وبكل جوارحها."

– "لماذا، برأيك؟"

– "لاحقًا تساءلت عما إذا كان للأمر علاقة بـ ستان. أعتقد أن كلارا تخيلت أنها تستطيع هزيمة زوجها إذا كان فيكتور بجانبها. بدا وكأنه يستطيع الوقوف وسط وابل من الرصاص ويكتفي بالابتسام."

– "لكن شيئًا ما تغير."

– "نعم. حتى فيكتور بدأ يبدو متوترًا، وذلك أربكنا جميعًا. كان الأمر يشبه قليلًا، كما تعلم، حين تبدو المضيفة قلقة فجأة في منتصف الرحلة. حينها تبدأ حقًا في الظن أن الطائرة ستسقط."

– "ماذا تعتقدين أنه حدث؟"

– "لا فكرة لدي. من المحتمل أنه بدأ يقلق بشأن مغامرته العاطفية الصغيرة. أدرك أن ستان ليس شخصًا يُعبث معه، وأن العواقب ستكون وخيمة، ولأكون صادقة..."

– "نعم؟"

– "كان محقًا في قلقه. كنت صغيرة جدًا في ذلك الوقت، وظننت أن الرومانسية شيء رائع. كأن أعظم سر في العالم ائتُمنت عليه. لكن بعد فوات الأوان أدرك أن ذلك كان انعدام مسؤولية لعين. لا أفكر كثيرًا في ستان أو زوجة فيكتور، بل في المتسلقين في البعثة. كان من المفترض بـ فيكتور أن يعتني بهم جميعًا ولا يحابي أحدًا. خذلهم بتركيزه الشديد على كلارا، وأعتقد أن هذا أحد أسباب سير الأمور نحو الأسوأ. أراد إيصالها للقمة، مهما كلف الأمر."

– "كان عليه إرسالها للأسفل."

– "بالتأكيد، لكنه لم يستطع فعل ذلك. ليس فقط لقيمتها الدعائية الكبيرة. كان منزعجًا أيضًا لأنها اضطرت لتحمل كل تلك القاذورات في الصحافة. أراد أن يري العالم أنها قادرة على فعلها."

– "هناك تلميحات بأن غرانكين لم يكن بطبيعته حقًا أثناء الصعود من المخيم الرابع؟"

– "سمعت ذلك أيضًا. ربما استنفد طاقته ببساطة في محاولة إبقاء المجموعة متماسكة."

– "كيف كانت علاقته بـ نيما ريتا؟"

– "فيكتور كان يكن له احترامًا هائلًا."

– "وماذا عن العلاقة بين كلارا ونيما؟"

– "مختلفة... كانت خاصة بعض الشيء. لم يكونا على نفس الكوكب."

– "هل عاملته بشكل سيء؟"

– "كان مؤمنًا بالخرافات جدًا، كما ترى."

– "هل سخرت منه بسبب ذلك؟"

– "قليلًا، ربما، لكن لا أظن أن ذلك ضايقه. كان يواصل عمله وحسب. كان شيئًا مختلفًا تمامًا هو الذي دمر علاقتهما."

– "وما هو...؟"

– "كانت لديه زوجة."

– "لونا."

– "بالضبط، كان اسمها لونا. كانت تعني كل شيء له، وبصدق أعتقد أنه كان بإمكانك قول أي شيء تريده له. تعامله كالقاذورات، وكأنه غير موجود. لم يكترث. لكن كلمة سيئة واحدة عن زوجته وكان

يتحول إلى عاصفة رعدية. ذات صباح صعدت لونا إلى مخيم القاعدة بخبز طازج وجبن، ومانجو وليتشي وكل أنواع الأشياء الأخرى في سلة مزينة. دارت حول الخيام توزع الأشياء، وأضاءت الوجوه وشكرها الجميع. ولكن أثناء مرورها بخيمة كلارا تعثرت بزوج من المخالب الجليدية (Crampons)، أظن، أو حقيبة يد أو شيء آخر لم تكن كلارا بحاجة إليه بالتأكيد هناك في الأعلى. تطاير كل شيء على الحصى وجُرحت يدا لونا. لم تكن هناك دراما كبيرة في الواقع، لكن كلارا كانت جالسة هناك وبدلًا من المساعدة صرخت فيها: «انظري أمامك» وأثارت جلبة. تصرفت ببساطة مثل مغنية أوبرا متعجرفة غبية، وكان نيما على وشك الانفجار، استطعت رؤية ذلك. خفت أن يفقد أعصابه. لكن قبل أن يحدث أي شيء، ظهر فورسيل وساعد لونا على النهوض والتقط الخبز والفاكهة."

— "إذًا فورسيل كان ودودًا معهما؟"

— "كان ودودًا مع الجميع. هل قابلته؟ قبل أن يبدأ الجميع في كرهه، أقصد."

— "أجريت معه مقابلة فور تعيينه وزيرًا للدفاع."

— "في هذه الحالة لن تفهم بالتأكيد ما يجري الآن. في ذلك الوقت، كما ترى، الجميع أحبه. كان مثل إعصار. يقتحم كل شيء رافعًا إبهامه، ولم يتوقف عن الابتسام أبدًا. لكن قد تكون محقًا، ربما كانت لديه علاقة خاصة بـ نيما. كان يردد «دعوني أنحني لأسطورة الجبل»، وأشياء من هذا القبيل، وكان يهتف: «يا لها من زوجة لديك! يا لها من امرأة جميلة»، وبالطبع أسعد ذلك نيما."

— "هل رد نيما الجميل بأي طريقة؟"

– "ماذا تعني؟"

لم يعرف ميكائيل كيف يصيغ الأمر، ولم يرغب في توجيه أي اتهامات بلا أساس.

– "هل من المتصور أن نيما قد ساعد فورسيل على الجبل، على حساب كلارا إنجلمان؟"

رمقته إلين بنظرة حيرة.

– "كيف بحق الأرض كان ذلك ليحدث؟" قالت. "نيما كان مع فيكتور وكلارا، أليس كذلك، وسفانتي ويوهانس سبقاهم نحو القمة بمفردهما."

– "أعرف. لكن لاحقًا؟ ماذا حدث حينها؟ يُقال في كل مكان إن كلارا كانت أبعد من أن تُنقذ. لكن هل كانت كذلك حقًا؟"

ثم حدث شيء غير متوقع. فقدت إلين أعصابها.

– "بالتأكيد اللعين كانت كذلك،" قالت. "لقد سئمت جدًا من هذا. حفنة من الأغبياء الذين لم يقتربوا أبدًا من تلك الارتفاعات، يظنون أنهم يعرفون كل شيء. لكن يمكنني إخبارك..." كادت تعجز عن الكلام. "هل لديك أدنى فكرة عما يكون عليه الحال هناك؟ بالكاد تستطيع التفكير، والبرد والألم لا يطاقان، وإذا كنت محظوظًا حقًا، فلديك بالكاد القوة الكافية للاعتناء بنفسك. لتخطو خطوة واحدة في كل مرة. لا أحد، ولا حتى نيما ريتا، يمكنه إنزال شخص عندما يكون ممددًا بلا حراك في الثلج ووجهه متجمد كالصخر على ارتفاع ثمانية آلاف وثلاثمائة متر، وهكذا كانت هي. رأيناهم بأنفسنا في طريق النزول، أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟ هي وفيكتور متعانقين في الثلج."

– "أعلم ذلك."

– "ولم يكن هناك ما يمكن فعله. لا أمل في الجحيم بأن يتمكن أي شخص من مساعدتها. كانت ميتة."

– "أنا فقط أتحقق من الحقائق."

– "هراء، لا أصدق ذلك لثانية واحدة. كنت تحاول التلميح لشيء ما، أليس كذلك؟ أنت تسعى للنيل من فورسيل، تمامًا مثل الجميع."

أنا لست كذلك، أراد أن يصرخ، لست كذلك! لكنه بدلًا من ذلك أخذ نفسًا عميقًا.

– "أعتذر،" قال. "أنا فقط أفكر..."

– "بماذا تفكر؟"

– "أن هناك شيئًا ما في هذه القصة لا يبدو منطقيًا."

– "مثل ماذا؟"

– "مثل حقيقة أن كلارا لاحقًا لم تعد ممددة مع فيكتور. أعلم أن ذلك لم يُكتشف حتى العام التالي، وأن أي عدد من الأشياء كان يمكن أن يحدث في تلك الفترة – انهيارات ثلجية وعواصف رهيبة. لكن مع ذلك..."

– "مع ذلك ماذا؟"

– "لا يعجبني ما قرأته من رواية سفانتي ليندبيرغ أيضًا. لا أستطيع التخلص من الشعور بأنه لم يروِ القصة كاملة."

هدأت إلين ونظرت إلى الحديقة.

– "أميل للاتفاق معك،" قالت.

– "ولماذا تقولين ذلك؟"

– "لأن سفانتي كان اللغز الكبير في مخيم القاعدة."

-٢٢-

٢٧ أغسطس

كانت كاترين ليندا س تجلس متكورة مع قطتها على الأريكة في منزلها في نيتورغيت، تنظر إلى هاتفها المحمول. لقد حاولت الاتصال بـ بلومكفيست مرات كثيرة أكثر مما ينبغي، وكانت تشعر بالغضب والإحراج معًا. لقد كشفت له عن مشاعرها، وكل ما تلقته في المقابل كان رسالة نصية غامضة واحدة:

<أعتقد أن المتسول قال لكِ «مامساهيب» (Mamsahib)، كما في «مامساهيب كلارا إنجلمان». هل تذكرين أي شيء آخر؟ حتى كلمة واحدة قد تكون مفيدة>

مامساهيب، فكرت، وبحثت عن الكلمة: "صيغة خطاب محترمة لامرأة بيضاء في الهند المستعمرة، وتكتب عادة Memsahib." ربما كان هذا ما قاله، لكن من يكترث على أية حال، ومن تكون كلارا إنجلمان هذه؟

لم تكن مهتمة على الإطلاق، ولم تعد تكترث لـ بلومكفيست أيضًا. كان بإمكانه بالتأكيد إضافة ملاحظة مهذبة صغيرة، مثل "مرحبًا، كيف الحال؟" لكن لا، وبالتأكيد ليس "أفتقدكِ"، كما كتبت هي نفسها بلا مبرر في لحظة ضعف. فليذهب للجحيم.

ذهبت إلى المطبخ لتجد شيئًا تأكله. لكنها أدركت أنها ليست جائعة في نهاية المطاف، فأغلقت باب الثلاجة بعنف وأخذت تفاحة من وعاء على طاولة الطعام، ولم تأكلها هي الأخرى، ربما لأنه في تلك اللحظة بالذات دق جرس في أعماق ذاكرتها. كلارا إنجلمان؟ الاسم يبدو مألوفًا بالفعل. بل وفيه قدر من السحر والجاذبية بطريقة ما، فبحثت عنه في "غوغل". وحينها، عادت إليها القصة بأكملها.

كانت قد قرأت كل شيء عنها في مجلة «فانيتي فير» منذ فترة، لكنها الآن لم تجد سوى بعض الصور لـ كلارا إنجلمان؛ سلسلة من الصور المتكلفة في أحد مخيمات قاعدة إيفرست، وأيضًا صور لـ فيكتور غرانكين، المرشد الذي مات معها. كانت كلارا جميلة بطريقة مبتذلة قليلًا، لكنها بدت حزينة أيضًا، أو كأنها تتصنع السعادة، كأنها بحاجة لمواصلة الابتسام لدرء الاكتئاب، بينما بدا غرانكين... حسنًا، ماذا عنه؟

كان مهندسًا ومتسلقًا محترفًا أيضًا، كما ذكر مقال آخر، ومستشارًا سابقًا لشركات سياحة المغامرات، لكنها رأت أنه يبدو أكثر كجندي، قوات خاصة، خاصة عندما رأته في صورة أخرى من إيفرست، يقف بجوار...

– "يوهانس فورسيل!" هتفت بصوت عالٍ، ونسيت حتى غضبها من بلومكفيست. كتبت له ردًا:

<ما الذي اكتشفته؟>

***

قبل لحظات، كانت إلين فيلكه ساخطة وغاضبة. الآن بدت غير متأكدة ومستغرقة في التفكير، وكأنها انتقلت من النقيض إلى النقيض في لمح البصر.

— "حسنًا، يا إلهي، ماذا عساي أقول عن سفانتي؟ يا له من ثقة مذهلة بالنفس. جنون، حقًا. كان يستطيع إقناع الناس بفعل أي شيء تقريبًا. حتى أننا جميعًا بدأنا نشرب حساء التوت الأزرق اللعين الخاص به في المخيم. كان يجب أن يكون بائعًا أو شيئًا من هذا القبيل. لكنني أشك في أن الأمور لم تسر تمامًا كما أراد على إيفرست في النهاية."

— "كيف ذلك؟"

— "سفانتي أدرك أيضًا أن هناك شيئًا ما بين فيكتور وكلارا، وبدا أن ذلك يزعجه بطريقة ما. لا أستطيع تفسير الأمر، هكذا شعرت فقط. ربما كان يغار، ما أدراني، وأعتقد أن فيكتور لاحظ ذلك. حتى أنني أعتقد أنه كان أحد الأسباب التي جعلته يصبح متوترًا أكثر فأكثر."

— "لماذا قد يؤثر ذلك عليه؟"

— "شيء ما هزّه، كما قلت. فبعد أن كان الصخرة الصلبة في المخيم، أصبح خائفًا بشكل متزايد، وأحيانًا تساءلت عما إذا لم يكن خائفًا قليلًا من سفانتي."

— "لماذا قد يكون كذلك، برأيك؟"

— "لو كان علي التخمين، لقلت إنه كان خائفًا من أن يخبر سفانتي ستان إنجلمان."

— "هل كان هناك ما يشير إلى أنهما على اتصال؟"

— "ربما لا، ولكن... كان هناك شيء خبيث بشأن سفانتي، اتضح لي أكثر فأكثر، وأحيانًا كان يتحدث عن إنجلمان وكأنه يعرفه. الطريقة

التي كان يدعوه بها «ستان» جعلت الأمر يبدو بطريقة ما... مألوفًا. لكني قد أكون أتخيل. من الصعب تذكر أشياء كهذه الآن. كل ما أعرفه هو أن حتى سفانتي بدا أقل غطرسة وثقة بالنفس قرب النهاية. لذا كان يسير بحذر شديد حقًا."

— "تعنين أنه هو أيضًا كان متوترًا بشأن شيء ما؟"

— "كلنا كنا كذلك."

— "هذا طبيعي، في تلك الظروف،" قال بلومكفيست. "لكنكِ أشرتِ إلى ليندبيرغ باعتباره اللغز الكبير في مخيم القاعدة."

— "هذا بالضبط ما كان عليه. في معظم الوقت كان تجسيدًا للثقة بالنفس، ومع ذلك كان يمكن أن يكون مترددًا ومرتابًا أيضًا. مسرفًا وسخيًا، ولكن لئيمًا أيضًا. كان يستطيع أن يسلبك قميصك بالمديح في لحظة، ويستفزك في اللحظة التالية."

— "ماذا عن علاقته بـ فورسيل؟"

— "نفس الشيء تقريبًا، أعتقد. كان هناك جزء منه يحب يوهانس."

— "لكن جزءًا آخر..."

— "... كان يراقبه. يحاول الحصول على نفوذ ما عليه."

— "لماذا تقولين ذلك؟"

— "لست متأكدة. لكني أعتقد أنني متأثرة بكل هذا الهراء في وسائل الإعلام ضد فورسيل."

— "متأثرة بأي طريقة؟"

— "يبدو الأمر كله غير عادل، وأحيانًا أتساءل عما إذا كان يوهانس لا يدفع ثمن شيء فعله سفانتي. لكن الآن أنا حقًا أثرثر بما لا ينبغي."

ضحك بلومكفيست بحذر.

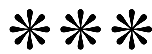
– "ربما تفعلين. لكني سعيد لأنك تساعدينني على التفكير، ولا داعي للقلق بشأن قصتي، كما قلت. أنا أيضًا أحب التخمين، لكن في مقالاتي ليس لدي خيار سوى الالتزام بالحقائق."

– "أمر مؤسف."

– "ها، نعم، ربما. الأمر يشبه تسلق الجبال قليلًا، أتخيل. لا يمكنك مجرد تخمين مكان النتوء الصخري التالي. يجب أن تعرف. وإلا ستقع في ورطة."

– "صحيح."

ألقى نظرة على هاتفه ورأى أن كاترين قد ردت. أجابت بسؤال آخر، وكان ذلك سببًا وجيهًا كأي سبب آخر لإنهاء المحادثة. ودع إلين فيلكه بود وخرج إلى الشارع حاملًا حقيبته، ولكن دون أي فكرة عن وجهته.



عادت فريدريكا نيمان إلى منزلها في ترونغسوند في وقت متأخر من بعد الظهر، ورأت أنها تلقت بريدًا إلكترونيًا طويلًا من طبيب نفسي يدعى فرزاد منصور، كبير الأطباء في وحدة الطب النفسي المغلقة في الجناح الجنوبي. كانت هي والشرطة قد أرسلوا له تقارير مفصلة مع استفسار عما إذا كان نيما ريتا مريضًا هناك.

لم تكن نيمان تتوقع الكثير من ذلك. كان الشيربا في حالة رثة للغاية لا تسمح بإيداعه في مؤسسة، كما ظنت، حتى لو أشارت آثار الأدوية المضادة للذهان في دمه إلى العكس. ولذلك كانت متشوقة لرؤية ما كتبه الدكتور منصور – وليس فقط بسبب التحقيق.

تحدث الدكتور منصور بنبرة ناعمة ولطيفة عبر الهاتف، وأعجبها ما رأته عنه على الإنترنت، البريق في عينيه ودفء ابتسامته، وحتى اهتمامه بالطيران الشراعي، الذي كتب عنه في فيسبوك. لكن البريد الإلكتروني الذي أرسله لها ولكبير المفتشين بوبلانسكي كان بيانًا عاطفيًا، يغلي بالغضب، ومحاولة واضحة لتبرير علاج العيادة للشيربا.

<نحن مصدومون ومحزونون، واسمحوا لي أن أقول فورًا إن الحدث وقع في أكثر أوقات السنة سوءًا، الأسبوع الوحيد في يوليو الذي لم أكن فيه أنا ولا هنريك ألم، رئيس عيادتنا، موجودين. للأسف سقطت الحالة بين كرسيين.>

أي حدث؟ أي حالة؟ أي كراسي؟ أرادت أن تعرف، وكأنها غاضبة لأن شراع عقلها الوديع قد فقد رباطة جأشه تمامًا. لكن بعد تصفح البريد الإلكتروني، الذي كان طويلًا ومتشعبًا، فهمت أن نيما ريتا كان بالفعل مريضًا في الجناح الجنوبي، ولكن تحت اسم آخر، وأنه هرب مساء يوم ٢٧ يوليو من ذلك العام. في البداية لم يتم الإبلاغ عن غيابه، لأسباب وجيهة عدة، معظمها يتعلق بعدم تواجد المسؤولين في الخدمة. ولكن كان هناك أيضًا إجراء سري خاص لهذا المريض، تم تجاهله — ربما بدافع الخوف، أو الشعور بالذنب.

كتب فرزاد منصور:

<كما تعلمون ربما، توليت أنا وهنريك إدارة الجناح الجنوبي في مارس من هذا العام. في ذلك الوقت، اكتشفنا عددًا من الأوضاع غير المرضية، بما في ذلك حقيقة أن العديد من المرضى كانوا محتجزين وخاضعين لإجراءات قسرية، والتي في رأينا، لم تكن لها أي آثار مفيدة. أحد المرضى كان رجلًا أُدخل في أكتوبر ٢٠١٧، تحت اسم "نيهار

راوال". لم تكن لديه وثائق هوية ولكن وفقًا لسجلاته الطبية كان يبلغ من العمر أربعة وخمسين عامًا ويعاني من فصام زوري (Paranoid Schizophrenia) وتلف عصبي يصعب تقييمه. كان يبدو أنه من نيبال، من المناطق الجبلية.>

نظرت نيمان إلى ابنتيها، اللتين كانتا كالعادة تجلسان على الأريكة مع هواتفهما المحمولة. تابع الدكتور منصور:

<لم يتلق المريض أي رعاية للأسنان، ولم يفحصه طبيب قلب، وهو ما كان يجب أن يحدث كأولوية. بدلًا من ذلك، تم إعطاؤه جرعات دوائية مكثفة وأحيانًا تم تقييده. كان هذا غير مبرر تمامًا. كانت هناك معلومات – وللأسف لست في حل للكشف عنها – تشير إلى أنه كان عرضة للتهديدات. ربما لم نقدر تمامًا مدى خطورة ذلك، ونحن لا ننكر مسؤوليتنا بأي حال. ولكن يجب أن تفهموا، بالنسبة لهنريك ولي، كانت مصلحة المريض هي الأهم. أردنا أن نظهر له القليل من اللطف الإنساني ونحاول بناء بعض الثقة. كان المريض مشوشًا. لم يعرف أبدًا أين هو حقًا. في الوقت نفسه، كان هناك غضب بداخله، حنق لعدم رغبة أحد في الاستماع لقصته، ولذا خفضنا أدويته بشكل ملحوظ وبدأنا العلاج النفسي. أخشى أن هذا لم يكن ناجحًا بشكل خاص أيضًا.

كانت أوهامه شديدة للغاية، ومهما كان حريصًا على الحديث، فقد طور شكوكًا قوية تجاه وحدتنا بأكملها. لكننا تمكنا على الأقل من تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة. بدأنا ندعوه "نيما"، على سبيل المثال، وكان ذلك مهمًا له. خاطبناه بلقب "سردار نيما".

استطعنا رؤية أن لديه هوسًا بزوجته الراحلة "لونا". في الأمسيات كان يمشي في ممرات المستشفى، ينادي باسمها. قال إنه يسمع

صرخات استغاثتها. كان يطلق أيضًا نوبات غضب جامحة وغير مفهومة يتحدث فيها عن "سيدة" (Madam) — أو "مامساهيب" (Mam Sahib). اعتبرت أنا وهنريك أن هذه طريقة أخرى يشير بها لزوجته، لوجود تشابهات قوية بين القصص. لكن الآن بعد أن قرأنا تقاريركم، نشك في أننا لا نتعامل مع صدمة واحدة، كما ظننا، بل اثنتين.

قد تظنوننا غير أكفاء لعدم تمكننا من الخروج بصورة أوضح عن حالته. لكننا كنا نعمل في ظروف صعبة منذ البداية. أعتقد أنه من الإنصاف القول إننا أحرزنا بعض التقدم. في نهاية يونيو أُعيدت إليه سترته المبطنة، التي كان يطالب بها، وبدا أن ذلك جعله يشعر بالأمان. صحيح أنه كان يطلب الكحول دائمًا — ربما لأنه كان يتلقى مهدئات أقل — لكن كانت هناك بعض الليالي التي لم يعد يسمع فيها أصواتًا، كما تحسنت نوبات الرعب الليلي لديه.

أذكر أنني وهنريك ذهبنا في إجازاتنا ونحن نشعر بثقة معقولة. شعرنا أننا على الطريق الصحيح، معه ومع العيادة بشكل عام.>

أنا واثقة أنكم شعرتم بذلك، فكرت نيمان. لكن ذلك أدى في النهاية لوفاة نيما ريتا، وكان من الواضح تمامًا أن إدارة العيادة قد استهانت بتصميمه على الهرب. كان من المعقول السماح له بالتواجد في الشرفة. لكن لا بد أن وجوده هناك وحيدًا، دون أي موظفين، كان مخالفًا لكل القواعد.

خلال ظهيرة يوم ٢٧ يوليو، اختفى. الدليل كان قصاصة صغيرة من قماش بنطاله تمزقت عندما حشر نفسه عبر الفجوة الضيقة بين السقف وسور الشرفة العالي. بعد ذلك يمكننا فقط افتراض أنه نزل عبر

المنحدرات الصخرية الشديدة واختفى من أورستافيكن. لا بد أنه وجد مكانًا للعيش فيه في المنطقة المحيطة بـ ماريتورغيت.

ومع ذلك، كان الشيء الأكثر صدمة هو أن أحدًا لم يبلغ عن الأمر حتى عاد هنريك ألم من إجازته في ٤ أغسطس، وحتى حينها لم يبلغ أحد الشرطة لأنه، كما كتب الدكتور منصور أيضًا، "كان منصوصًا عليه بوضوح شديد أن أي تطورات وحوادث جديدة تتعلق بالمريض يجب إبلاغها لشخص الاتصال المحدد". يا له من هراء مبهم، فكرت، إنه يفوح برائحة المعلومات السرية. على أية حال، كان من الواضح وضوح الشمس أن شيئًا مهمًا يتم حجبه. بعد أن أجرت القليل من البحث الإضافي عن عيادة الجناح الجنوبي، وبعد محادثة طويلة مع كبير المفتشين بوبلانسكي، فعلت بالضبط ما فعلته سابقًا.

اتصلت بـ بلومكفيست.

***

لم يكن بلومكفيست قد أجاب على سؤال كاترين بعد. كان يحتسي جعة "جينيس" في حانة تيودور أرمز في شارع غريفغاتان ويحاول وضع خطة عمل. يجب عليه الوصول إلى سفانتي ليندبيرغ. كان بلومكفيست مقتنعًا بشكل متزايد بأنه شخصية محورية في الدراما. لكن شيئًا ما أخبره أنه قبل فعل ذلك يحتاج للمزيد من المعلومات.

فورسيل نفسه سيكون أفضل مصدر، لكن لم تكن لدى بلومكفيست أدنى فكرة عن حالته الصحية، وعلى أية حال لم يستطع الوصول إليه، ولا لـ ريبيكا فورسيل، ولا حتى لسكرتيره الصحفي، نيكلاس كيلر. في النهاية قرر أخذ استراحة لتدبير مكان للإقامة. كان

عليه إيجاد مكان يمكنه العمل والنوم فيه دون تعريض مضيفه للخطر. ثم يمكنه المتابعة. ولكن في تلك اللحظة رن هاتفه.

كانت نيمان، تقول إنها اكتشفت شيئًا مثيرًا للاهتمام. طلب منها إغلاق الخط، وأرسل رسالة نصية يطلب منها تثبيت تطبيق "سيغنال" (Signal)، الذي سيسمح لهما بالتحدث عبر خط آمن.

أجابت: <لا أستطيع. لا أفهم. أكره التطبيقات. إنها تصيبني بالجنون>

<أليس لديكِ مراهقات في المنزل يقضين كل وقتهن على الهواتف المحمولة؟>

<هل البابا كاثوليكي؟>

<اجعليهن يفعلن ذلك لكِ. قولي لهن ساعدن ماما لتصبح محققة سرية>

<ها! سأحاول> كتبت.

كان هناك توقف، ورشف من جعته وراقب الشارع حيث مرت امرأتان بعربات أطفال، وترك أفكاره تشرد حتى تلقى رسالة بلغة جديدة.

<هل أنت ميكائيل بلومكفيست، أعني حقيقي؟>

قرر إظهار مدى براعته التقنية وأرسل صورة ذاتية (Selfie) له وهو يرفع إبهامه.

<كول (رائع)>

<في الواقع ليس رائعًا جدًا>

<وماما ستكون عميلة سرية؟>

<بالتأكيد> أجاب، وتلقى وجهًا مبتسمًا في الرد. ربما لست سيئًا جدًا في هذا بعد كل شيء، فكر، حريصًا على عدم إرسال قلب أحمر هذه المرة. ذلك سيضعه على ملصقات الأخبار العاجلة لصحيفة إكسبرسن. بدلًا من ذلك بدأ يشرح للفتاة، التي تدعى أماندا، ما تحتاج لفعله. بعد خمس عشرة دقيقة، اتصلت نيمان عبر التطبيق، وخرج إلى الشارع للتحدث إليها.

قالت:

– "لقد ارتفع رصيدي لدى بناتي للتو."

– "حسنًا، على الأقل فعلت شيئًا مفيدًا واحدًا اليوم. ماذا أردتِ إخباري؟"

صبت نيمان لنفسها كأسًا من النبيذ الأبيض وأخبرت بلومكفيست بما اكتشفته.

– "إذًا لم يقل أحد بعد كيف أو لماذا انتهى به المطاف هناك في المقام الأول،" قال.

– "هناك نوع من السرية حول الأمر برمته. سرية عسكرية، أعتقد."

– "وكأن للأمر علاقة بالأمن القومي؟"

– "لا أعرف."

– "أو أنه مصمم لحماية أفراد معينين، بدلًا من الدولة."

– "قد يكون ذلك،" قالت نيمان.

– "أليس الأمر برمته غريبًا بعض الشيء؟"

– "بالتأكيد هو كذلك،" أجابت ببطء، "وفضيحة ضخمة أيضًا.

يبدو أنه كان محتجزًا في غرفة صغيرة هناك لعدة سنوات، دون حتى

رؤية طبيب أسنان، أو أي شخص آخر على حد علمي. لست متأكدة إن كنت تعرف المكان."

– "قرأت بيان غوستاف ستافسيو (Gustav Stavsjö) ذات مرة،" قال.

– "بدا الأمر رائعًا، أليس كذلك؟ أشدنا مرضًا سيحصلون على أفضل رعاية. كرامة المجتمع تُعرف بالطريقة التي يعتني بها بأضعف أفراده."

– "كان يؤمن بقضيته بقوة، أليس كذلك؟"

– "لكن تلك كانت أوقاتًا مختلفة، وإيمانه بالحوار والعلاج النفسي كان ساذجًا، على الأقل للمرضى الذين يعانون من أعراض حادة كهذه، والطب النفسي عمومًا كان يتحرك في اتجاه مختلف أيضًا، أليس كذلك، نحو المزيد من الأدوية والإجراءات القسرية. العيادة، رغم موقعها الجميل بجوار الماء ومظهرها الذي يشبه قصرًا، أصبحت أكثر فأكثر مستودعًا للحالات الميؤوس منها، خاصة اللاجئين المصابين بصدمات الحرب، وأصبح من الصعب بشكل متزايد توظيف أشخاص للعمل هناك. اكتسبت العيادة سمعة سيئة."

– "استنتجت ذلك."

– "كانت هناك خطط طموحة لإغلاقها ودمج المرضى في نظام الرعاية الصحية لمجلس المقاطعة. لكن الأبناء الذين أداروا مؤسسة غوستاف ستافسيو تمكنوا من منع ذلك بإقناع البروفيسور ألم، الذي كان يتمتع بسمعة طيبة، بتولي الإدارة. بدأ في تحديث العيادة وإعادة بناء المنظومة، وفي هذا السياق أصبح هو وزميله على علم بوجود نيما، أو نيهار راوال، كما كان معروفًا في سجلاته الطبية."

– "على الأقل سُمح له بالاحتفاظ بالأحرف الأولى من اسمه."

– "فعلوا. لكن هناك شيئًا مريبًا في الأمر. كان هناك شخص اتصال خاص محدد له، رفضت العيادة الكشف عن هويته، وكان يفترض أن يكون له وصول مباشر لجميع المعلومات عنه قبل أي شخص آخر. لا أعرف، لكني حصلت على انطباع بأنه اسم كبير، شخص مهم يهابه الموظفون."

– "مثل وكيل الوزارة ليندبيرغ، مثلًا."

– "أو وزير الدفاع فورسيل."

– "إنه أمر ميؤوس منه."

– "ماذا تعني؟"

– "الأسئلة كثيرة جدًا."

– "كثيرة للغاية."

– "هل عرفتِ ما إذا كان نيما قد ذكر اسم فورسيل أثناء محاولات العيادة علاجه نفسيًا؟" سأل.

– "لا، لا أعرف ذلك أيضًا. لكن بوبلانسكي قد يكون محقًا في اعتقاده بأن هوسه بـ فورسيل بدأ بعد رؤيته على التلفاز في المتجر بشارع هورنسغاتان. ربما حصل على رقمك أيضًا أثناء وجوده هناك."

– "سأضطر للبحث في ذلك."

– "حظًا سعيدًا،" قالت.

– "شكرًا، سأحتاج إليه."

– "هل يمكنني سؤالك عن شيء مختلف تمامًا؟" قالت.

– "بالتأكيد."

– "تلك الباحثة في الحمض النووي التي جعلتني أتواصل معها، من تكون؟"

– "مجرد شخص أعرفه،" قال.

– "لديها أسلوب فظيع."

– "هناك سبب وجيه لذلك،" قال.

ثم تبادلا الوداع وتصبحين على خير، وبقيت نيمان جالسة وحدها، تنظر إلى البحيرة والبجعتين، اللتين استطاعت تمييزهما بصعوبة على الجانب البعيد.

-٢٣-

٢٧ أغسطس

تلقت سالاندر رسالة مشفرة من بلومكفيست. كانت مشغولة بأشياء أخرى، لذا تجاهلتها. على مدار اليوم، لم تكتفِ بالحصول على سلاح جديد – مسدس "بيريتا ٨٧ شيتا" (Beretta ٨٧ Cheetah) مثل الذي كان بحوزتها في موسكو – وجهاز لاقط هوية المشترك الدولي للهاتف المحمول (I.M.S.I.-catcher) فحسب؛ بل أحضرت أيضًا دراجتها النارية، من طراز "كاواساكي نينجا"، من المرآب في فيسكارغاتان.

استبدلت بدلتها بكنزة ذات قلنسوة (Hoodie) وسروال جينز وحذاء رياضي، وهي الآن في غرفة بفندق نوبيس في ساحة نورمالمستورغ، على مقربة من ستراندفاغن، حيث كانت تراقب مجموعة من شاشات المراقبة وتحاول استحضار نفس التعطش للانتقام الذي شعرت به في وقت سابق من هذا الصيف. لكن الماضي ظل يتطفل عليها. ولم يكن لديها وقت للماضي.

كان عليها التركيز، لا سيما الآن وغالينوف موجود. إنه شخص لا يرحم. لم تكن تعرف الكثير عنه بخلاف الشائعات المنتشرة في "الشبكة المظلمة" (Dark Web). لكن بعض الأمور تأكدت لها، وكان ذلك أكثر من كافٍ: كان غالينوف مرتبطًا بوالدها، تلميذًا له وحليفًا في

الاستخبارات العسكرية الروسية (G.R.U). غالبًا ما عمل متخفيًا مع حركات التمرد ومهربي الأسلحة. قيل إنه يمتلك ميزة فريدة: يندمج في كل مكان، ليس لبراعته في التكيف أو لموهبته التمثيلية، بل على العكس؛ لأنه كان دائمًا نفسه، وذلك ما يبعث على الثقة كما يبدو.

كان يتحدث بطلاقة، كما قيل، عددًا من اللغات، وكان متقبلًا ومثقفًا. وبسبب طوله وقامته وملامحه المتميزة، كان يهيمن على أي غرفة يدخلها، وكان ذلك أيضًا في صالحه. لم يصدق أحد أن الروس قد يستخدمون شخصًا بمثل هذا المظهر اللافت كجاسوس ومتسلل، وكان ولاؤه راسخًا لا يتزعزع. وجد أنه من السهل أن يكون وحشيًا بقدر سهولة أن يكون حنونًا وأبويًا.

أصبح صديقًا مقربًا لأشخاص لم يجد صعوبة لاحقًا في تعذيبهم. ولت أيامه كضابط مخابرات أو عميل سري منذ زمن بعيد، واليوم يكتفي بتعريف نفسه كرجل أعمال أو مترجم، وهي تعبيرات ملطفة لكونه رجل عصابات. ورغم تورطه العميق مع نقابة الجريمة المسماة "زفيزدا براتفا" (Zvezda Bratva) أو "عصابة النجم"، إلا أنه غالبًا ما عمل مع كاميلا، وكان مفيدًا للغاية لها. اسمه وحده كان أصلًا ثمينًا.

الشيء الوحيد الذي أقلق سالاندر حقًا هو شبكة اتصالات غالينوف وروابطه بالاستخبارات العسكرية الروسية. كانت لديه موارد ستطوقها عاجلًا أم آجلًا، لذا لم يعد بإمكانها تحمل التردد. وقفت بجوار نافذة غرفتها المطلة على نورمالمستورغ، عازمة على تنفيذ ما كانت تستعد له طوال اليوم: وضعهم تحت الضغط. ومحاولة إجبارهم على ارتكاب خطأ. لكن أولًا، ألقت نظرة سريعة على رسالة بلومكفيست:

<قلق عليكِ. أعرف أنكِ تكرهين قولي لذلك. لكن أعتقد أنه يجب عليكِ طلب الحماية من الشرطة. بوبلانسكي سيتولى الأمر. لقد تحدثت معه. بالمناسبة، أُدخل نيما ريتا إلى عيادة الجناح الجنوبي (South Wing) للطب النفسي تحت اسم مستعار. لدي شعور بأن الجيش كان طرفًا في هذا القرار.>

لم تجب. نسيت الرسالة في ثانية ووضعت سلاحها في حقيبة كتفها الرمادية. ثم سحبت قلنسوتها فوق رأسها، ووضعت نظارات شمسية وغادرت الغرفة، مستخدمة المصعد للنزول، وسارت بخطوات حازمة نحو الساحة.

بدت السماء وكأنها ستتلبد بالغيوم. كان هناك الكثير من الناس في الخارج، والمطاعم المفتوحة والمحلات التجارية مكتظة. انعطفت يمينًا نحو شارع سمالاندسغاتان، لتخرج إلى بيرغر يارلسغاتان، ثم نزلت إلى محطة أوسترمالمستورغ، حيث استقلت المترو (Tunnelbana) إلى سودرمالم.

***

كانت ريبيكا فورسيل تجلس بجوار سرير زوجها في مستشفى كارولينسكا عندما اتصل بلومكفيست مرة أخرى. كادت تجيب عندما قام يوهانس بحركة مفاجئة، وكأنه يمر بكابوس، فمسدت شعره وتركت هاتفها يرن. كان ثلاثة جنود يجلسون خارج الغرفة، ينظرون إليها عبر زجاج الباب.

كانت واعية تمامًا بأنها تحت المراقبة. تطفلوا على حاجتها للبقاء بجواره، واستاءت من ذلك. كيف يمكنهم معاملتهم بهذه الطريقة؟ حتى أنهم فتشوا والدة يوهانس. كانت فضيحة، والأسوأ كان كلاس

بيرغ، رئيس الاستخبارات العسكرية (Must)، وبالطبع أيضًا سفانتي ليندبيرغ، الذي ادعى التعاطف والحزن الشديد.

جاء ومعه الشوكولاتة والزهور والدموع في عينيه، وواساها وعانقها. لكنه لم يخدعها. كان يتصبب عرقًا بغزارة، وعيناه تتقلبان يمنة ويسرة. سألها مرتين على الأقل عما إذا كان يوهانس قد قال أي شيء في ساندون يجب عليه معرفته، وكل ما أرادت فعله هو الصراخ: "ما الذي تخفيه عني؟" لكنها التزمت الصمت. شكرته فقط على دعمه، ثم أخبرته أنها لا تستطيع استقبال الزوار وطلبت منه المغادرة. غادر على مضض، وكان ذلك من حسن الحظ لأنه بعد فترة وجيزة استعاد يوهانس وعيه، واعتذر لها. بدا اعتذاره صادقًا، وتحدثا بإيجاز عن أبنائهما وعن شعوره، ولكن عندما سألته: "لماذا يا يوهانس، لماذا؟" لم يعطِ أي إجابة.

ربما لم يكن قويًا بما يكفي. وربما أراد ببساطة الهروب من كل شيء. الآن هو نائم مرة أخرى، أو يغفو فقط. ومع ذلك، لم يبدُ عليه الاسترخاء إطلاقًا، فأمسكت بيده. حينها وصلت رسالة نصية من بلومكفيست. اعتذر عن إزعاجها لكنه قال إنهم بحاجة للتحدث، إما عبر خط مشفر أو وجهًا لوجه، في مكان خاص. لكنها لم تستطع، ليس الآن، ونظرت بيأس إلى زوجها الذي كان يتمتم في أحلامه.

كان فورسيل قد عاد إلى إيفرست. في عقله، كان يترنح متقدمًا وسط عاصفة ثلجية عاتية، البرد لا يُطاق، وبالكاد يستطيع التفكير. واصل السير بصعوبة وسماع صرير مخالبه الجليدية، والرعد في السماء والمساحات الشاسعة المفتوحة. تساءل كم من الوقت سيحتمل ذلك.

غالبًا ما كان واعيًا فقط بأنفاسه اللاهثة داخل قناع الأكسجين وبشكل ليندبيرغ غير الواضح بجواره، وأحيانًا حتى ذلك يغيب عنه.

في بعض الأحيان كان الظلام يحيط به، ربما لأنه في تلك اللحظات كان يمشي وعيناه مغلقتان، ولو كان هناك جرف لخطا نحوه وسقط دون حتى صرخة أو مبالاة. حينها بدت حتى التيارات النفاثة وكأنها تهدأ. كان يتجه نحو نسيان أسود وصامت، ومع ذلك، قبل فترة وجيزة، استعاد صورة والده واقفًا بجوار مسارات التزلج، يصرخ مشجعًا: هناك المزيد بداخلك يا بني. هناك المزيد بداخلك. ولفترة طويلة، حين كان الخوف يطبق مخالبه عليه، تشبث بتلك الكلمات. إذا بحثت عميقًا بما يكفي، ستجد دائمًا طاقة إضافية. لكن ليس بعد الآن. الآن لم يتبق شيء، ونظر لأسفل إلى الثلج الدوام حول حذائه وفكر أن هذه قد تكون اللحظة التي ينهار فيها أخيرًا، وحينها سمع الصرخات، العويل الذي تحمله الرياح، والذي بدا في البداية غير بشري، وكأن الجبل نفسه يصرخ من الألم.

قال يوهانس شيئًا الآن، بوضوح تام، لكن ريبيكا لم تعرف ما إذا كان في نومه أم أنه يتحدث إليها.

— "هل تسمعين؟"

لم تسمع سوى ما كانت تسمعه طوال اليوم؛ هدير الطريق السريع بالخارج، وطنين معدات المستشفى، والخطوات والأصوات في الممر، فلم تجب. اكتفت بمسح قطرة عرق من جبينه وسوت خصلة شعره. جعله ذلك يفتح عينيه وشعرت بموجة مفاجئة من الأمل والشوق. تحدث إلي، فكرت. أخبرني بما حدث.

نظر إليها بخوف كبير في عينيه لدرجة أفزعتها.

– "هل كنت تحلم؟" سألته.

– "كانت تلك الصرخات مرة أخرى."

– "صرخات؟"

– "على إيفرست."

في الماضي، كثيرًا ما ناقشا الأحداث التي جرت على الجبل. لكنها لم تتذكر أي حديث عن صرخات، وفكرت في تجاهل الأمر. استطاعت أن تدرك من نظرة عينيه أن أفكاره لم تكن صافية تمامًا.

– "لا أفهم حقًا ما تعنيه،" قالت.

– "اعتقدت أنها العاصفة، ألا تذكرين؟ الرياح التي بدت شبه بشرية."

– "لا يا حبيبي، لا أذكر. لم أكن معك هناك في الأعلى قط. كنت في مخيم القاعدة طوال الوقت، أنت تعلم ذلك."

– "لكن لا بد أنني أخبرتك."

هزت رأسها وأرادت تغيير الموضوع، وليس فقط لأنه بدا يهذي. انقبض قلبها، وكأنها استشعرت شيئًا مصيريًا بشأن تلك الصرخات.

– "ألا يجب أن ترتاح قليلًا؟" قالت.

– "ثم اعتقدت أنها كلاب برية."

– "ماذا؟"

– "كلاب برية على ارتفاع ثمانية آلاف متر. تخيلي ذلك."

– "يمكننا التحدث عن إيفرست لاحقًا،" قالت. "لكن أولًا، يا يوهانس، يجب أن تساعدني على الفهم. ما الذي جعلك تهرب بتلك الطريقة؟"

– "متى؟"

– "للتو، فيساندون. سبحت بعيدًا في الخليج."

رأت من نظرته أن الذكرى تعود إليه، وكان من الواضح فورًا أن ذلك لم يجعل الأمور أفضل. بدا أكثر راحة مع كلابه البرية على إيفرست.

– "من سحبني للخارج؟ هل كان إريك؟"

– "لم يكن أحد الحراس الشخصيين."

– "إذًا من كان؟"

تساءلت كيف سيتقبل الأمر.

– "كان ميكائيل بلومكفيست."

– "الكاتب الصحفي؟"

– "هو بعينه."

– "هذا غريب،" قال، وكان الأمر بالفعل غريبًا بشكل لا يصدق، لكن رد فعله لم يعكس ذلك. بدا صوته فاترًا وحزينًا، ونظر لأسفل إلى يديه بلامبالاة أخافتها. انتظرت أن يعود بسؤال. ولكن عندما جاء السؤال، لم يكن هناك فضول في صوته.

– "كيف حدث ذلك؟"

– "اتصل بي حين كنت في ذروة هستيريتي. قال إنه يعمل على مقال."

– "عن ماذا؟"

– "لن تصدقني أبدًا،" قالت، رغم أنها شكت في أنه سيصدقها تمامًا وبشكل مفرط.

***

نزلت سالاندر في محطة زينكنزدام وسارت على طول شارع رينغفاغن إلى برانكيركاغاتان، والذكريات تتدفق مرة أخرى. ربما لأنها عادت إلى الحي الذي عاشت فيه طفلة، أو لأن عقلها أصبح حيًا مرة أخرى وهي تعد لعملية جديدة.

نظرت إلى السماء. أصبحت مظلمة. سيبدأ المطر قريبًا على الأرجح، تمامًا كما في موسكو. الهواء ثقيل، وكأن عاصفة تختمر، وعلى مسافة رأت شابًا على الرصيف، منثنيًا على نفسه وكأنه يتقيأ. رأت سكارى في كل مكان، ربما كانت هناك حفلة ما. ربما كان يوم الرواتب، أو عطلة عامة.

انعطفت يسارًا صاعدة الدرج، وكلما اقتربت من منزل بلومكفيست من جهة تافاستغاتان، عاد تركيزها ببطء، مطلقًا وكاملًا، وسجلت كل تفصيل وشخص حولها. ومع ذلك... لم يكن هذا ما توقعت أن تجده. هل أخطأت؟ لم يكن هناك شيء مريب، مجرد المزيد من السكارى. لكن لا، انتظر، هناك عند التقاطع...

لم يكن سوى ظهر، ظهر عريض لرجل يرتدي سترة مضلعة (Corduroy). كان يحمل كتابًا في يده، والمجرمون لا يرتدون عادة سترات مضلعة أو يقرأون الكتب. كان طويل القامة وبدينًا قليلًا، وكان هناك شيء فيه أثار توترها، وقفته أو الطريقة التي رفع بها بصره، فمرت به دون أن تظهر اهتمامًا، مانحة إياه نظرة خاطفة للغاية. رأت فورًا أنها كانت محقة. السترة والكتاب لم يكونا سوى تنكر بائس، محاولة خرقاء للتظاهر بأنه أحد محبي الموضة (Hipster) من سودر، وأدركت أنها لا تعرف فقط ماهيته. بل تعرف من هو.

اسمه كوني أندرسون، ولم يمض وقت طويل منذ كان مجرد تابع، خادم ينفذ المهمات. لم يكن مفاجئًا أنه ليس شخصية رئيسية في النادي. لقد أُعطي مهمة قذرة: الوقوف وانتظار رجل ربما لن يظهر أبدًا. ومع ذلك عرفت سالاندر أنه ليس بريئًا رغم كل شيء. كان طوله يقارب المترين وهو محصل ديون عنيف، فسارت مطأطئة الرأس، وكأنها لم تره.

ثم التفتت ومسحت الجانب الآخر من الشارع. كان هناك شابان مخموران في العشرين من العمر يتجولان على مسافة قريبة، وأمامهما سيدة في الستينيات، تتسكع ببطء شديد، ولم يكن ذلك جيدًا. لكن سالاندر لم يكن لديها وقت للانتظار. بمجرد أن يلمحها كوني أندرسون، ستكون في ورطة، لذا واصلت بهدوء، مباشرة للأمام.

ثم انعطفت فجأة بحدة إلى اليمين واتجهت نحوه مباشرة، فرفع بصره وتحسس مسدسه بارتباك. لكن ذلك كان أقصى ما وصل إليه. ركلته بركبتها في الفخذ، وبينما انثنى جسده، نطحته برأسها مرتين. فقد توازنه، وفي تلك اللحظة سمعت السيدة تنادي:

– "هييه، ماذا تفعلين؟"

كان على سالاندر تجاهلها. لا وقت لطمأنة السيدات العجائز، وكانت شبه متأكدة من أنها لن تجرؤ على الاقتراب أكثر. علاوة على ذلك، يمكن للمرأة الاتصال بالشرطة كما تشاء. لن يصلوا في الوقت المناسب أبدًا، ليس الآن وقد انقضت سالاندر على أندرسون ليسقط مرتطمًا بالطريق. وبسرعة البرق جثت فوقه، خلعت نظارتها الشمسية وسحبت مسدسها من الحقيبة، ضاغطة فوهته على تفاحة آدم في رقبته. نظر إليها برعب.

– "سأقتلك،" قالت.

لم يعد يبدو قاسيًا جدًا الآن وتمتم بشيء ما بينما واصلت هي بأبرد نبرة لديها:

– "سأقتلك. سأقتلك وأقتل كل الآخرين في ناديك اللعين الحقير إذا مسستم شعرة من ميكائيل بلومكفيست. أنا من تريدون، لذا تعالوا إليّ، ولا أحد غيري. هل تسمع؟"

– "أسمعك،" قال.

– "أو في الواقع... أخبر ساندستروم أنني لا أهتم سواء مسستم بلومكفيست أم لا. سأنال منكم جميعًا على أية حال. حتى لا يتبقى منكم شيء سوى صديقاتكم وزوجاتكم المذعورات."

لم يأتِ رد من أندرسون، فضغطت فوهة مسدسها بقوة أكبر على حنجرته.

– "إذًا ماذا سيكون ردك؟"

– "سأخبره،" تمتم أندرسون.

– "ممتاز. وبالمناسبة... هناك امرأة تحدق بنا، لذا لن أرمي مسدسك بعيدًا أو أفعل أي حماقة أخرى. سأكتفي بركلك في رأسك، وإذا مددت يدك لمسدسك سأطلق النار عليك. لأن الوضع هو كالتالي كما ترى..."

فتشته بسرعة بيدها اليسرى وسحبت هاتفه المحمول من بنطاله الجينز، هاتف "آيفون" جديد بخاصية التعرف على الوجه.

– "... سأوصل رسالتي على أية حال. حتى لو حدث ومتّ أنت."

دفعت مسدسها للأعلى تحت ذقنه.

– "إذًا يا كوني، دعنا نرى ابتسامة عريضة منك الآن."

وجهت الهاتف نحوه وفتحت قفله، وفي لمح البصر نطحته برأسها مرة أخرى والتقطت صورة. ثم وضعت نظارتها الشمسية مرة أخرى واختفت نازلة نحو سلوسن وغاملا ستان، تتصفح قائمة جهات اتصال أندرسون. كانت هناك بضعة أسماء فاجأتها، ممثل مشهور، سياسيان وضابط في شرطة مكافحة المخدرات يفترض أنه فاسد. لكنها لم تكترث بهم.

استخرجت أسماء الأعضاء الآخرين في نادي سفافيلسيو وأرسلت صورتها لصديقهم أندرسون وهو يبدو مرعوبًا ومذهولًا. وبعد نسخ محتويات هاتفه كتبت:

<صديقكم الصغير لديه ما يخبركم به>

ثم ألقت هاتفه في خليج ريدارفجاردن.

-٢٤-

٢٧ أغسطس

لم يكن فورسيل يطمح لأكثر من الانكفاء على نفسه، واللوذ بكنف أحلامه وذكرياته؛ لكنَّ وقع اسم نيما ريتا الذي تجسَّد أمامه فجأة بوضوح حاد، ونبرة الغضب المكتوم في صوت زوجته، أعاداه قسرًا إلى أرض الواقع.

قالت بيكا:

– "كيف يظهر في السويد هكذا فجأة؟ لقد ظننتُه مات."

سألها:

– "مَن الذي جاء لزيارتي هنا؟"

أدرك أنها استاءت من محاولته تغيير مجرى الحديث.

قالت:

– "لقد أخبرتُك سلفًا."

– "لقد نسيت."

– "الأولاد بالطبع، ووالدتك؛ وهي تعتني بهم في الوقت الحالي."

– "وكيف استقبلوا كل ما حدث؟"

– "ماذا عساي أن أقول يا يوهانس؟ ماذا تتوقع مني أن أقول؟"

– "أنا آسف."

قالت:

– "شكرًا لك."

ثم حاولت تمالك شتات نفسها، لتعود بيكا القوية المتماسكة كما عهدها، لكنها لم تنجح في ذلك إلا جزئيًا. التفت فورسيل بنظره نحو الجنود المرابطين في الرواق، بينما كانت أفكار الهروب والتملص والتهديدات والخيارات والمخاطر ترفرف في ذهنه كطيور قلقة.

قال:

– "لا أستطيع الحديث عن نيما الآن."

– "كما تشاء."

أجبرت نفسها على رسم ابتسامة محبة، وراحت تمسح على شعره مرة أخرى، لكنه نفض يدها عنه بكتفه.

سألت:

– "إذن، عمَّ سنتحدث؟"

– "لا أدري."

قالت:

– "على الأقل، نجحتَ في أمر واحد."

– "وما هو؟"

– "انظر حولك.. انظر إلى كل هذه الزهور. لم نتمكن من استقبال إلا القليل منها. لقد استحال كل ذلك الكره حبًا."

– "أجد صعوبة في تصديق ذلك."

مدت إليه هاتفها المحمول قائلة:

– "تصفح الإنترنت وسترى بنفسك."

أشار بيده في حركة فاترة تدل على الرفض.

– "أراهن أنهم كانوا مشغولين بكتابة نعيي."

– "لا، بل هي أخبار طيبة.. حقًا."

سألها:

– "هل جاء أحد من جهاز Must؟"

– "جاء سفانتي، وكلاس، وستين سيجلر، وآخرون غيرهم، لذا أظن أن الإجابة هي نعم وألف نعم. لماذا تسأل؟"

لماذا يسأل؟

كان يعرف الإجابة جيدًا، فبالطبع زاروه، وقد قرأ الشك في عيني بيكا. تذكر ملمس تلك اليد وهي تقبض على شعره في أعماق الماء. وفجأة، داهمه شعور طاغٍ غير متوقع: أراد أن يتكلم، لكنه علم أن ذلك مستحيل.

كانت محادثتهما مراقبة دون أدنى شك، ففكر في الأمر مليًا، وازنًا الحجج المؤيدة والمعارضة مرة أخرى. تذكر إرادته المستميتة في الحياة وهو يغرق وسط التيارات.

قال:

– "هل معكِ ورقة وقلم؟"

– "ماذا؟ نعم، لابد أنني أملك قلمًا في مكان ما."

نبشت في حقيبة يدها وأخرجت قلم حبر جاف وكتلة صغيرة صفراء من أوراق الملاحظات اللاصقة وأعطتهما له.

كتب:

علينا الخروج من هنا.

قرأت ريبيكا ما كتبه، وألقت نظرة خائفة نحو الحراس عبر زجاج الباب. لحسن الحظ، بدا عليهم الملل والاستغراق في هواتفهم، فردت بخربشة متوترة:

الآن؟

أجابها:

الآن. افصلي الأجهزة عني واتركي هاتفك وحقيبتك، سنتظاهر بأننا ذاهبان إلى متجر المستشفى.

نتظاهر؟

سنغادر.

هل جننت؟

أريد إخباركِ بكل شيء.. ولا أستطيع فعل ذلك هنا.

تخبرني بماذا؟

بكل شيء.

كانا يكتبان بسرعة، يتناوبان القلم نفسه. والآن تردد يوهانس ونظر إليها بنفس تلك النظرة الحزينة التائهة، لكنها حملت أيضًا وميضًا مما افتقدته فيه طويلًا؛ روح المقاتل، وهذا جعلها تشعر بشيء يتجاوز مجرد الخوف.

لم تكن تنوي الهروب معه، وبالتأكيد لم تكن تنوي مغادرة المستشفى في ظل وجود كل هؤلاء الحراس والجنود، وجو الارتباك المحيط به. لكن سيكون من الرائع حقًا لو أراد التحدث، وسيفيده قليل من الحركة. كان نبضه أعلى من المعتاد ولكنه مستقر، وكان قوي البنية. سيتمكنان بالتأكيد من التسلل والعثور على ركن هادئ يتحدثان فيه دون أن يسمعهما أحد.

في الوقت نفسه، أدركت أنهما لن يجنيَا شيئًا لو فصلت المحاليل وأجهزة المستشفى وهربا، لذا كتبت بدلًا من ذلك:

سأتصل بالطاقم وأشرح لهم الأمر.

ضغطت على جرس الاستدعاء، بينما كتب هو:

سنجد مكانًا لا يزعجنا فيه أحد.

توقف عن هذا.. أرجوك توقف.

كتبت:

ممن تهرب؟

من رجال Must.

هل هو سفانتي؟

أومأ برأسه، أو هكذا خُيل إليها. أرادت أن تصرخ: "كنتُ أعلم"، وحين كتبت مرة أخرى كانت يدها ترتجف، وقلبها يخفق بشدة، وريقها قد جف.

هل فعل شيئًا؟

لم يجب ولم يبرق برأسه. اكتفى بالنظر عبر النافذة نحو الطريق السريع، فاعتبرت صمته تأكيدًا. كتبت:

عليك أن تبلغ عنه.

رمقها بنظرة إشفاق كانت تقول: أنتِ لا تفهمين شيئًا.

أو اذهب إلى الإعلام. ميكائيل بلومكفيست اتصل للتو.. إنه في صفك.

تمتم قائلًا:

– "صفي.."

ثم لوى وجهه في تعبير ممتعض، وتناول القلم وخربش سطرين غير مقروئين على الورقة، فحملقت بيكا في الكلمات.

كتبت:

لا أستطيع القراءة.

رغم أنها ربما استطاعت فهمها، فأوضح قائلًا:

لستُ متأكدًا أن هذا الصف هو الأنسب للوقوف فيه.

أثار ذلك فيها دافعًا غريزيًا جديدًا للحفاظ على الذات، وكأن يوهانس بتلك الكلمات ينأى بنفسه عنها. وكأنهما لم يعودا ذلك الزوجين المتلاحمين، ذلك الـ "نحن"، بل مجرد شخصين لم يعد يجمعهما مصير واحد بالضرورة. تساءلت في سرها إن كان عليها هي أن تهرب منه بدلًا من ذلك.

ألقى نظرة خاطفة على الحراس خارج الغرفة وحاول وضع خطة. لكن في تلك اللحظة، سمعت وقع أقدام في الرواق، ودخل الطبيب — ذو اللحية الحمراء — وسأل عما يريدان. فقالت — وهو كل ما خطر ببالها — إن يوهانس يشعر بتحسن طفيف الآن، وبأنه قوي بما يكفي للقيام بنزهة قصيرة.

قالت بصوت لم يشبه صوتها، لكنه حمل نبرة سلطوية مفاجئة:

— "سنذهب إلى المتجر بالأسفل لشراء صحيفة وكتاب."

***

كانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف مساءً، وكان ينبغي لـ بوبلانسكي أن يغادر إلى منزله منذ وقت طويل. لكنه كان لا يزال في مكتبه، يحدق في وجه شاب يفيض بنوع من المثالية الغاضبة. أدرك أن البعض قد يجد هذا السلوك مزعجًا، لكنه في الواقع أحب هذا الموقف، وربما كان هو نفسه هكذا في مثل سنها؛ ربما شعر حينها أن الجيل الأكبر لا يأخذ الحياة بالجدية التي تستحقها. منح الشابة ابتسامة دافئة.

ردت عليه بابتسامة متصلبة، فخمن أن روح الدعابة ليست من مواطن قوتها، لكن حماسها سيخدم العالم بلا شك. كانت في الخامسة

والعشرين من عمرها وتدعى إيلسا ساندبرج. قصت شعرها على طراز "بوب" وترتدي نظارات مستديرة، وتعمل طبيبة متدربة في مستشفى سانت جوران.

قال:

– "شكرًا لكِ على منحنا من وقتكِ."

قالت:

– "لا شكر على واجب."

كانت موديغ هي من عثرت على هذه المرأة، بعد تلقيها بلاغًا يفيد بأن "الشيربا" قد وضع "صحيفة حائط" عند موقف حافلات محطة سودرا. ومن ثم كلفت زملاءها بالتحدث مع كل من يستقل الحافلة من هناك بانتظام.

قال:

– "أفهم أنكِ لا تتذكرين الكثير، ولكن كل تفصيل – مهما كان صغيرًا – سيكون ذا قيمة كبيرة لنا."

– "كانت القراءة صعبة. فالمساحات بين السطور ضيقة للغاية، وبدت في مجملها كأنها نتاج ضلالات ذهانية."

– "كل المؤشرات تدل على أنها كانت كذلك بالفعل. ولكن سأكون ممتنًا لو حاولتِ التذكر."

– "لقد كانت تفيض بمشاعر الذنب."

يا ابنتي العزيزة، أرجوكِ لا تحاولي تفسير الأمر لي.

سألها:

– "ماذا كان مكتوبًا فيها؟"

– "أنه صعد الجبل. ʻمرة أخرىʼ كما كتب. ولكنه لم يستطع الرؤية. كانت هناك عاصفة ثلجية وكان يتألم ويشعر بالبرد القارس. ظن أنه قد ضل الطريق، لكنه سمع صرخات أرشدته."

– "أي نوع من الصرخات؟"

– "صرخات الموتى كما أظن."

– "وماذا كان يعني ذلك؟"

– "كان من الصعب الفهم، لكنه كتب أن هناك أرواحًا كانت ترافقه طوال الوقت، روحين كما أعتقد، واحدة خيرة والأخرى شريرة، تشبه قليلًا..."

ضحكت بخفوت، وسُرَّ بوبلانسكي لأن إيلسا ساندبرج كشفت فجأة عن جانب إنساني فيها.

– "مثل القبطان هادوك في قصص تنتن، هل تعرفه؟ لديه شيطان وملاك يحلقان فوق كتفيه عندما يتوق لتناول شراب ما."

قال:

– "بالضبط. هذا استعارة رائعة."

– "لم تبدُ لي كاستعارة. انتابني انطباع بأن الأمر كان حقيقيًا بالنسبة له."

– "قصدتُ فقط أنها بدت مألوفة. أصوات خير وشر تهمس لي عندما تغويني فكرة ما."

بدا عليه الخجل، ثم سأل:

– "ماذا قالت الروح الشريرة؟"

– "أن يتركها هناك في الأعلى."

– "يترك مَن؟"

– "نعم، أظن أن هذا ما كتبه. كانت أنثى، سيدة، أو 'مامساهب' أو 'مامـ...' شيء ما تم تركه على الجبل. ثم كان هناك شيء عن 'وادي قوس قزح'، حيث يمد الموتى أيديهم ويتوسلون الطعام. كان الأمر حقًا في غاية الغرابة. ثم ذكر بوضوح ظهور يوهانس فورسيل. غريب جدًا. هذا كل ما وصلتُ إليه صراحة؛ فقد وصلت الحافلة، وكان هناك رجل يتشاجر مع السائق، وانصرف ذهني لأمور أخرى. على أية حال، كنتُ قد خمنتُ حينها أن الرجل يعاني من فصام بارانويدي؛ فقد كتب أنه لم يتوقف عن سماع تلك الصرخات في رأسه أبدًا."

– "ربما لا تحتاجين لأن تكوني مصابة بالفصام لتشعري بذلك."

– "ماذا تقصد؟"

ماذا أحاول قوله الآن؟

قال:

– "أقصد.. أنني أعرف هذا الشعور أيضًا. هناك أشياء معينة لا تتخلص منها أبدًا. تظل تنخر وتصخب بداخلك، عامًا بعد عام."

قالت بتردد أكبر هذه المرة:

– "نعم، هذا صحيح."

– "هل يمكنكِ الانتظار لحظة بينما أقوم ببحث سريع؟"

أومأت إيلسا ساندبرج برأسها، فسجل بوبلانسكي دخوله إلى حاسوبه وكتب ثلاث كلمات في محرك البحث Google، ثم أدار الشاشة نحوها.

– "هل ترين هذا؟"

قالت:

– "هذا مروع."

– "أليس كذلك؟ إنه وادي قوس قزح على جبل إيفرست. لم أكن أعرف شيئًا عن هذا العالم من قبل. لكنني كنتُ أقرأ عنه خلال الأيام القليلة الماضية، وتعرفتُ عليه بمجرد ذكركِ له. وادي قوس قزح هو مجرد تعبير عامي بالطبع، لكنه يتردد كثيرًا، ومن السهل فهم السبب. ألقي نظرة."

أشار إلى الشاشة وتساءل إن كان يتصرف بفظاظة غير مبررة، لكنه أرادها أن تفهم مدى خطورة الأمر. أظهرت الصور المتلاحقة متسلقين أمواتًا في الثلوج على ارتفاع يتجاوز ثمانية آلاف متر، ورغم أن الكثيرين منهم رقدوا هناك لسنوات، وربما لعقود، إلا أن أجسادهم لا تزال تبدو قوية ومفتولة العضلات؛ لقد جمدها الزمن. كان الجميع يرتدون ملابس زاهية الألوان – الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق – وتناثرت حولهم أسطوانات الأكسجين، وبقايا الخيام أو أعلام الصلاة البوذية الملونة. بدا المشهد حقًا كلوحة قوس قزح، شهادة مروعة على الحماقة البشرية.

قال:

– "كما ترين، الرجل الذي كتب صحيفة الحائط كان يعمل يومًا حمالًا ودليلًا على جبل إيفرست."

– "حقًا؟"

– "كان من 'الشيربا'، وربما لم يكن ينبغي له تسميته بذلك. 'وادي قوس قزح' هو اختراع غربي، نوع من دعابة المشانق السمجة. لكن يبدو أنه علق بالأذهان على أية حال، واختلط بتمثيلاته الدينية للأرواح والآلهة. حتى الآن، تسلق أكثر من أربعة آلاف شخص الجبل، ومات منهم ثلاثمائة وثلاثون هناك. كان من المستحيل إنزال جميع الجثث،

وأستطيع أن أفهم تمامًا لو شعر هذا الرجل، الذي تسلق الجبل إحدى عشرة مرة، بأن الموتى يخاطبونه."

بدأت قائلة:

– "ولكن——"

قاطعها قائلًا:

– "هناك المزيد. الحياة هناك مروعة، والمخاطر جسيمة. يمكنكِ أن تصابي بـ H.A.C.E مثلًا، وهي وذمة الدماغ الناتجة عن الارتفاعات العالية."

– "يتورم الدماغ. أعرف ذلك."

– "بالضبط. أنتِ أدرى مني بهذا. يتورم الدماغ، ويصبح التفكير المنطقي والكلام مشكلة. تصبح عرضة لارتكاب أخطاء فادحة، وغالبًا ما تصاب بهلوسات وتفقد الاتصال بالواقع. الكثير من الناس العقلاء، مثلي ومثلكِ – حسنًا، هم بالتأكيد أكثر لياقة وتهورًا مني – رأوا أرواحًا أو شعروا بوجود غامض هناك. هذا الرجل كان يتسلق دائمًا دون أكسجين، وهذا يستنزف قوتك النفسية والجسدية. خلال هذا الحدث الدرامي الذي حاول وصفه، كان قد عمل بجدية لا تصدق وصعد ونزل الجبل وأنقذ الكثير من الناس. لابد أنه كان منهكًا تمامًا، مجهدًا لدرجة تفوق الخيال، وليس من الغريب أبدًا أنه رأى ملائكة وشياطين، مثل القبطان هادوك، ليس غريبًا على الإطلاق."

قالت إيلسا ساندبرج بنبرة اعتذار:

– "أنا آسفة، لم أقصد التقليل من شأنه."

قال بوبلانسكي:

– "لم تفعلي، وأنا متأكد أنكِ على حق. كان الرجل مريضًا جدًا، ببساطة كان مصابًا بالفصام. ولكن ربما لا يزال لديه شيء مهم يخبرنا به، لذا أسألكِ للمرة الأخيرة: هل هناك أي شيء آخر تتذكرينه؟"

– "لا شيء في الواقع، أنا آسفة."

– "أي شيء آخر عما كتبه عن فورسيل؟"

– "حسنًا، ربما."

– "ماذا؟"

– "لقد قلتَ إن الرجل أنقذ أشخاصًا، أليس كذلك؟ أعتقد أنه كتب أن فورسيل لم يكن يريد أن يتم إنقاذه."

– "وماذا عسى أن يعني ذلك؟"

– "لا أدري، لقد خطر ببالي الآن فقط. لكنني لست متأكدة تمامًا من ذلك أيضًا. فقد وصلت الحافلة، وفي اليوم التالي اختفت الصحيفة."

بعد ذلك، عندما غادرت المرأة، بقي بوبلانسكي في مكتبه يراوده شعور غريب بأنه مضطر لتفسير حلم. أمضى وقتًا طويلاً يحدق في صور جثة كلارا إنجلمان، التي انتزعها التيار النفاث من فيكتور غرانكين في مكان مرتفع على الجبل، والتي صورتها بعثة أمريكية بعد عام من ذلك.

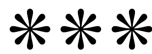
كانت كلارا مستلقية على ظهرها وذراعاها متجمدتان في وضعية تضرع، وكأنها لا تزال تمد يدها نحو غرانكين، أو ربما – كما فكر – كطفل يريد أن تحمله أمه.

ماذا حدث هناك في الأعلى؟ ربما لم يحدث سوى ما تم وصفه مئات المرات. لكن لا يمكن للمرء أن يجزم. فطبقات جديدة من القصة كانت تظهر باستمرار. يبدو الآن، على سبيل المثال، أن هناك

صلة عسكرية ما بـ "الشيربا"، وهو ما مُنع الأطباء في الجناح الجنوبي من التحدث عنه. وقد حاول بوبلانسكي الوصول إلى كلاس بيرج في جهاز Must طوال فترة الظهيرة والمساء، آملًا في متابعة ذلك الخيط.

وعد بيرج الشرطة بتقديم تقرير كامل في صباح اليوم التالي، لكنه استدرك قائلاً إن لديه هو الآخر بعض الأسئلة التي لا تزال بلا إجابات. لم يرق هذا الكلام لـ بوبلانسكي؛ فهو يكره الاضطرار للاعتماد على أجهزة الاستخبارات. ليس لأنه يكترث للوجاهة أو المكانة، بل لأنه يعلم أن ذلك سيؤثر سلبًا على تحقيق الشرطة. كان مصممًا على استعادة زمام المبادرة.

أغلق صور كلارا إنجلمان على حاسوبه وحاول مرة أخرى الاتصال بوكيل الوزارة ليندبرغ، لكن ليندبرغ لم يرد مرة أخرى. نهض بوبلانسكي وقرر القيام بنزهة، ليرى إن كان ذلك سيساعده في تصفية ذهنه.



دخل ليندبرغ من مدخل المستشفى. كان قد زاره بالفعل في ذلك اليوم ولم تشعره ريبيكا بالترحيب، لذا لم يكن هناك سبب فعلي لعودته. ولكن بما أنه يعلم الآن أن يوهانس في وعيه، كان عليه التحدث إليه وقول.. شيء ما.. لم يكن متأكدًا تمامًا مما سيقوله، سوى أنه يجب أن يجعله يصمت، مهما كلف الأمر. أغلق هاتفه المحمول لأنه لا يريد أن يجعل الفوضى أسوأ مما هي عليه.

لم يكن لديه أي نية على الإطلاق للتحدث مع ميكائيل بلومكفيست، الذي كان يحاول الوصول إليه، ولا حتى مع المفتش

الأول بوبلانسكي، الذي اتصل برقمه للتو للمرة الثالثة. يجب أن يحافظ على برودة أعصابه.

في حقيبته، كانت هناك حزمة من الأوراق السرية حول حملة التضليل الروسية. لم تكن ذات أهمية خاصة، على الأقل مقارنة بكل شيء آخر، لكنها ستمنحه ذريعة لمحادثة خاصة مع يوهانس، وكان عليه التأكد من ألا يراه أحد. لا أحد على الإطلاق. يجب أن يكون قويًا كما هو دائمًا، وسينجلي كل هذا الغبار؛ هكذا حدث نفسه.

ما هذه الرائحة؟ ربما هي رائحة الأمونيا، أو المعقمات، أو المستشفى؟ تطلع حوله في الردهة، خائفًا من أن يكون صائدو المشاهير "الباباراتزي" يتربصون هناك، خائفًا من أن يظهر بلومكفيست فجأة، وهو الذي يعرف أسراره المظلمة. لكنه لم يرَ سوى المرضى وعائلاتهم وطاقم المستشفى بمعاطفهم البيضاء. مر من أمامه رجل شاحب الوجه بدا وكأنه يحتضر، ممددًا على نقالة متحركة. لم يلحظه ليندبرغ تقريبًا.

نظر نحو الأرض، محاولًا عزل نفسه عن العالم من حوله. ومع ذلك، لمح شيئًا ما بطرف عينه والتفت ليرى ظهر امرأة طويلة ونحيفة ترتدي سترة رمادية بالقرب من الصراف الآلي بجانب الصيدلية.

أليست هذه بيكا؟ بالتأكيد كانت ريبيكا. تعرف على وقفتها، والطريقة التي تنحني بها للأمام. هل يذهب إليها ويقول بضع كلمات؟ لا، لا، هكذا فكر. كانت هذه فرصة سانحة لاختطاف بضع كلمات مع يوهانس على انفراد، دون كل ذلك التعقيد المتعلق بالمعلومات السرية، فاتجه نحو المصاعد. ألقى نظرة سريعة إلى الخلف، فقد انتابه انطباع بأنها لم تكن وحدها، لكنها كانت قد اختفت.

هل أخطأ الظن؟ ربما، وكان على وشك دخول المصعد عندما لاحظ العمود الضخم بجوار الصراف الآلي. من المؤكد أنها لا تختبئ مني؟ كم سيكون ذلك جنونيًا! لم يستطع منع نفسه من الشعور بالقلق وبدأ يسير نحو العمود، بتردد في البداية، ثم بسرعة أكبر. كان هناك بالفعل شيء يبرز، وبدا وكأنه سترة ريبيكا الرمادية.

فكر فيما يجب أن يقوله لها، بل إنه شعر بالغضب – يا له من تصرف سخيف أن تحاول الاختباء – عندما تعثر فجأة وسقط. وقبل أن يتسنى له إدراك ما حدث، استشعر حركة قريبة وسمع وقع أقدام تركض مبتعدة. شتم في سره، ثم نهض على قدميه وأسرع خلفهم.

III

خدمة سيدين

٢٧ أغسطس – ٩ سبتمبر

العملاء السريون، والعملاء المزدوجون، والجواسيس؛ قد تكون مهمتهم منذ البداية الاندساسفي صفوف العدو ونسج سواتر من التمويه والتضليل. وكثيرًا ما تتبدل ولاءاتهم السياسية، أو يرضخون لسطوة التهديد أو بريق الإغراءات.

وفي بعض الحالات، لا يكون ولاؤهم النهائي جليًا تمامًا. بل إنهم أحياناً، هم أنفسهم، لا يدركون أين يقفون حقًا.

-٢٥-

٢٧ أغسطس

لم تأكل كاترين لينداس شيئًا بعد، اكتفت بارتشاف بعض الشاي وقراءة المزيد عن فورسيل وبعثة إيفرست. ومرارًا وتكرارًا، عاد ذهنها إلى لقائها بالمتسول في ماريتورغيت، وكأنه لغز يتحتم عليها حله. في كل مرة، بدت صرخاته أكثر يأسًا وإلحاحًا.

تذكرت أشياء أخرى أيضًا، ذكريات مؤلمة، نهاية رحلة طفولتها إلى الهند ونيبال عندما ساءت الأمور وتدهورت، وفي النهاية غادروا كاتماندو إلى خومبو. لم يقطعوا مسافة طويلة. أصبحت أعراض انسحاب المخدرات لدى والدها شديدة للغاية. لكنهم تمكنوا من تكوين صداقات بين السكان المحليين هناك، وبعد استعادة رسالة بلومكفيست النصية عدة مرات في ذهنها، بدأت تتساءل عما إذا كانت قد تعرفت على المتسول من وادي خومبو بقدر ما تعرفت عليه من فريك ستريت. أرسلت لـ بلومكفيست سؤالًا آخر، رغم أنه لم يجب على سؤالها الأول:

<هل كان المتسول من الشيربا؟>

جاء الرد فورًا:

<لا ينبغي أن أتحدث إليكِ. أنتِ مع المنافسين>

<حسنًا، رسالتك النصية الأخيرة كانت كاشفة للغاية> كتبت.

<أنا أحمق>

<وأنا العدو>

<بالضبط. يجب أن تركزي على تمزيقي في افتتاحياتك>

<أنا أشحذ سيفي>

<أفتقدكِ> كتب.

توقف عن ذلك، فكرت. توقف. ثم، على مضض، ابتسمت. أخيرًا. لكنها لن تنجرف وراء هذا، بالتأكيد لا. بدلًا من ذلك، ذهبت إلى المطبخ لترتيبه، وشغلت موسيقى إيميلو هاريس بصوت عالٍ جداً لدرجة أن قطتها ركضت إلى غرفة النوم. عندما عادت إلى غرفة الجلوس والتقطت هاتفها، رأت رسالة أخرى من بلومكفيست.

<لنلتقِ>

مستحيل، فكرت. مستحيل.

<أين؟> كتبت.

<لنتابع هذا على "سيغنال">

انتقلا إلى "سيغنال".

<ما رأيك في فندق ليدمار؟> اقترح.

<حسنًا> أجابت. ليس "يا لها من فكرة رائعة، مكان جميل!"، لا شيء من هذا القبيل، فقط "حسنًا".

ثم بدلت ملابسها وطلبت من الجار الاعتناء بالقطة، وبدأت في حزم حقيبتها.

***

كانت كاميلا تقف في الشرفة وتشعر بقطرات المطر تتساقط على كتفيها ويديها. ومع ذلك، كانت سعيدة بوجودها في الخارج. على طول

ستراندفاغن وفوق القوارب هناك في الخليج، كانت تسري حياة كان من حقها أن تعيشها، لكنها الآن تذكرها فقط بكم سُرق منها. لا يمكن لهذا أن يستمر، فكرت. يجب أن ينتهي.

أغمضت عينيها وأمالت رأسها للخلف، وتساقطت قطرات المطر على جبينها وشفتيها، وبينما كانت تحاول الهروب إلى أحلامها، كانت تُسحب باستمرار إلى لونداغاتان، وأجنيتا تصرخ فيها لتغادر، وليزبيث تنغلق على نفسها كالمحارة وكأنها تريد قتلهم جميعًا بصمتها، بغضبها الكئيب.

شعرت بيد على كتفها. كان غالينوف قد انضم إليها في الشرفة، فالتفتت لتنظر إليه، إلى ابتسامته الرقيقة ووجهه الجميل. جذبها إليه.

— "فتاتي،" قال. "كيف حالك؟"

— "أنا بخير."

— "لا أصدقك."

نظرت لأسفل إلى الرصيف البحري.

— "لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام،" قال.

بحثت في عينيه.

— "هل حدث شيء؟"

— "لدينا زوار."

— "من؟"

— "قطاع الطرق الساحرون خاصتك."

أومأت برأسها وعادت إلى داخل الشقة لتري ساندستروم ومخلوقًا بائسًا آخر يرتدي الجينز وسترة بنية رخيصة. بدا المخلوق وكأنه تعرض

لضرب مبرح. كان طوله مترين على الأقل ومنتفخًا بشكل مقزز، واتضح أن اسمه كوني.

– "كوني لديه ما يخبرنا به،" قال ساندستروم.

– "إذًا، ليتفضل بسرد ما لديه؟"

– "كنت أراقب شقة بلومكفيست،" قال أندرسون.

– "من الواضح أن ذلك سار بشكل جيد."

– "لقد هوجم،" قال ساندستروم.

نظرت إلى شفته المشقوقة.

– "هوجم، ها؟"

– "من قِبل سالاندر."

قالت بالروسية:

– "إيفان، كوني هذا أطول منك، أليس كذلك؟"

– "إنه أثقل وزنًا بالتأكيد،" قال غالينوف. "وليس أنيقًا بنفس القدر."

تابعت بالسويدية.

– "أختي طولها مائة واثنان وخمسون سنتيمترًا ونحيلة كالقصبة، وهي... أبرحتك ضربًا."

– "أخذتني على حين غرة."

– "حصلت على هاتفه المحمول،" قال ساندستروم، "وأرسلت رسالة نصية إلينا جميعًا في النادي."

– "ماذا قالت؟"

– "أننا يجب أن نستمع لـ كوني."

– "أنا أستمع يا كوني،" قالت كاميلا.

– "قالت سالاندر إنها ستلاحقنا جميعًا إذا لم نتوقف عن تتبع ميكائيل بلومكفيست."

– "ثم قالت شيئًا آخر،" أضاف ساندستروم.

– "وهو...؟"

– "أنها ستلاحقنا على أية حال وتدمر عملنا بالكامل."

– "عظيم،" قالت، وتمكنت بطريقة ما من الحفاظ على هدوئها.

– "ثم..." قال ساندستروم. "حسنًا، كان هناك الكثير من الأشياء الحساسة على ذلك الهاتف الذي سرقته. نحن قلقون جدًا في الواقع."

– "ويجب أن تكونوا كذلك،" قالت. "لكن ليس بشأن ليزبيث، صحيح يا إيفان؟"

خارجيًا، بدت كاميلا ساخرة ومهددة. لكن من الداخل كانت تنهار. في النهاية طلبت من غالينوف تولي الحديث وذهبت إلى غرفتها، وهناك تركت الماضي يغمرها مثل مياه سوداء قذرة.

***

لم تصدق ريبيكا فورسيل ما فعلته. سمعت يوهانس يهمس، "لا يجب أن يراني،" وبدافع لن تفهمه تمامًا أبدًا، عرقلت ليندبيرغ. ثم ركضا عبر الأبواب الدوارة إلى سيارات الأجرة المنتظرة تحت المطر.

اختار فورسيل واحدة بدت وكأنها لا تنتمي لأي شركة سيارات أجرة.

– "انطلق،" قال، وعندها التفت إليه السائق، شاب أسمر البشرة بشعر مجعد وعينين ناعستين. لم يبدِ أي دهشة لرؤية رجل لا يزال بملابس النوم.

– "إلى أين؟" سأل.

لم ينطق فورسيل بكلمة.

— "فقط اعبر جسر سولنا واتجه نحو المدينة،" قالت ريبيكا، مفكرة أنهما يمكنهما اتخاذ القرار من هناك. لكنها لاحظت أيضًا — وجاء ذلك كارتياح غير متوقع — أن السائق لم يبدِ أي علامة على التعرف عليهما. ربما كان هذا ما أمله يوهانس عندما اختار هذه السيارة — شخصًا حياته بعيدة جدًا عن المؤسسة السويدية لدرجة أنه لا يعرف كيف يبدو الرجل الأكثر كراهية في السويد. لكن هذا لن يأخذهما بعيدًا جدًا، وبينما كانا ينعطفان مرورًا بمقبرة سولنا، حاولت تقييم التأثير المحتمل لما فعلاه.

أقنعت نفسها بأن الأمر لا يحتاج أن يكون دراميًا للغاية. زوجها يمر بأزمة، وهي طبيبة وكان يمكنها تمامًا التوصل لاستنتاج بأنه يحتاج لبعض الهدوء والسكينة بعيدًا عن المستشفى الصاخب. عليها فقط إبلاغهم، قبل أن يندلع الذعر.

همست:

— "يجب أن تخبرني بما يجري. لا أستطيع التعامل مع هذا النوع من الجنون."

— "هل تذكرين أستاذ العلاقات الدولية الذي قابلناه في السفارة الفرنسية؟" قال.

— "يانيك كوالسكي؟"

أومأ برأسه ونظرت إليه في حيرة. كوالسكي لم يكن جزءًا من حياتهما. لم تكن لتتذكر اسمه لولا أنها قرأت له مقالًا مؤخرًا حول حدود حرية التعبير.

– "هذا صحيح،" أجاب. "يعيش في دالاغاتان، بالأعلى قرب أودنبلان. يمكننا قضاء الليلة هناك."

– "لماذا بحق السماء...؟ نحن لا نعرفه حتى."

– "أنا أعرفه،" قال، ولم تكن سعيدة بذلك أيضًا.

تذكرت تحيتهما لبعضهما البعض كغرباء تقريبًا في حفل استقبال السفارة، وتبادلهما حديثًا مهذبًا. هل كانا يتظاهران فقط، هل كان كل ذلك تمثيلًا؟

– "سأقضي الليلة في أي مكان تقوله،" قالت بنعومة، "طالما تعدني بأن تخبرني بكل شيء."

نظر إليها.

– "سأفعل. بعد ذلك يعود لكِ القرار فيما تريدين فعله،" قال.

– "ماذا تعني، القرار؟"

– "إذا كنتِ لا تزالين تريدينني."

لم تجب. نظرت أمامها عبر جسر سولنا وقالت، "دالاغاتان. نود الذهاب إلى دالاغاتان،" بينما فكرت في الحدود، ربما حتى في حدود حرية التعبير، ولكن أولًا وقبل كل شيء في حدود الحب.

ما الذي يتطلبه الأمر لتتركه؟

ما الذي كان عليه فعله لتتوقف عن حبه؟ هل يوجد شيء كهذا أصلًا؟

***

انطلقت لينداس على طول غوتغاتان، وبدأت تشعر أن الحياة قد تكون، رغم كل شيء، تستحق العيش. لكن يا إلهي، المطر. كان ينهمر بغزارة وأسرعت مع حقيبتها. كانت بالطبع قد حزمت الكثير من

الأغراض، وكأنها ستغيب لأسابيع. لكن مرة أخرى، لم تكن لديها فكرة عن المدة التي سيقيمان فيها بالفندق، عرفت فقط أن بلومكفيست لا يمكنه العودة لشقته ولديه الكثير من العمل للقيام به، لسوء الحظ. ولكن كذلك هي.

كانت الساعة التاسعة والنصف مساءً وأدركت كم هي جائعة. لم تأكل شيئًا يذكر منذ الإفطار. مرت بدار سينما فيكتوريا ومسرح غوتا ليون، ورغم أن مزاجها كان أفضل بالتأكيد، إلا أن ذلك الشعور غير المريح لم يفارقها. نظرت عبر ساحة ميدبورغاربلاتسن.

طابور طويل من الشباب يقفون تحت المطر للحصول على تذاكر لحفل موسيقي ما، وكانت على وشك الإسراع نزولًا إلى المترو حين انتفضت فجأة والتفتت، ناظرة يمينًا ويسارًا. لم ترَ شيئًا غير عادي؛ لا ظل من الماضي، لا شيء، فأسرعت نزولًا على الدرج بحقيبتها، عبر بوابات التذاكر وإلى الرصيف، محاولة طمأنة نفسها أن كل شيء على ما يرام.

لم تبدأ بالقلق مرة أخرى إلا بعد نزولها من المترو في المحطة المركزية وسيرها السريع تحت المطر نزولًا في هامنگاتان، مرورًا بحديقة كونغسترادغاردن وخروجًا إلى بلاسيهولمن، فأسرعت خطاها. كانت تركض تقريبًا وتلهث عندما اقتحمت بهو الفندق وصعدت الدرج المنحني إلى الاستقبال. منحتها شابة، لا يتجاوز عمرها العشرين عامًا تقريبًا، ابتسامة ترحيب وردت بـ "مساء الخير"، لكنها سمعت حينها خطوات خلفها وذلك أربكها تمامًا. ما الاسم الذي حجز به ميكائيل الغرفة؟ كانت تعرف أنه يبدأ بحرف B... بومان، برودين، برودين... برومبيرغ؟

– "لدينا حجز باسم..." ثم ترددت.

سيتعين عليها التحقق من هاتفها، وسيبدو ذلك غريبًا، كما فكرت – وبالتأكيد مبتذلًا. عندما رأت أنه بالفعل بومان، قالت الاسم بصوت خافت لدرجة أن موظفة الاستقبال لم تسمعه واضطرت لتكراره، بصوت أعلى هذه المرة. في تلك النقطة تذكرت الخطوات خلفها على الدرج والتفتت لتنظر. لكن لم يكن هناك أحد. رجل بشعر طويل يرتدي سترة جينز كان يغادر الفندق للتو، فتساءلت عن ذلك وهي تنهي إجراءات الدخول. هل صعد الرجل إلى هناك لفترة وجيزة فقط؟ كان ذلك غريبًا، بالتأكيد. ربما بدا الفندق باهظ الثمن. طردت الأمر من ذهنها.

أو حاولت، على الأقل. أخذت بطاقة مفتاحها، وصعدت بالمصعد وفتحت باب الغرفة، حيث تأملت السرير المزدوج بملاءاته الزرقاء الشاحبة وتساءلت للحظة عما يجب فعله تالياً. قررت أخذ حمام، وتناولت زجاجة نبيذ أحمر صغيرة من الثلاجة وطلبت هامبرغر وبطاطس من خدمة الغرف. لكن لا شيء ساعد. لا الطعام، ولا الكحول ولا الحمام. لم يهدأ نبضها، وكانت تتساءل الآن ما الذي يؤخر بلومكفيست.

***

لم يكن يانيك كوالسكي يعيش في دالاغاتان حقًا. لكنهما دخلا من هناك، وبعد عبور فناء داخلي، خرجا في فاستراسغاتان، حيث تسللا عبر مدخل شارع آخر واستقلا المصعد للطابق الخامس. كانت شقته كبيرة، ليست بغيضة لكنها فوضوية، منزل عازب، مثقف من الطراز القديم لا

يفتقر للمال ولا للذوق لكنه لم يعد يكترث لإبقاء المكان مرتبًا وخاليًا من الفوضى.

كان هناك الكثير من كل شيء — الكثير من الأوعية والتحف واللوحات، والكثير من الكتب والمجلدات. كانت مبعثرة في كل مكان. كوالسكي نفسه كان غير حليق وأشعث، بوهيميًا، خاصة بدون البدلة التي كان يرتديها في السفارة. لا بد أنه يناهز الخامسة والسبعين وكان يرتدي سترة كشمير رقيقة بها بضعة ثقوب عث.

— "أصدقائي الأعزاء. لقد كنت قلقًا جدًا عليكما،" قال، وعانق فورسيل وقبّل ريبيكا على وجنتيها.

لم يكن هناك شك في أن الاثنين يعرفان بعضهما جيدًا. أعد كوالسكي سروالًا مضلعًا وقميصًا وسترة بياقة (V)، وعندما غير فورسيل ملابسه انضم إلى كوالسكي في المطبخ، حيث هماسا معًا لمدة عشرين دقيقة قبل الخروج بصينية شاي، وطبق من السندويشات الإنجليزية وزجاجة نبيذ أبيض. كلاهما نظر إليها بوجوه واجمة.

— "عزيزتي ريبيكا،" قال كوالسكي. "طلب مني زوجك أن أكون صريحًا تمامًا وقد وافقت، وإن كان على مضض. يجب أن أعترف أنني لست جيدًا جدًا في هذا النوع من الأمور. لكنني سأبذل قصارى جهدي للتحدث بصراحة وأطلب عفوكِ مسبقًا، إذا فشلت في الوفاء بالتزامي."

لم تعجبها نبرته؛ بدت اعتذارية ومتكلفة في آن واحد. ربما كان متوترًا. بالتأكيد كانت يده ترتجف وهو يصب الشاي.

— "يجب أن أبدأ بإخبارك بما أفعله حقًا،" قال. "بفضلي التقى كلاكما."

نظرت إليه بدهشة.

– "ماذا تعني؟"

– "أنا من أرسل يوهانس إلى إيفرست. أعلم أن ذلك يبدو مروعًا، لكن يوهانس كان راغبًا. بل أصر. إنه رجل يألف البرية، أليس كذلك؟"

– "الآن أنا تائهة،" قالت.

– "التقيت أنا ويوهانس في روسيا بصفة مهنية وأصبحنا صديقين. أدركت مبكرًا أنه رجل ذو قدرات استثنائية."

– "بأي معنى؟"

– "بكل معنى، ريبيكا. قد يكون أحيانًا متسرعًا ومتحمسًا أكثر من اللازم، لكنه كان، في الواقع، ضابطًا من الطراز الرفيع."

– "إذًا أنت أيضًا كنت في الجيش؟"

– "كنت..." – بدا وكأنه يكافح – "... بولنديًا أصبح بريطانيًا وهو طفل. كان والداي لاجئين سياسيين وكانت إنجلترا القديمة طيبة معهما، ولذا ربما رأيت أنه واجبي الانضمام لوزارة الخارجية."

– "الاستخبارات البريطانية (M.I.٦)؟"

– "حسنًا، لنقل لا أكثر مما هو ضروري للغاية. على أية حال، استقررت هنا بعد التقاعد، ليس فقط حبًا في البلاد، بل بسبب تعقيد أو اثنين يرتبطان، بطريقة ما، بالعمل الذي كنا منخرطين فيه آنذاك. يجب أن تعلمي يا عزيزتي، أنني ويوهانس كان لدينا اهتمام مشترك في ذلك الوقت كان محفوفًا بالمخاطر بما يكفي، حتى بدون إيفرست."

– "وماذا كان ذلك؟"

– "كان له علاقة بمنشقي الاستخبارات العسكرية الروسية (G.R.U) والجواسيس المزروعين (Moles)، الفعليين والمحتملين، وأيضًا، ربما يجب أن أضيف، الوهميين، الذين قررنا

تطبيق حكمتنا المشتركة عليهم. عُلمت مجموعتي أن وحدة صغيرة داخل جهاز الأمن السويدي (Säpo) قد حصلت على أصل كبير من الـ G.R.U، رجل أصبح معروفًا جدًا بعد وفاته بسبب شخص تعاملتم معه مؤخرًا."

– "أنت تتحدث بالألغاز."

– "لقد حذرتكِ. لا أجد هذا سهلًا. أنا أتحدث عن ميكائيل بلومكفيست، الذي فجر قصة ما يسمى بقضية زالاتشينكو. قيل الكثير حول ذلك باستثناء، ربما، أهم شيء على الإطلاق، الشيء الذي كان يهمس به بتكتم في آذاننا في ذلك الوقت."

– "وما هو؟"

– "حسنًا، ممم... كيف أصيغ هذا؟ أحتاج لإعطائك بعض الخلفية أولًا. كان هناك قسم في الأمن السويدي (Säpo) يحمي ألكسندر زالاتشينكو – عميل G.R.U الذي انشق – باستخدام أي وسيلة متاحة، لأنه كان يزودهم بما اعتقدوا أنها معلومات فريدة عن أجهزة الاستخبارات العسكرية الروسية."

– "هذا صحيح،" هتفت. "وكانت لديه ابنة، أليس كذلك، ليزبيث سالاندر؟ عانت من وقت عصيب للغاية بسببه."

– "صحيح. أُعطي زالاتشينكو حرية التصرف تقريبًا. كان بإمكانه فعل ما يحلو له – إساءة معاملة عائلته وبناء إمبراطورية إجرامية – طالما أنه يسلم الأسرار. كانت الأخلاق تضحية من أجل مصلحة أكبر."

– "الأمن القومي."

– "لم أكن لأسميه شيئًا نبيلًا كهذا. بل شعور بالحصرية، بامتلاك معلومات لا يملكها أحد غيرهم، وهو ما وجده عدد من السادة في الأمن

السويدي مثيرًا بشكل لا يصدق. لكن من الممكن – وهذا ما اشتبهت به مجموعتي – أنهم لم يملكوا حتى ذلك."

– "ماذا تقول؟"

– "كانت لدينا تقارير تفيد بأن زالاتشينكو ظل وفيًا لروسيا. وأنه كان عميلًا مزدوجًا حتى يوم وفاته، ومرر للـ G.R.U أكثر بكثير مما كشفه لـ Säpo."

– "يا إلهي،" قالت.

– "هذا بالضبط ما شعرنا به. لكن في البداية لم يكن لدينا سوى شكوك، وحاولنا إيجاد طرق لتأكيدها. بعد فترة سمعنا عن رجل، برتبة مقدم (Lieutenant Colonel) كان رسميًا مدنيًا يعمل كمستشار لصناعة السفر، لكنه في الواقع عمل متخفيًا للأمن الداخلي للـ G.R.U واكتشف قضية فساد ضخمة."

– "تتعلق بماذا؟"

– "الروابط بين عدد من عملاء الاستخبارات ونقابة الجريمة زفيزدا براتفا. يبدو أنه كان غاضبًا من السماح باستمرار التعاون، وقيل إنه استقال من منصبه في G.R.U احتجاجًا، ومن أجل متابعة شغفه الكبير – تسلق المرتفعات العالية."

– "هل نتحدث عن فيكتور غرانكين؟" قالت ريبيكا.

– "نحن بالفعل نتحدث عن الراحل غرانكين. شخصية مثيرة للاهتمام للغاية، ألا تظنين ذلك؟"

– "أوه نعم، بالتأكيد، ولكن——"

– "كنتِ طبيبة بعثته. هذا فاجأنا، في الواقع."

– "فاجأني أنا أيضًا،" قالت بتفكير. "لكن أنا أيضًا كانت لدي رغبة مجنونة في المغامرة آنذاك. أُخبرت عن غرانكين في مؤتمر في أوسلو."

– "نعرف ذلك."

– "إذًا تابع."

– "غرانكين أعطى انطباعًا بأنه واقعي جدًا، أليس كذلك؟ مباشر وبسيط. لكنه كان، في الحقيقة، ذكيًا ومعقدًا بشكل لا يصدق، رجلًا ذا مشاعر عميقة. كان ممزقًا بولاءات منقسمة – بين حبه لبلده وشعوره بالشرف والأخلاق. في فبراير ٢٠٠٨ بدأنا نصبح متأكدين إلى حد ما ليس فقط من أنه يعرف عن لعبة زالاتشينكو المزدوجة وتعاونه مع المافيا، بل إنه هو نفسه في خطر. أنه كان خائفًا من G.R.U وبحاجة للحماية وأصدقاء جدد. هذا ما أعطاني الفكرة لإرسال يوهانس في بعثته إلى إيفرست. اعتقدنا أن مغامرة من هذا العيار ستعزز الصداقة والقرب."

– "يا إلهي،" قالت مرة أخرى، ملتفتة إلى يوهانس. "إذًا كنت هناك لتجنيده للغرب؟"

– "كان ذلك سيناريو الحلم، بالطبع،" قال كوالسكي.

– "ولكن ماذا عن سفانتي ليندبيرغ؟"

– "ليندبيرغ هو الجزء التعيس في هذه القصة،" قال كوالسكي. "لكننا لم نكن نعرف ذلك حينها. في ذلك الوقت، بدا تجنيده طلبًا معقولًا جدًا من يوهانس. بالطبع، كنا نفضل أن يأخذ أحد رجالنا بدلًا منه. لكن ليندبيرغ كان يعرف روسيا، وعمل بشكل وثيق مع يوهانس في Must، وفوق كل شيء، كان متسلقًا خبيرًا. ظاهريًا كان الرفيق المثالي. لحسن الحظ – ونحن ممتنون جدًا لذلك الآن – لم نعطه الصورة

الكاملة. لم يعرف اسمي أبدًا، ولا حتى أن العملية كانت بريطانية أكثر منها سويدية."

— "لا أصدق ذلك،" قالت، بينما بدأت تستوعب الأمر. "إذًا البعثة كلها كانت عملية استخباراتية؟"

— "تحولت إلى أكثر من ذلك بكثير، عزيزتي ريبيكا. يوهانس التقى بكِ، بعد كل شيء. لكن نعم... ذهب في مهمة رسمية وأبقينا عينًا ساهرة عليها."

— "هذا جنون. لم تكن لدي أدنى فكرة."

— "أنا آسف لأنكِ تضطرين لسماع ذلك في هذه الظروف."

— "حسنًا، كيف سارت الأمور؟" قالت. "أعني... قبل أن يسوء كل شيء؟"

هز فورسيل كتفيه، ومرة أخرى كان كوالسكي من أجاب.

— "يوهانس وأنا لدينا وجهة نظر مختلفة قليلًا حول ذلك. في رأيي، قام بعمل ممتاز. تمكن من بناء الثقة وفي وقت مبكر بدا الأمر واعدًا. لكن صحيح أن الوضع ازداد توترًا واضطررنا لممارسة الكثير من الضغط على فيكتور. استغللناه في مرحلة حرجة، قبل بدء التسلق. لذا نعم، يوهانس محق على الأرجح. كان هناك الكثير على المحك. ولكن قبل كل شيء—"

— "كنا نفتقد بعض المعلومات الحاسمة،" قال فورسيل.

— "نعم، للأسف،" قال كوالسكي. "لكن كيف كان لنا أن نعرف؟ لم يشك أحد في الغرب في ذلك الوقت، ولا حتى مكتب التحقيقات الفيدرالي (F.B.I)."

— "عما تتحدثان؟" قالت.

– "ستان إنجلمان."

– "ماذا عنه؟"

– "كان مرتبطًا بـ زفيزدا براتفا منذ أن بدأ بناء الفنادق في موسكو في التسعينيات. فيكتور كان يعلم ذلك، لكننا لم نكن نعلم."

– "كيف عرف هو؟"

– "كان ذلك أحد الأشياء التي كشفها أثناء عمله في G.R.U، لكن، كما قلت، التعامل المزدوج كان جزءًا من وظيفته فتظاهر بأنه قريب من ستان. سرًا كان يعتقده حقيرًا."

– "وسرق زوجته."

– "أعتقد أن الرومانسية كانت أشبه بمكافأة إضافية."

– "أو ربما كانت العامل المحفز،" قال فورسيل.

– "هل يمكنكما التحدث بوضوح من فضلكما؟" قالت ريبيكا.

– "أعتقد أن يوهانس يقول إن علاقة الحب، والأشياء التي أخبرته بها كلارا، هي التي دفعت فيكتور للتحرك،" قال كوالسكي.

– "بمعنى؟"

– "إذا لم يكن قادرًا على الضغط على زملائه في G.R.U، فعلى الأقل يمكنه إلحاق الضرر بأمريكي فاسد للغاية."

-٢٦-

٢٧أغسطس

أحيانًا كان غالينوف يسألها: "ماذا يمثل لكِ اليوم؟ وبماذا تفكرين بشأنه؟" وغالبًا ما كانت تلوذ بالصمت ولا تجيب، لكنها قالت ذات مرة: "أذكر شعوري بأنني كنتُ المصطفاة"، وكان ذلك هو عين الحقيقة.

لقد مرَّ زمان كانت فيه أكاذيب والدها أجمل ما في حياتها، وظلت لوقت طويل موقنة بأنها هي من تملك زمام القوة، وأنها هي من تسحره لا العكس. كان وهمًا لم يلبث أن انتُزِع منها قسرًا، ليحل محله فراغ سحيق. ومع ذلك.. ظل عبق ذلك الشعور الاستثنائي يراودها، وكانت أحيانًا تغفر لـ زالا كما قد يغفر المرء لحيوان بري مفترس. الشيء الوحيد الذي لم يبرح صدرها قط هو كرهها لـ ليزبيث وأجنيتا؛ والآن، وهي مستلقية على فراشها في شارع ستراندفيجن، استجمعت ذلك الكره لتشد به أزرها، تمامًا كما فعلت في مراهقتها حين اضطرت لإعادة اختراع نفسها وخلق كاميلا جديدة، حرة من كل قيد.

كان المطر ينهمر بغزارة على شارع ستراندفيجن. عويل سيارات الإسعاف يملأ المدى، بينما تناهى إلى مسامعها وقع أقدام تقترب: كانت خطوات رتيبة واثقة. إنه غالينوف؛ فنهضت وفتحت له الباب.

ابتسم لها، فقد كانت تدرك أن ما يجمعهما هو ذلك الكره المشترك وشعورهما بالتميز.

قال لها:

– "قد نحمل لكِ أخبارًا مشجعة رغم كل شيء."

لم تجب.

تابع قائلًا:

– "ليس أمرًا جللًا في حد ذاته، لكنه قد يكون مدخلًا. تلك المرأة التي شوهدت مع بلومكفيست في ساندهامن، نزلت للتو في فندق ليدمار."

– "وماذا بعد؟"

– "حسنًا، أليست تقيم هنا في المدينة؟ فما الداعي لنزولها في فندق إلا إذا كانت ترغب في لقاء شخص يفضل ألا يظهر في منزلها، ولا في منزله الخاص؟"

– "مثل بلومكفيست؟"

– "أصبتِ تمامًا."

– "وماذا ترى أن نفعل؟"

مرر غالينوف أصابعه في شعره وقال:

– "الموقع ليس مثاليًا؛ فهناك مقاهٍ وحانات مكشوفة، والناس يملؤون المكان في المساء. لكن ساندستروم——"

– "هل يثير المتاعب؟"

– "لا، لا، على العكس تمامًا، لقد جعلته يرضخ تمامًا. يقول إن بإمكانه توفير سيارة تنتظر عند الزاوية، حتى سيارة الإسعاف التي سرقها أحد أتباعه بفكرة ذكية، وأنا——"

– "وأنت يا إيفان؟"

– "ربما يكون لي دور ألعبه أيضًا. يبدو أن هناك قاسمًا مشتركًا بيني وبين بلومكفيست، إذا صدقت رواية بوغدانوف."

– "ماذا يعني ذلك؟"

– "كلانا يهتم بوزير الدفاع السويدي وببعض تعاملاته السابقة."

شعرت كاميلا بنشاطها يعود إليها، فقالت:

– "حسنًا، إذن أقترح أن تبدأ بالتحرك."

***

لم تكن ريبيكا قد استوعبت تلك المعلومات بعد، لكنها لم تمنح نفسها وقتًا لذلك، فقد أدركت أن القادم أسوأ.

تابع كوالسكي:

– "لقد فهمنا الآن أن إنجلمان اختار بعثة غرانكين لزوجته عن عمد، لأنه كان موقنًا أن فيكتور واحد منهم. لكن غرانكين كان يحقق في أمر المنظمة، وكان حينها يعتمل بالغضب. وأعتقد أن يوهانس، بموهبته في بناء الثقة، أوصله إلى نقطة الرغبة في الكلام؛ لقد زرع البذرة إذا جاز التعبير. وأظن أن كلارا ببساطة أكملت ما بدأه يوهانس."

– "ماذا تقصد؟"

– "لقد جعلت كلارا فيكتور يبوح بما في صدره. أظن أن كلًا منهما شجع الآخر؛ هي أخبرته عن حقيقة زوجها الوضيع خلف الأبواب المغلقة، وفيكتور كشف لها عن أنشطة ستان في منظمة زفيزدا براتفا."

– "كان الحب هو ما دفعهما للبوح."

– "نعم، ربما كان الأمر كذلك. على الأقل، هذه هي نظرية يوهانس. لكن في النهاية، لا يهم ذلك كثيرًا؛ المهم هو أن الخبر تسرب ووصل إلى مانهاتن، مهما حاولوا توخي الحذر."

– "هل أفشى أحدهم السر؟"

– "دليلكِ المسكين سيئ الحظ من 'الشيربا'."

– "لا تخبرني بذلك."

– "للأسف، هذا ما حدث."

– "من المستحيل أن يكون نيما قد خانهما."

قال كوالسكي:

– "لا أظنه رأى الأمر خيانة؛ فقد تقاضى أجرًا إضافيًا ليرعى كلارا ويبلغ عما تفعله في مخيم القاعدة. ربما شعر أنه يؤدي وظيفته فحسب."

– "وكم عرف من المعلومات؟"

– "لا نعلم يقينًا، لكنه عرف ما يكفي ليعرض حياته للخطر لاحقًا، سآتي على ذكر ذلك. ما نعرفه هو أن إنجلمان علم بطريقة ما بعلاقة الحب تلك، وهذا وحده أثار لديه موجة عارمة من الغضب والشك، وكان هناك آخرون تطوعوا بمزيد من المعلومات، حتى عرف ستان في النهاية الحقيقة كاملة. لم يكن زواجه وحده على المحك، بل مستقبله كرجل أعمال، وربما حتى أيامه كحر طليق."

– "ومَن كان المسؤول عن التسريبات الأخرى؟"

قال كوالسكي:

– "أنا متأكد أنكِ تستطيعين التخمين. لكنكِ سألتِ عن نيما ريتا وكيف أمكنه نقل أي شيء؛ لا تنسي أنه كان قلقًا وغاضبًا، حاله حال الكثير من 'الشيربا' في ذلك العام."

– "هل كان للأمر علاقة بمعتقداته الدينية؟"

– "نعم، وبزوجته لونا أيضًا. ألم تعاملها كلارا معاملة سيئة؟ كان لدى نيما أسبابه الخاصة لعدم الشعور بأي ولاء تجاهها."

قال فورسيل بنبرة حادة:

– "هذا ليس إنصافًا في حقه يا يانيك. لم يكن نيما يحمل ضغينة لأحد. كان مثل فيكتور؛ تتقاسمه الولاءات. الناس يقولون له: افعل هذا، وافعل ذاك. انتهى به الأمر وهو يحمل كل شيء على كاهله، يتلقى الأوامر والأوامر المضادة، وفي النهاية كسرته تلك الضغوط. كان الحمل ثقيلًا جدًا، ومع ذلك كان هو الوحيد دون غيره من عانى من وخز الضمير."

قال كوالسكي:

– "عذرًا يا يوهانس، أنا لم أشهد الأمر إلا عن بُعد. ربما من الأفضل أن تتولى أنت سرد البقية."

قال فورسيل ممتعضًا:

– "لستُ متأكدًا أنني أرغب في ذلك."

قالت ريبيكا:

– "لقد وعدتَنا."

– "نعم، فعلت. لكنني سأستاء بشدة إذا أُلقي اللوم على نيما في هذا الأمر. فقد نال من الألم أكثر من نصيبه العادل."

قال كوالسكي:

– "أرأيتِ يا ريبيكا؟ يوهانس رجل طيب، لا تدعي أحدًا يخبركِ بخلاف ذلك. سيظل دائمًا يقف بجانب الضعفاء."

سألت:

– "إذن كانت علاقتك بـ نيما جيدة حقًا كما بدت؟"

كانت نبرة الخوف واضحة في صوتها.

قال:

– "ربما كانت جيدة أكثر مما ينبغي عندما حان وقت الشدة."

– "ماذا تقصد بذلك؟"

قال فورسيل:

– "دعيني أشرح لكِ." ثم ساد صمت قصير.

– "حسنًا، أخبرنا إذن."

– "سأفعل. وأنتِ تعرفين معظم القصة بالفعل. ربما ينبغي أن أبدأ بالقول إن علاقتي بـ فيكتور كانت قد تدهورت بحلول الوقت الذي انطلقنا فيه نحو القمة، وأنا شبه متأكد أن للأمر علاقة بـ ستان إنجلمان. أظن أن فيكتور كان يخشى أن تتسرب العلاقة بيننا بطريقة ما إلى مخابرات G.R.U. ومنظمة زفيزدا براتفا. وحينها ستكون أيامه معدودة بلا شك، لذا آثرتُ الانزواء بنفسي. كان آخر ما أريده هو إثارة قلق أي أحد. كان من المفترض أن نكون ملاذًا آمنًا، لا أكثر. وكما تعلمين يا بيكا، انطلقنا جميعًا من المخيم الرابع (Camp IV) بعد منتصف الليل مباشرة في الثالث عشر من مايو. كانت الأجواء تبدو مثالية."

– "لكن حركتكم تباطأت."

– "نعم، بدأت كلارا تعاني، وكذلك مادس لارسن، وربما لم يكن فيكتور في كامل قواه أيضًا. لكن لم يكن هذا ما يشغل بالي حينها. لاحظت أن سفانتي كان سريع الانفعال ويحثني على الإسراع؛ كان يريدنا أن نندفع نحو القمة بمفردنا، وقال إننا وإلا سنضيع فرصتنا، وفي النهاية سمح لنا فيكتور بذلك. ربما كان ممتنًا للتخلص مني. انطلقنا، لذا لم نكن على علم بالكارثة التي عصفت ببعثتنا. واصلنا السير وبلغنا القمة في وقت جيد. ولكن أثناء النزول من 'درجة هيلاري'، بدأت المتاعب تلاحقني. كانت السماء لا تزال صافية حينها، ولم تكن الرياح شديدة. كان لدينا ما يكفي من الأكسجين والسوائل، ولكن الوقت كان يداهمنا، و——"

– "وفجأة سمعتَ دويًا، انفجارًا."

– "سمعنا رعدًا في سماء صافية. ثم ضربتنا العاصفة من الشمال كأنها تسونامي. انعدمت الرؤية في لحظة، وانخفضت درجات الحرارة بشكل حاد. كان البرد لا يُطاق وكنا نترنح في مشيتنا. سقطتُ على ركبتي مرارًا، وكان سفانتي يأتي إليَّ في كل مرة، يمد يده ويساعدني على النهوض. لكن تقدمنا أصبح أبطأ فأبطأ، والساعات تمر مسرعة. حلَّ العصر ثم المساء، وكنا نخشى حلول الظلام. أذكر أنني انهرتُ مرة أخرى وظننتُ أن كل شيء قد انتهى. ولكن في تلك اللحظة رأيتُ.. شيئًا أزرق وأحمر أمامي، أشكالًا باهتة، فدعوتُ الله أن تكون خيام المخيم الرابع، أو على الأقل متسلقين آخرين يمكنهم مساعدتنا. منحني ذلك بصيصًا من الأمل، وحين نهضتُ رأيتُ أن الأمر لم يكن خيرًا، بل على العكس تمامًا. كانت جثتين ممددتين جنبًا إلى جنب في الثلوج، إحداهما أصغر من الأخرى."

– "لم تخبرني بهذا قط."

– "لا يا بيكا، لم أفعل، فمن هنا يبدأ الكابوس. لا أزال أجد صعوبة في وصفه. كنتُ منهكًا تمامًا، لم أعد أقوى على الحراك. أردتُ فقط الاستلقاء والموت، ولهذا انتابني شعور بأنني أحدق في مصيري المحتوم. لكن خوفي الشخصي كان أكثر واقعية مما أراه أمامي، ولم يخطر ببالي قط أنهما قد يكونان شخصين أعرفهما؛ افترضتُ فقط أنهما من مئات الجثث الراقدة هناك. وقفتُ، ونزعتُ قناع الأكسجين، وقلتُ إن علينا الإسراع بالنزول والابتعاد، وبدأتُ بالسير، أو على الأقل خطوتُ خطوة واحدة. ولكن عندها داهمني شعور غريب."

– "ماذا تقصد؟"

– "كان مزيجًا من مئات الأشياء. كنا قد التقطنا معلومات عبر اللاسلكي عن حالة طوارئ في بعثتنا، وربما كان عقلي منشغلًا بذلك. ثم لابد أنني تعرفتُ على الملابس وتفاصيل أخرى. ولكن قبل كل شيء، كان هناك شيء مخيف في الجثة الأصغر. أذكر أنني انحنيتُ ونظرتُ في الوجه، ولم يكن هناك الكثير لتراه؛ فغطاء الرأس كان مسحوبًا فوق القبعة والجبين، والنظارات الشمسية لا تزال في مكانها، بينما غطى الجليد الوجنتين والأنف والفم. كان الوجه بأكمله مدفونًا تحت طبقة من الثلج. ومع ذلك، عرفتُ الحقيقة."

– "كانت كلارا، أليس كذلك؟"

– "كانت كلارا وفيكتور. كانت تميل بجسدها قليلًا، وذراعها تحيط بخصره، ولم يساورني أدنى شك في أنني سأتركهما على هذه الحال. لكن ذلك الشعور الموحش لم يغادرني؛ بدت وكأن الجليد قد تغلغل في كل ذرة منها، ومع ذلك خُيل إليَّ أنني لمحتُ فيها شيئًا لم

يفارقه نبض الحياة بعد. فدفعتُها بعيدًا عن فيكتور وحاولتُ إزالة الثلج عن وجهها. لم أستطع، فقد كان متجمدًا وصلبًا للغاية، ولم تكن يداي تملكان أي قوة. في النهاية، أخرجتُ فأسي الجليدي. لابد أن المشهد بدا عبثيًا؛ رفعتُ نظاراتها الشمسية ورحتُ أهشم الجليد عن وجهها. تطايرت شظايا الثلج، وكان سفانتي يصرخ بي لأتوقف ونواصل الهبوط. لكنني استمررتُ بهوس، وحاولتُ جاهدًا أن أكون حذرًا. بيد أن أصابعي كانت قد أصيبت بقضمة صقيع ولم أعد أتحكم بها جيدًا، فجرحتُها؛ أحدثتُ شقًا في شفتها وذقنها. حدثت نفضة في وجهها ظننتُها مجرد حركة ناتجة عن ضربات فأسي، ولم تظهر عليها أي علامة أخرى للحياة. ومع ذلك، نزعتُ قناع الأكسجين الخاص بي ووضعته عليها، وظللتُ ممسكًا به لفترة طويلة، رغم أنني كنتُ أنازع لالتقاط أنفاسي ولم أكن آمل في الكثير. وفجأة، شهقت شهقة قوية؛ رأيتُ ذلك من خلال الأنبوب والقناع، فوقفتُ ورحتُ أصرخ لـ سفانتي. لكنه اكتفى بهز رأسه، وكان على حق بالطبع. لم يكن يهم أنها لا تزال تتنفس؛ فقد كانت في رمقها الأخير، وكنا على ارتفاع ثمانية آلاف متر. لم يكن هناك أمل، كانت قد تجاوزت مرحلة الإنقاذ. لم نكن لنستطيع إنزالها أبدًا، وحياتنا نحن كانت في خطر أيضًا."

– "لكنك كنت تصرخ طالبًا المساعدة."

– "كنا قد صرخنا مرارًا حتى فقدنا كل أمل. كل ما أذكره هو أنني أعدتُ وضع قناع الأكسجين وواصلنا الهبوط. كافحنا في طريقنا، وبدأتُ أفقد صلتي بالواقع تدريجيًا. أصبتُ بهلوسات؛ رأيتُ والدي في حوض الاستحمام، ووالدتي في غرفة الساونا في 'آري'. انتابتني كل أنواع الرؤى، وقد أخبرتُكِ بذلك يا بيكا."

– "نعم."

– "لكنني لم أخبركِ قط كيف رأيتُ رهبانًا أيضًا؛ نفس الرهبان البوذيين الذين رأيتهم في 'تينجبوشي'، ثم رأيتُ شخصًا آخر ذكرني بهم ولكنه كان مختلفًا تمامًا. كان يصعد الجبل بدلًا من الهبوط، وعلى عكس الرهبان، كان هذا الشخص حقيقيًا. كان نيما ريتا يخطو نحونا وسط الثلوج."

***

كان بلومكفيست قد تأخر عن موعده، وندم لأنه استدرج كاترين إلى فندق ليدمار. كان يجدر به اختيار يوم آخر، ولكن ليس من السهل دائمًا أن يكون المرء عقلانيًا، خاصة مع امرأة مثلها. والآن يسير في شارع "دروتنينج جتان" تحت المطر، متجهًا نحو الفندق في "بلاسيهولمن". كان على وشك إرسال رسالة نصية تقول: "سأكون عندكِ خلال عشر دقائق"، عندما وقع أمران.

تلقى رسالة نصية، لكن لم يتسنَّ له قراءتها قبل أن يرن هاتفه. كان قد حاول الوصول إلى الكثير من الأشخاص في ذلك اليوم – حتى سفانتي ليندبرغ – وكان يأمل في كل دقيقة أن يعاوده أحدهم الاتصال. لكن لا فائدة؛ كان الصوت على الطرف الآخر لرجل مسن لم يعرف حتى عن نفسه. فكر بلومكفيست في إغلاق الخط ببساطة، لكن الصوت كان ودودًا، يتحدث السويدية بلكنة إنجليزية.

قال:

– "هل يمكنك تكرار ما قلته؟"

– "أنا جالس في شقتي، أحتسي الشاي مع زوجين يرويان لي الآن أكثر القصص صدمة. يودان بشدة مشاركتها معك، ويفضل أن يكون ذلك في وقت مبكر من صباح الغد."

سأل بلومكفيست:

– "هل أعرف هذا الزوجين؟"

– "لقد أسديتَ لهما معروفًا عظيمًا."

– "مؤخرًا؟"

– "مؤخرًا جدًا، في عرض البحر."

رفع نظره نحو السماء والمطر المنهمر، وقال:

– "أود لقاءهما بشدة. أين؟"

– "دعنا نتفق على التفاصيل عبر هاتف آخر، إذا كنت لا تمانع؛ هاتف محمول غير مرتبط بك ومزود بالتطبيقات المناسبة."

فكر بلومكفيست في الأمر؛ لابد أن يكون هاتف كاترين وتطبيق Signal الخاص بها.

قال:

– "يمكنني إرسال رقم آخر إليك عبر رابط مشفر. ولكن أولًا أحتاج لتأكيد أن هذا الزوجين موجودان عندك بالفعل وأنهما بخير."

قال الرجل:

– "لا أستطيع القول إنهما بخير تمامًا، ولكنهما هنا، وبمحض إرادتهما. يمكنك التحدث مع الزوج."

أغمض بلومكفيست عينيه وتوقف عن السير. كان يقف عند منحدر "ليجونباكن"، بجوار القصر الملكي مباشرة، ينظر عبر الماء نحو

فندق "غراند أوتيل" والمتحف الوطني. ربما انتظر لما لا يزيد عن عشرين أو ثلاثين ثانية، لكنها بدت كأنها دهر.

أخيرًا جاءه صوت يقول:

– "ميكائيل.. أنا مدين لك بدين عظيم."

سأله:

– "كيف حالك؟"

– "أفضل مما كنتُ عليه حينذاك."

– "حينذاك متى؟"

– "عندما كنتُ على وشك الغرق."

إنه فورسيل.

قال بلومكفيست:

– "هل تريد التحدث؟"

– "ليس حقًا."

– "لا تريد؟"

– "لكن زوجتي ريبيكا، التي ستكون قد سمعت القصة كاملة عما قريب، تصرُّ على ذلك. لذا لا أرى مفرًا من الأمر."

قال بلومكفيست:

– "أفهم ذلك."

– "لستُ متأكدًا أنك تفهم. ولكن هل لي أن أسأل إن كان بإمكاني قراءة ما ستكتبه قبل نشره؟"

انطلق بلومكفيست نحو الجسر المؤدي إلى "كونجسترا جاردن"، وهو يقلب الكلمات في ذهنه.

– "يمكنك تعديل اقتباساتك حتى تشعر بالرضا عنها، ويمكنك مراجعة الحقائق التي سأذكرها. بل إنني أرحب بمحاولتك إقناعي بأن عليَّ كتابة مقالي بشكل مختلف. لكنني لا أعدك بأنني سأفعل ما تطلبه."

– "هذا يبدو منصفًا."

– "جيد."

– "سنكون في انتظارك إذن."

– "اتفقنا."

شكره فورسيل مرة أخرى وأعاد الهاتف للرجل الآخر. اتفق هو وبلومكفيست على الخطوات التالية، ثم أرسل بلومكفيست رقم كاترين لينداس وأسرع في خطاه. كان قلبه يخفق بشدة وأفكاره تتسابق. ماذا يحدث؟ كان ينبغي أن يطرح مزيدًا من الأسئلة. لماذا لم يعد فورسيل في مستشفى الكارولينسكا؟ من المؤكد أن مغادرته المستشفى بهذه السرعة تصرف غير حكيم، نظرًا لحالته السيئة التي كان عليها.. ومن هو الإنجليزي الذي اتصل به؟

لم يكن بلومكفيست يعرف شيئًا سوى أن الأمر برمته يتعلق على الأرجح بـ نيما ريتا وجبل إيفرست، ولكنه كان موقنًا أن هناك أوراقًا أخرى في اللعبة لا يملك عنها أدنى فكرة؛ ربما خيط روسي – فحياة فورسيل كلها تشير إلى روسيا – أو صلات بـ إنجلمان في مانهاتن؟

الأيام كفيلة بكشف المستور. لابد أنه سيعرف قريبًا، وشعر بإثارة طاغية. هذا سبق صحفي ضخم، هكذا فكر، ضخم حقًا. لكنه في الحقيقة لم يكن متأكدًا حتى من ذلك؛ كان يحتاج للحفاظ على برودة أعصابه. أخرج هاتفه ليرسل رسالة لـ كاترين عبر تطبيق Signal:

أعتذر منكِ، لقد كان يومًا عصيبًا، لكنني سأصل إليكِ في أي لحظة. وبالمناسبة، أعتذر مجددًا، سأحتاج مساعدتكِ في أمر آخر أيضًا. ستصلكِ معلومات قريبًا وسأشرح لكِ كل شيء. أتوق لرؤيتكِ. مع كل الحب، م.

ثم تذكر الرسالة التي وصلته قبيل المكالمة الهاتفية. قرأها وفكر: هذا غريب. كانت وكأنها رد على أسئلته، وتساءل إن كانت لها علاقة بالمحادثة التي أنهاها للتو، أم أنها — على العكس — قد تكون من الطرف الآخر، إذا كان هناك فعلًا أطراف في هذه القضية.

تناهى إلى مسامعي أنك مهتم بما حدث على جبل إيفرست في مايو ٢٠٠٨ . أقترح عليك أن تلقي نظرة على فيكتور غرانكين، دليل البعثة الذي لقي حتفه على الجبل. خلفيته أكثر إثارة للاهتمام مما يتخيله الناس. هناك ستجد مفتاح كل هذا. غرانكين كان السبب في طرد يوهانس فورسيل من روسيا في خريف ٢٠٠٨ .

لا توجد مصادر رسمية، ولكن بخبرتك أنا متأكد أنك لن تجد صعوبة في اكتشاف أن سيرته الذاتية مزيفة، وليست سوى واجهة. صدف أنني في ستوكهولم الآن، أقيم في فندق غراند أوتيل. سأكون سعيدًا بلقائك وإخبارك بما أعرفه، فلديَّ أدلة وثائقية.

أنا أسهر لوقت متأخر، وهي عادة سيئة لديَّ للأسف. أضف إلى ذلك إرهاق السفر (jet lag).

تشارلز.

تشارلز؟ مَن يكون تشارلز هذا بحق الجحيم؟ تفوح من هذا الأمر رائحة المخابرات الأمريكية. ولكن قد يكون شيئًا مختلفًا تمامًا، وربما يكون فخًا. كان من المريب أن الرجل يقيم في فندق "غراند أوتيل"، عبر

الماء مباشرة من حيث يقف، وعلى مقربة شديدة من فندق "ليدمار".

ولكن من ناحية أخرى، فإن معظم الأجانب الأثرياء أو المهمين ينزلون في "الجراند"؛ لذا ربما لا يوجد ما يدعو للشك في هذه المصادفة.

ومع ذلك، لم يشعر بالارتياح. لا، سيتعين على السيد تشارلز الانتظار؛ فما حدث كان أكثر من كافٍ ليتعامل معه، وشعر بالذنب تجاه كاترين، فأسرع متجاوزًا فندق "الجراند" نحو "ليدمار" وصعد الدرج راكضًا.

-٢٧-

٢٧ – ٢٨ أغسطس، ليلًا

لم تكن لدى ريبيكا فورسيل أدنى فكرة عما أطلقته من أحداث أو ما ستكون العواقب عليها وعلى الأولاد، لكنها لم ترَ طريقًا آخر للمضي قدمًا. لم يعد الصمت ممكنًا، ليس بشأن هذا الأمر.

كانت تجلس الآن ومعها كأس من النبيذ في الكرسي البني، غارقة في التأمل، واعية بهمسات زوجها وكوالسكي المستمرة في المطبخ. هل هناك المزيد من الأمور الحاسمة التي يخفونها عنها؟ كانت شبه متأكدة من ذلك، بل وشكت فيما إذا كان كل ما سمعته حقيقيًا. لكنها شعرت أنها الآن فهمت ما حدث على إيفرست. كان هناك منطق لا يقبل الدحض في القصة، وفكرت كم كانوا يجهلون الحقيقة، ليس فقط آنذاك في مخيم القاعدة بل حتى لاحقًا، عند جمع شهادات الشهود.

علمت أن نيما ريتا صعد مرتين لإنزال مادس لارسن وشارلوت ريختر، لكنها لم تعلم أنه صعد مرة ثالثة، وهي حقيقة لم يذكرها أبدًا خلال المقابلات أو التحقيقات اللاحقة. ومع ذلك، فسر هذا الأمر سبب عدم تمكن سوزان ويدلوك، رئيسة مجموعتهم في مخيم القاعدة، من الوصول إليه في ذلك المساء.

وفقًا لرواية فورسيل، كان الوقت قد تجاوز الثامنة مساءً حينها. الظلام ليس ببعيد، والظروف الجوية الباردة والشرسة كانت ستتدهور

أكثر قريبًا. لكن نيما سار عائدًا مباشرة إليها، في محاولة يائسة لإنزال كلارا إنجلمان. كان هو نفسه في حالة سيئة بالفعل. الشكل الذي رآه فورسيل يخرج من الضباب والثلج كان يترنح ورأسه منحني ضد العاصفة، وكالعادة بدون قناع أكسجين؛ كل ما كان يملكه هو مصباح رأس يتقافز ضوؤه في الثلج. وجنتاه مصابتان بقضمة الصقيع. لم يرَ فورسيل وليندبيرغ حتى كاد يصطدم بهما. بالنسبة لهما كان هبة من السماء، بمجرد أن أدركا أنه هو حقًا بشحمه ولحمه. فورسيل بالكاد استطاع الوقوف. كان على وشك أن يصبح الضحية الثالثة على الجبل في ذلك المساء. لكن نيما ريتا لم يلقِ بالًا لذلك. "يجب أن أحضر مامساهيب"، هذا كل ما قاله. "يجب أن أحضر مامساهيب". صرخ ليندبيرغ فيه بأن الأمر بلا جدوى، وأنها ميتة. لكن نيما لم يستمع، حتى عندما زأر ليندبيرغ: "إذًا ستقتلنا. أنت تنقذ شخصًا ميتًا بدلًا منا — نحن أحياء!"

واصل نيما سيره، صعودًا نحو الواجهة. اختفى في العاصفة وسترته المبطنة ترفرف، وكان ذلك ما قصم ظهر البعير. انهار فورسيل ولم يقو على النهوض، لا بمفرده ولا بمساعدة ليندبيرغ. لم يكن لديه أدنى فكرة عما حدث بعد ذلك أو كم استغرق الأمر، عرف فقط أن الظلام حل وأنه يتجمد، وأن ليندبيرغ كان يصرخ:

— "بحق المسيح يا يوهانس، لا أريد تركك. لكني مضطر، أنا آسف، وإلا سنموت كلانا."

وضع ليندبيرغ يده على رأسه، ونهض. أدرك فورسيل أنه سيُترك وحيدًا. سيتجمد حتى الموت. ولكن حينها سمع الصرخات، تلك العواءات غير البشرية. وبينما كان يخبرها بذلك، فكرت ريبيكا: الأمر

ليس سيئًا جدًا في النهاية. لم يكن جميلًا، لكنه كان استجابة بشرية والقواعد المعتادة لا تنطبق هناك في الأعلى. كانت هناك معايير مختلفة على الجبل وفورسيل لم يرتكب خطأ، ليس حينها.

كان منهكًا جدًا لدرجة عجز معها حتى عن استيعاب ما يجري، ولهذا السبب، وبغض النظر عما حدث لاحقًا، أرادته أن يتحدث إلى مراسل مثل بلومكفيست، شخص قادر على الحفر عميقًا في القصة، وتتبع كل مساراتها المتعرجة وسبر أغوارها النفسية. لكن ربما كان ذلك خطأ. ربما كانت هناك أشياء لم تكن على علم بها بعد، أشياء أسوأ بكثير.

لم تستطع استبعاد ذلك، خاصة مع همس يوهانس المضطرب في المطبخ وهز كوالسكي لرأسه وفرد ذراعيه بيأس. يا للمسيح، كم كنتُ حمقاء. ربما كان ينبغي عليهم محاولة دفن القضية برمتها، وإبقاء أفواههم مغلقة – من أجل الأولاد. من أجلها هي. أوه، فليساعدهم الرب، ولعنت زوجها. كيف أمكنه توريطهم في هذا المأزق؟

كيف أمكنه ذلك؟

***

استمع بلومكفيست إلى تمتمة كاترين في نومها. تأخر الوقت وكان ميتًا من التعب، لكن النوم كان مستحيلًا. رأسه يضج بالأفكار وقلبه يخفق بشدة. ما الخطب بحق الجحيم، فكر. لست جديدًا في هذه اللعبة بالضبط. ومع ذلك كان متحمسًا كصحفي متدرب يعمل على سبقه الصحفي الأول. وبينما كان يتقلب في الفراش، استعاد ما قالته كاترين له:

– "ألا تظن أن غرانكين كان جنديًا أيضًا؟"

– "لماذا تقولين ذلك؟"

– "بدا كواحد منهم،" قالت، وعند التفكير في الأمر، بدا ذلك صحيحًا حقًا.

كانت هناك سمة في وقفته وتصرفاته توحي بضابط رفيع المستوى، وعادة لم يكن بلومكفيست ليعطي الأمر اهتمامًا زائدًا. يمكن للناس أن يعطوا انطباعًا بشيء ثم يتضح أنهم شيء مختلف تمامًا. لكن الآن تلقى تلك الرسالة من "تشارلز" الغامض، وهي تشير إلى نفس الاتجاه. يبدو أن غرانكين كان أيضًا أحد أسباب طرد فورسيل من روسيا. سيحتاج لمتابعة هذا الخيط.

كان هذا ما اعتقده بلومكفيست طوال الوقت، وكان يخطط لمتابعته في الصباح، قبل لقائه بعائلة فورسيل. لكن بما أنه لا يستطيع النوم على أية حال، لم لا ينهض وحسب؟ طالما أنه لن يوقظ كاترين. كان يشعر بالذنب بالفعل من هذا الجانب. نهض ببطء وحذر وتسلل على رؤوس أصابعه إلى الحمام ومعه هاتفه المحمول. غرانكين، فكر. *فيكتور غرانكين.

كان أحمقًا لأنه لم يجر فحصًا أكثر دقة عنه قبل الآن. لكن لم يخطر بباله أبدًا أن غرانكين أي شيء آخر غير مرشد إيفرست، وأن دوره في القصة ينتهي عند هذا الحد؛ مجرد وغد مسكين وقع في حب امرأة متزوجة واتخذ قرارات سيئة على الجبل، وفقد حياته نتيجة لذلك. لكن نعم بالفعل، كانت المعلومات الخلفية عنه مرتبة وغير محددة أكثر من اللازم قليلًا.

كان بلا شك متسلقًا متميزًا قهر العديد من أصعب القمم في العالم ٢– K، إيغر، أنابورنا، دينالي، سيرو توري... ثم بالطبع، إيفرست. لكن

لم يكن هناك الكثير من المعلومات القوية الأخرى، فقط تكرار لحقيقة أنه عمل كمستشار لرحلات المغامرات. ماذا يعني ذلك بالضبط؟ لم يجد بلومكفيست الكثير، لكنه عثر في النهاية على صورة قديمة لـ غرانكين مع رجل الأعمال الروسي أندريه كوسكوف. ألم يقرع هذا الاسم جرسًا؟

نعم، بالطبع، تباً. كوسكوف كان رجل أعمال ومبلغًا عن المخالفات في المنفى، فضح في نوفمبر ٢٠١١ الروابط بين أجهزة الاستخبارات الروسية والجريمة المنظمة. وبعد فترة وجيزة، في مارس ٢٠١٢، سقط ميتًا أثناء سيره في كامدن، بلندن، وفي البداية لم تجد الشرطة شيئًا مريبًا. ولكن بعد ثلاثة أشهر، اكتُشفت آثار لنبات "جيلسيموم إليغانس" (Gelsemium elegans) في عينات من دمه. وجد بلومكفيست أن هذا النبات الآسيوي ثنائي الفلقة يُعرف أحيانًا باسم "عشبة فطر القلب" (Heartbreak grass) — ففي شكله المركز يمكنه إيقاف القلب — ولم يكن سمًا مجهولًا بأي حال. في عام ١٨٧٩، لم يكتب غير آرثر كونان دويل عنه في المجلة الطبية البريطانية. لكن لفترة طويلة لم يُذكر النبات في السجلات التاريخية أو الأخبار حتى برز مرة أخرى في عام ٢٠١٢ عندما اكتُشف في جسد منشق، عميل G.R.U يُدعى إيغور بوبوف، في بالتيمور، الولايات المتحدة الأمريكية. الآن أصبح بلومكفيست في حالة تأهب. استخبارات عسكرية، وفيات مشبوهة بالتسمم، ادعاءات بأن فورسيل حقق بشكل منهجي في أنشطة G.R.U وطُرد من البلاد...

هل هذه صدفة مضللة أخرى، مثل تلك التي حدثت مع ماتس سابين، المؤرخ العسكري؟ في النهاية، لم تكن سوى صورة لـ غرانكين

يقف مع شخص مات في ظروف غامضة. لكن مع ذلك... لن يضر التحقق مع "تشارلز" الملعون وسؤاله عما يعرفه. أرسل رسالة نصية:

>إذًا من كان غرانكين حقًا؟<

مرت عشر دقائق قبل أن يأتيه الرد:

>شرطي عسكري في G.R.U. مقدم (Lieutenant Colonel). تحقيقات داخلية<

يا يسوع، فكر. يا يسوع. ليس أنه أخذ هذا على محمل الجد لثانية واحدة. ولن يفعل حتى يعرف مع من يتواصل.

>ومن أنت؟<

جاء الرد فورًا.

>أنا مسؤول سابق<

> M.I.٦ بريطاني، C.I.A (أمريكي)؟ <

>لا تعليق، كما يقولون<

>الجنسية، على الأقل؟<

>أمريكي، لسوء حظي<

>كيف عرفت أنني أنقب في هذه القصة؟<

>إنه نوع الأشياء التي يُفترض بي معرفتها<

>لماذا تريد تسريب هذا للصحافة؟<

>ربما أنا دقة قديمة<

>بأي معنى؟<

>يحدث أنني أؤمن بأن الجريمة يجب أن تُكشف وتُعاقب<

>هل الأمر بهذه البساطة؟<

>قد تكون لدي أسبابي الخاصة أيضًا. لكن هل يهم ذلك حقًا؟ أنا وأنت لدينا مصالح مشتركة يا ميكائيل<

>أعطني شيئًا، في هذه الحالة. حتى أعرف أنني لا أضيع وقتي<

في غضون خمس دقائق وصلت صورة تظهر بطاقة هوية لا تخص أحدًا سوى المقدم فيكتور أليكسييفيتش غرانكين، تحمل الشعار الذي استخدمته G.R.U في ذلك الوقت، زهرة البرسيم الخماسية الحمراء على خلفية سوداء. بدت معلومة قوية، على حد علم بلومكفيست.

>هل كان لغرانكين وفورسيل أي مصلحة مشتركة غير إيفرست؟< كتب.

>فورسيل كان هناك لتجنيد غرانكين. لكن الأمر ساء بشكل مروع<

"يا للجحيم،" تمتم بلومكفيست بصوت مسموع. >وتريد أن تمنحني تلك القصة؟<

>بسرية ومع حماية المصدر، نعم<

>موافق<

>في هذه الحالة، استقل سيارة أجرة إلى هنا فورًا. سأقابلك في الردهة. بعد ذلك، حتى بومة ليلية مثلي ستحتاج لبعض النوم<

>حسنًا< أجاب بلومكفيست.

هل كان متهورًا؟ لم يعرف شيئًا عن هذا الرجل، سوى أنه مطلع، وسيحتاج بلومكفيست لأكبر قدر ممكن من الحقائق قبل اجتماع صباح الغد. بالتأكيد، السير لدقيقة واحدة إلى فندق غراند أوتيل مخاطرة تستحق العناء؟ كانت الساعة ١:٥٨ صباحًا، ولا تزال هناك أصوات في الشارع. المدينة مستيقظة. دائمًا ما تصطف سيارات الأجرة

خارج الـ "غراند" ليلًا، على حد تذكره، ولا شك أن هناك بوابين أيضًا. لا، بالتأكيد، لا يمكن أن يكون هناك خطر. ارتدى ملابسه بهدوء، وغادر الغرفة واستقل المصعد للردهة، ثم نزل الدرج المنحني إلى مستوى الشارع. كان الشارع بالخارج مبللًا من الهطول الغزير، لكن السماء المظلمة كانت تنجلي.

كان الخروج منعشًا. أضواء القصر الملكي تتلألأ عبر الماء، وعلى مسافة أبعد، في كونغسترادغاردن، لا تزال هناك حياة وجيوب من الناس. شعر بالارتياح لرؤية بضعة أفراد على الرصيف البحري أيضًا، زوجين شابين يمران. نادلة تجمع الأكواب من الطاولات الخارجية، ورجل ببدلة كتان بيضاء لا يزال جالسًا على كرسي في الجانب البعيد من بار الشرفة، ينظر نحو الماء. الطريق سالك، فكر، وانطلق. ولكن حينها سمع صوتًا:

— "بلومكفيست؟"

التفت ورأى أنه الرجل ذو البدلة البيضاء هو من ناداه، سيد في الستينيات بشعر رمادي مائل للبياض، وملامح وسيمة وابتسامة حذرة، وربما حتى ابتسامة ساخرة. ما الذي أمتعه؟ هل كانت دعابة عن صحافة بلومكفيست، أو شخصيته؟ إذا كان الأمر كذلك، فهي دعابة لم يتسنَّ له مشاركتها أبدًا.

سمع خطوات خلفه وشعر بجسده ينتفض، وكأن الكهرباء سرت فيه. انهار وضرب رأسه بالرصيف، والشيء الغريب هو أن رد فعله الأول لم يكن الخوف أو الألم، بل الغضب. وليس حتى الغضب من مهاجمه بل من نفسه: كيف أمكنني أن أكون غبيًا لعينًا إلى هذا الحد؟

كيف؟ حاول التحرك. لكن صدمة أخرى جعلته يرتعش وكأنه يعاني من نوبة صرع.

– "يا إلهي، ما خطبه؟"

ربما كانت هذه النادلة.

– "تبدو كنوبة صرع. نحتاج لاستدعاء سيارة إسعاف."

تحدث الرجل ذو البدلة البيضاء بصوت هادئ تمامًا، وتلاشت الخطوات. اقترب أشخاص آخرون وسمع بلومكفيست صوت محرك سيارة. ثم حدث كل شيء بسرعة كبيرة. دُحرج على نقالة ورُفع للداخل. أُغلق باب، وتحركت المركبة وسقط هو عن النقالة إلى الأرضية. حاول الصراخ، لكنه كان مذهولًا لدرجة أنه لم يستطع سوى الأنين، ولم يتمكن من نطق الكلمات التي عادت إليه الآن إلا بعد أن عبرت المركبة شارع هامنگاتان.

***

– "ماذا تفعلون؟ ماذا تفعلون؟"

استيقظت سالاندر على أصوات لم تستطع تحديدها وتحسست بنعاس سلاحها على الطاولة الجانبية. لكن بمجرد إمساكها بالمسدس ومسحها لغرفة الفندق بفوهته، أدركت أن الصوت قادم من هاتفها المحمول. هل سمعت أحدهم يصرخ؟

للمفارقة، استغرق الأمر ثانية أو اثنتين لتتوصل لاستنتاج أنه لا يمكن أن يكون سوى بلومكفيست، فأغمضت عينيها، وأخذت نفسًا عميقًا وحاولت ترتيب أفكارها. "هيا الآن،" همست. "قل لي إنك قلت تلك الكلمات بالصدفة. هيا."

رفعت صوت هاتفها واستمعت للقرقعة والخشخشة. قد يكون لا شيء، مجرد ضوضاء من سيارة أو قطار. ولكن حينها سمعت أنينه، متبوعًا بتنفس ثقيل ومتألم. هل يفقد وعيه؟ قفزت من السرير، تطلق الشتائم، وجلست إلى المكتب.

كانت سالاندر لا تزال في فندق نوبيس بساحة نورمالمستورغ تراقب العنوان في ستراندفاغن طوال المساء، منذ هجومها على كوني أندرسون. كان هناك قدر معين من النشاط وشاهدت غالينوف يغادر المبنى. لكنها لم تكن قلقة بشكل خاص وذهبت للنوم حوالي الواحدة – منذ وقت قصير جدًا، كما يبدو – آملة أن تكون قد كسبت يوم راحة آخر. كانت مخطئة.

على حاسوبها، استطاعت رؤية أن بلومكفيست يُنقل شمالًا، خارج ستوكهولم، وفي أي دقيقة الآن سيفتشون جيوبه ويتخلصون من هاتفه. إذا كان غالينوف وبوغدانوف متورطين، فسيعرفون بالضبط كيف يغطون آثارهم، لذا لم يكن بوسعها الجلوس هناك كالحمقاء ومتابعة تقدمهم على الخريطة. كان عليها التصرف. أعادت الشريط وسمعت بلومكفيست يصرخ:

– "ماذا تفعلون؟"

كرر الكلمات مرتين وكان بالتأكيد في حالة سيئة، في صدمة. كل ما استطاعت سماعه هو تنفسه. هل خدروه؟ ضربت بقبضتها على المكتب وسجلت أن المركبة كانت في نورلاندسغاتان، ليس بعيدًا عن مكانها الحالي. لكن من غير المرجح أن يكون هذا مكان التقاطهم له، فأرجعت التسجيل للوراء أكثر وسمعت خطواته وتنفسه، وصوتًا يقول

"بلومكفيست؟" — صوت رجل أكبر سنًا، فكرت. وبعد ذلك صرخة ألم، وزفير، وامرأة تصرخ، "يا إلهي، ما خطبه؟"

أين حدث كل هذا؟

بلاسيهولمن، على ما يبدو. لم تستطع تحديد الموقع الدقيق، لكن لا بد أنه كان خارج فندق غراند أوتيل أو المتحف الوطني، في مكان ما هناك. اتصلت بخدمات الطوارئ وأبلغت عن تعرض الصحفي ميكائيل بلومكفيست لاعتداء في ذلك الحي. الشاب الذي تلقى المكالمة تعرف على الاسم وطلب المزيد من التفاصيل بصوت منفعل. لكن قبل أن يتسنى لـ سالاندر إضافة أي شيء، سُمع شخص في الخلفية يقول إن بلاغًا وصل بالفعل من تلك المنطقة: رجل انهار، يبدو أنه أصيب بنوع من النوبة خارج فندق ليدمار، وتم نقله.

— "كيف؟" قالت.

كان هناك ارتباك في الطرف الآخر، أصوات تتحدث لبعضها.

— "سيارة إسعاف أخذته؟"

— "سيارة إسعاف؟"

لجزء من الثانية شعرت بالارتياح، لكنها تداركت نفسها.

— "هل أرسلتموها أنتم؟"

— "أتوقع أننا فعلنا."

— "«تتوقع» أنكم فعلتم؟"

— "دعيني أتحقق."

مرة أخرى، أصوات في الخلفية، لكن كان من الصعب التقاط ما يقولونه. ثم عاد الرجل على الخط، متوترًا بوضوح.

— "من المتصل؟"

– "سالاندر،" قالت. "ليزبيث سالاندر."

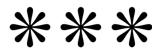
– "لا، يبدو أننا لم نفعل."

– "حسنًا، أوقفوها إذًا،" بصقت الكلمات. "الآن."

صرخت بسيل من الشتائم، وأغلقت الخط واستمعت للتسجيل في الوقت الفعلي. إنه هادئ جدًا، فكرت. فقط هدير المركبة وتنفس بلومكفيست المجهد. لم يكن هناك شيء آخر يُسمع، لا أصوات أخرى، ولكن... إذا كانت سيارة إسعاف حقًا، فهذا خيط من نوع ما، وفكرت في الاتصال بالشرطة وإثارة الجحيم. لكن لا، ما لم يكن مركز الطوارئ يعج بالحمقى، فلا بد أنهم يطاردونها بالفعل.

كان من الحيوي أن تتصرف قبل أن تختفي إشارات التتبع، وفي تلك اللحظة – تحسبًا لشكها في المعلومات التي تلقتها – بدأ صوت صفارة إنذار يعوي، ثم شيء آخر: صوت خدش، أيادٍ تفتش جيوب بلومكفيست، فكرت، متبوعًا بحركة وتنفس ثقيل. ثم ضوضاء عالية، صوت تحطم وتهشم، ليس هاتفًا يُرمى بعيدًا، بل واحد يُحطم لقطع صغيرة، ثم انقطع الإرسال. انتهى فجأة كطلقة مسدس، كانقطاع تيار كهربائي، فركلت كرسيها. أمسكت كأس الويسكي من الطاولة وقذفته نحو الجدار ليتحطم لألف قطعة. "تبًا للجحيم... تبًا!"

هزت رأسها، وتمالكت نفسها وتفقدت مكان كاميلا. لا تزال في ستراندفاغن، بالطبع. لن توسخ يديها. تبًا لها! اتصلت بـ بليج وصرخت فيه وهي ترتدي ملابسها وتحزم حقيبة ظهر بحاسوبها المحمول، ومسدسها وجهاز I.M.S.I. ثم ركلت مصباحًا ليسقط، ووضعت خوذتها ونظارة "غوغل" (Google Glass) واندفعت خارجة إلى دراجتها النارية في الساحة.



طلبت ريبيكا فورسيل النوم بمفردها. اعتقدت أن كوالسكي ويوهانس يمكنهما النوم معًا. لكنها الآن مستلقية مستيقظة في سرير ضيق، في غرفة مكتب صغيرة مكدسة بالكتب، تقرأ الأخبار على هاتفها. لا كلمة عن اختفاء يوهانس من المستشفى. كانت سعيدة لأنها اتصلت بموظفي المستشفى لتقول إنها تعتني بـ يوهانس بنفسها، وكذلك بـ كلاس بيرغ عبر خط آمن. وتجاهلت لاحقًا تحذيراته وتهديداته. للإنصاف، لم يكن لدى بيرغ أدنى فكرة عن مدى هامشية دوره في المخطط العام للأمور.

لم تكن لتكترث أقل به أو بأي من الآخرين في القيادة العسكرية العليا. كل ما أرادته هو أن تكون قادرة على استيعاب التبعات الكاملة لما سمعته، وربما أيضًا فهم سبب عدم شكها في أي شيء سابقًا. لم يكن هناك نقص في العلامات، هذا واضح لها الآن. على سبيل المثال، الأزمة التي مر بها يوهانس في مخيم القاعدة لاحقًا. بكت دموع الارتياح لأنه حي، وآمن – رغم المأساة التي حلت بالآخرين – وبالكاد استطاعت استيعاب ضخامة إنجازه. لكنه لم يرغب في الحديث عن الأمر. كل تلك الشذرات التي لم تعنِ شيئًا في ذلك الوقت ولكن يمكن الآن تجميعها لتشكل صورة جديدة كاملة. مثل تلك الأمسية في أكتوبر قبل ما يقرب من ثلاث سنوات، عندما ذهب الأولاد للنوم وكان يوهانس قد عُين للتو وزيرًا للدفاع. كانا جالسين على الأريكة في المنزل بـ ستوكسوند، وذكر كلارا إنجلمان بنبرة صوت جديدة ومقلقة.

– "لا أنفك أتساءل عما كانت تفكر فيه،" قال.

– "متى؟"

– "عندما تُركت وحيدة."

أجابت بأنه في جميع الاحتمالات لم تكن كلارا تفكر على الإطلاق – أنها كانت ميتة بالفعل على الأرجح. لكن الآن، في ظلمة الليل، فهمت ريبيكا ما كان يعنيه يوهانس، وكان ذلك أكثر مما تستطيع احتماله.

-٢٨-

١٣ مايو ٢٠٠٨

حينما أُسلمت لمصيرها للمرة الأولى، لم يدر بخلد كلارا إنجلمان أي خاطر؛ فقد انخفضت درجة حرارة جسدها إلى ثمانٍ وعشرين درجة، وبات نبض قلبها وئيدًا ومضطربًا، فلم تسمع وقع الأقدام وهي تبتعد، ولا عويل العاصفة وهي تزمجر.

كانت غارقة في غيبوبة عميقة، لم تدرك معها أنها تطوق فيكتور بذراعها، ولا حتى أن ذلك الجسد الذي تتشبث به هو جسده. كانت أعضاؤها الحيوية تتوقف عن العمل الواحد تلو الآخر في محاولة دفاعية أخيرة، ولم تكن تفصلها عن الموت إلا لحظات؛ كانت النهاية حتمية لا ريب فيها، وربما كان هذا – بشكل ما – هو كل ما تمنته.

لم يكن زوجها ستان يواري استخفافه بها، وكان يخونها علانية دون مواربة، بينما كانت ابنتهما جوليت، ذات الاثني عشر ربيعًا، تمر بأزمة هي الأخرى. لذا هربت كلارا من ذلك كله، ولجأت إلى "إيفرست" متصنعة الابتسام والبهجة كما دأبت دائمًا، بينما كانت في الحقيقة تعاني اكتئابًا حادًا. ولم تجد سببًا للتمسك بالحياة مجددًا إلا في أسبوعها الأخير؛ ولم يكن السبب حبها لـ فيكتور فحسب، بل ذلك الأمل الذي انبعث في صدرها بأنها قد تتمكن من تحطيم ستان وإلحاق الهزيمة به إلى الأبد.

كانت تشعر باستعادة قوتها وهي تتجه نحو القمة، وقد تجرعت الكثير من حساء التوت الذي سمعت عن فوائده الجمة. ولكن، لم يمضِ وقت طويل حتى بدأ جسدها يثقل بشكل غريب، وأخذت جفونها تنسدل رغما عنها، واجتاح البرد أوصالها شيئًا فشيئًا حتى انهارت في النهاية. انزلقت نحو الغياب، ولم تدرك شيئًا عن العاصفة التي هبت من الشمال لتعصف بالبعثة بأكملها. بالنسبة لها، تلاشت الساعات في غيابات الظلمة والصمت، ولم تسمع شيئًا حتى بدأ ذلك الفأس الجليدي ينقر وجهها.

لم تكن تعي حقيقة ما يجري؛ كل ما هنالك هو صوت النقر بجوارها، قريب منها لكنه في الوقت ذاته يبدو نائيًا، كأنه قادم من عالم آخر. ولكن.. فجأة انفتحت مسالك الهواء، وتلاشى وقع الأقدام، ففتحت عينيها. كانت معجزة بكل المقاييس؛ فها هي كلارا، التي تُركت جثة هامدة، تتلفت حولها وهي لا تدري أين هي، سوى أنها وجدت نفسها في جحيم مستعر. وبدأت الأشياء تعود لذاكرتها رويدًا رويدًا؛ فنظرت إلى ساقيها وحذائها، ثم إلى ذراع متجمدة في الهواء فوق خصرها، دون أن تدرك للوهلة الأولى مَن صاحب تلك الذراع، قبل أن تستوعب أنها ذراعها هي، فحاولت تحريكها لكنها لم تستجب؛ فقد كان جسدها متجمدًا. ثم وقع أمر ما دفعها للوقوف على قدميها.

تراءت لها ابنتها ماثلة أمام عينيها؛ رأتها برؤية جلية كأنها قادرة على مد يدها ولمسها. وبعد أربع أو خمس محاولات مضنية، وقفت على قدميها وبدأت تترنح هبوطًا، تائهة كمن يسير في نومه، باسطة يديها أمامها. ورغم أنها لم تكن تدرك يمينها من شمالها، إلا أنها كانت تسترشد بعويل وصرخات لا بشرية بدت كأنها ترسم لها معالم الطريق.

ولم تدرك إلا بعد فوات أوان طويل أن تلك الصرخات لم تكن إلا صرخاتها هي.

كان نيما ريتا في مكان لطالما آمن بأنه مسكون بالأرواح والأشباح، لذا لم يلقِ بالاً لتلك الصرخات. فكر في سره:

استمري في عويلك.. اصرخي كما يحلو لك.

لِمَ عاد إلى هنا بحق السماء؟ لم يصدق هو نفسه فعلته؛ فقد رآها وودعها، وانقطع كل رجاء في نجاتها. لكنه أدرك أيضًا أنه أصغى للآخرين أكثر مما ينبغي، فترك وراءه الشخص الوحيد الذي لم يكن يجدر به التخلي عنه. ربما لم يعد يكترث إن هلك هو الآخر؛ فكل ما كان يهمه هو أن يثبت لنفسه أنه لم يستسلم. وإن وافاه الأجل، فليمت بكرامة.

بلغ منه الإعياء مبلغه حتى فقد قدرته على التمييز، وأصيب بقضمات صقيع ولم يعد يبصر إلا قليلًا. لم يكن يسمع إلا صفير العاصفة والعويل وسط ضباب الثلوج. ولم يدر بخلده لثانية واحدة أن تلك الأصوات تخص "مادام"، وبينما كان يهم بالتوقف لالتقاط أنفاسه، تناهى إلى مسمعه صوت وقع أقدام في الثلج يقترب منه أكثر فأكثر.

ثم لمح شبحًا يمد ذراعيه، كأنما يستجدي الأحياء أن يمنحوه شيئًا؛ كسرة خبز، أو مواساة، أو صلاة. اقترب من الشبح، وفي اللحظة التالية ارتمى ذلك القوام بين ذراعيه بثقل مفاجئ. انهارا معًا وسط الثلوج وتدحرجا، فارتطم رأسه بالأرض.

قالت له تلك الهيئة:

— "ساعدني.. ساعدني.. يجب أن أصل إلى ابنتي."

وعندها عرف الحقيقة. لم يستوعب الأمر في البداية؛ فقد تجلى له اليقين تدريجيًا وسط ارتباكه، ثم سرت في جسده المنهك رعشة فرح مفاجئة. إنها هي.. هي حقًا. ولابد أن "ربة الجبل" قد ابتسمت له أخيرًا، فلابد أنها رأت كفاحه ومرارة ألمه. فكر في نفسه:

سيصبح كل شيء على ما يرام.

استجمع ما تبقى له من قوة، ولف ذراعيه حول خصرها وأوقفها على قدميها مجددًا، ثم أخذا يترنحان هبوطًا معًا، بينما كانت هي تصرخ، وهو يفقد صلته بالواقع شيئًا فشيئًا.

تصلب وجهه بشكل غريب، وكأنه انتقل إلى عالم آخر، لكنه ظل يسندها، أليس كذلك؟ كان يقاتل بكل ما أوتي من قوة، وكان صوت أنفاسه يشي بكفاحه المستميت. تضرعت هي إلى الله أن يكتب لها العودة إلى ابنتها، وظلت تعاهد نفسها ألا تستسلم، وألا تنهار؛ لا الآن ولا لاحقًا. حدثت نفسها:

سيمر كل هذا بسلام.

ومع كل خطوة تخطوها، كانت تقول لنفسها:

بمجرد أن أخرج من هنا حية، سأكون قادرة على مواجهة أي شيء.

ثم، وعلى مسافة أبعد في أسفل الجبل، لمحت هيئتين أخريين، مما أحيا في قلبها بصيصًا من الأمل.

أنا الآن في أمان.

أخيرًا.. لابد أنني في أمان.

-٢٩-

٢٨ أغسطس

استيقظت كاترين لينداس في الثامنة والنصف صباحًا في السرير المزدوج بفندق ليدمار، ومدت يدها لتسحب ميكائيل نحوها. لكنه لم يكن هناك، فنادت:

— "بلومبلز؟"

كان لقبًا سخيفًا أطلقته عليه في الليلة السابقة، حين لم يكن يصغي لكلمة مما تقول — "ليس في رأسك سوى أجراس زهور، يا بلومبلز" — وعلى الأقل، جعله ذلك يبتسم. عدا ذلك، وجدته غامضًا لا يمكن سبر أغواره. وهو أمر مفهوم في النهاية؛ فقد كان بصدد إجراء مقابلة حصرية مع وزير الدفاع، وكل شيء محاط بسرية تامة مع تعليمات مشفرة تُرسل إلى هاتفها. الطريقة الوحيدة لانتزاع أي كلمة منه كانت مناقشة مقابلته، وحينها فقط لم يكن يبدو بعيد المنال. وفي مرحلة ما حاول تجنيدها لمجلة «ميلينيوم». ومباشرة بعد ذلك نجحت في فك أزرار قميصه، ثم كل الأزرار الأخرى، ومارسا الحب. ثم لا بد أنها استغرقت في النوم.

— "بلومبلز؟" نادت ثانية. "ميكائيل؟"

نظرت إلى ساعتها. كان الوقت متأخرًا عما ظنت. لا بد أنه غادر منذ زمن طويل، وربما يجري المقابلة الآن. تساءلت لمَ لم تستيقظ.

لكن نومها يكون عميقًا بغرابة أحيانًا، والهدوء يعم الخارج، فلا تكاد تسمع حركة المرور. بقيت مستلقية حتى رن هاتفها المحمول.

– "كاترين لينداس،" قالت.

– "اسمي ريبيكا فورسيل،" قال صوت. "بدأنا نشعر ببعض القلق."

– "أليس ميكائيل معكم؟"

– "لقد تأخر نصف ساعة وهاتفه مغلق."

– "هذا غريب،" قالت.

كان غريبًا جدًا. لم تكن تعرف بلومكفيست بذلك القدر، لكنه بالتأكيد لن يتأخر نصف ساعة عن اجتماع حاسم كهذا.

– "ألا تعرفين أين يمكن أن يكون؟" قالت ريبيكا فورسيل.

– "كان قد غادر بالفعل عندما استيقظت."

– "حقًا؟"

التقطت ليندلس نبرة خوف في صوت المرأة.

– "بدأت أشعر بالقلق،" قالت كاترين.

أو "بالبرد"، هل هذا ما كان ينبغي أن تقوله؟ برد قارس.

– "هل لديكِ سبب معين للقلق؟ بخلاف تأخره؟" قالت ريبيكا فورسيل.

– "حسنًا..." تسارعت أفكارها. "في الأيام القليلة الماضية لم يرغب في البقاء بمنزله. اعتقد أنه مراقب،" قالت.

– "هل بسبب هذا الأمر مع يوهانس؟"

– "لا، لا أظن ذلك."

لم تكن ليندلس واثقة من القدر الذي ينبغي لها قوله، ثم قررت أن تكون صريحة تمامًا.

– "الأمر يتعلق بصديقته، ليزبيث سالاندر. هذا كل ما أعرفه."

– "يا إلهي."

– "لماذا تقولين ذلك؟"

– "إنها قصة طويلة. ولكن أتعلمين..." بدت متأثرة. "أحببت ما كتبتِهِ عن يوهانس."

– "شكرًا لكِ."

– "وأستطيع أن أرى لماذا يثق بكِ ميكائيل."

لم تذكر لينداس كم مرة أقسمت تلك الليلة بكل ما هو غالٍ عليها بأنها لن تنبس بكلمة عن القصة لأحد، وفي كل مرة بدا وكأنه لا يصدقها.

– "هل يمكنك الانتظار لحظة؟"

انتظرت لينداس، لكنها ندمت فورًا. لا يمكنها الجلوس هكذا، عليها الاتصال بالشرطة وربما بـ إريكا بيرغر أيضًا. بحلول الوقت الذي عادت فيه ريبيكا فورسيل، كانت على وشك إنهاء المكالمة.

– "نتساءل إن كان بإمكانكِ المجيء إلى هنا بنفسك،" قالت ريبيكا.

– "أفكر في أنه يجب علي الاتصال بالشرطة."

– "ربما يجب عليكِ ذلك. لكننا... أعني، مضيفنا هنا... لدينا أيضًا أشخاص يمكنهم التحقيق في الأمر."

– "لا أدري..." قالت.

– "في الواقع نعتقد أنه سيكون أكثر أمانًا لو جئتِ إلى هنا الآن. سنرسل سيارة، إذا أعطيتنا العنوان."

عضت ليندا شفتها وتذكرت الرجل الذي رأته في الاستقبال بالأسفل. استعادت شعورها بأنها متبوعة في طريقها إلى الفندق.

– "حسنًا،" قالت، وأعطتها العنوان.

بعد لحظات طُرق باب غرفتها بالفندق.

***

كان بوبلانسكي قد اتصل للتو بوكالة أنباء T.T، آملًا أن تجلب نشرة إخبارية بعض الخيوط من الجمهور. رغم أنهم عملوا بجد منذ الصباح الباكر، لم يكن لديهم أدنى فكرة عن مكان بلومكفيست. عرفوا أنه قضى الجزء الأخير من المساء في فندق ليدمار دون أن يراه أحد، بما في ذلك موظفو الاستقبال.

غادر الفندق بعد الثانية صباحًا بقليل. كان هناك مقطع قصير من كاميرات المراقبة (C.C.T.V) لم يكن واضحًا تمامًا، لكنه أظهر بلا شك بلومكفيست بحالة جيدة – رصينًا على الأرجح، منفعلًا قليلًا، ويده تنقر على فخذه. لكن بعد ذلك حدث شيء مشؤوم: توقفت كاميرات المراقبة عن العمل. ماتت ببساطة. لحسن الحظ كان هناك شهود آخرون – شابة تدعى أغنيس سولبرغ، على سبيل المثال، كانت تنظف في الشرفة.

رأت أغنيس رجلًا في منتصف العمر يخرج من الفندق. لم تتعرف عليه كـ ميكائيل بلومكفيست، لكنها سمعت بعد ذلك رجلًا أكبر سنًا، نحيلًا ببدلة فاتحة اللون يخاطبه. كان الرجل جالسًا في الطرف الأقصى من البار، وظهره لها. بعد فترة وجيزة سمعت خطوات سريعة، وربما صوت شخص يصرخ. عندما التفتت رأت رجلًا آخر، شابًا أكثر امتلاءً يرتدي سترة جلدية وسروال جينز.

في البداية ظنته شخصًا طيبًا هرع للمساعدة. رأت بلومكفيست — أو الرجل الذي فهمت لاحقًا أنه هو — ينهار في الشارع، وسمعت صوتًا يشير إلى "نوبة صرع" باللغة الإنجليزية. ولأنها لم تكن تحمل هاتفها، ركضت للداخل للاتصال بخدمات الطوارئ.

بعد ذلك اضطروا للاعتماد على شهود آخرين، بمن فيهم زوجان يدعيان كريستوفرسون أبلغا عن رؤية سيارة إسعاف تخرج من شارع هوفسلاغارغاتان. رُفع بلومكفيست إلى سيارة الإسعاف على نقالة، وربما لم يكن الزوجان ليلقيا بالًا للأمر لولا أنهما صدما بالطريقة المهملة التي عومل بها جسده. والطريقة التي قفز بها الرجال إلى السيارة لم تبدُ لهما "طبيعية".

سيارة الإسعاف، التي اتضح أنها سُرقت قبل ستة أيام في نورسبورغ، التقطتها الكاميرات لاحقًا على طريق كلارابيرغسليدن، متجهة شمالًا على طريق E-٤ السريع وصفارات الإنذار تدوي. لكنها اختفت عن الأنظار بعد ذلك. كان بوبلانسكي وفريقه مقتنعين بأن الجناة بدلوا السيارات بعد ذلك. لم يُعرف شيء على وجه اليقين، باستثناء أن سالاندر نفسها أبلغت خدمات الطوارئ. لم يكن بوبلانسكي سعيدًا بذلك.

كيف عرفت سالاندر بالحادث بهذه السرعة؟ جعله ذلك يشك في أنها مرتبطة بالاعتداء بطريقة ما، ولم يشعر بتحسن حتى بعد التحدث إليها. كان سعيدًا بالطبع لأنها اتصلت؛ كان ممتنًا لأي معلومة. لكنه لم يحب ما سمعه في صوتها — الغضب، الحنق المتفجر، ومهما قال لها مرارًا: "ابقي بعيدة عن هذا، دعينا نتولى الأمر،" لم يبدُ أن الكلمات تصلها. وكان متأكدًا أنها لم تخبره بكل شيء. كان مقتنعًا أنها في خضم

عملية خاصة بها، فلعن حين أنهيا المكالمة ولعن مرة أخرى الآن وهو جالس في قاعة المؤتمرات مع زملائه سونيا موديغ، ييركر هولمبيرغ، كيرت سفينسون وأماندا فلود.

— "ماذا كان ذلك؟" سأل.

— "كنت أتساءل كيف أمكن لـ سالاندر معرفة تعرض بلومكفيست للهجوم بهذه السرعة،" قال هولمبيرغ.

— "ظننت أنني أخبرتكم."

— "قلت إنها فعلت شيئًا بهاتفه."

— "صحيح، عبثت به — بموافقته. حتى تتمكن من التنصت عليه ومعرفة مكانه، على الأقل حتى أغلقوا هاتفه."

— "ما قصدته حقًا هو، كيف تمكنت من التصرف بهذه السرعة،" قال هولمبيرغ. "يبدو الأمر... لا أدري، وكأنها كانت تنتظر حدوث شيء كهذا."

— "قالت إنها كانت خائفة من حدوثه،" قال بوبلانسكي. "مثل أسوأ سيناريو محتمل. نادي سفافيلسيو للدراجات النارية كان يراقب بلومكفيست، سواء في بيلمانسغاتان أو في ساندهامن."

— "ولا نزال لا نملك شيئًا ضد النادي؟"

— "أيقظنا الرئيس، ماركو ساندستروم، هذا الصباح. لكنه ضحك علينا فقط. قال إنك يجب أن تكون انتحاريًا لتلاحق بلومكفيست. نحاول تعقب الأعضاء الآخرين وسنراقبهم. حتى الآن، لم نتمكن من ربط أي منهم بالحادث، بخلاف ملاحظة أن الوصول للعديد منهم كان مستحيلًا."

– "ولا نعرف لماذا كان بلومكفيست في فندق ليدمار أصلًا؟" قالت فلود.

– "لا، ليست لدينا فكرة. لدينا أشخاص هناك الآن. لكن يبدو أن بلومكفيست كان كتومًا للغاية مؤخرًا. حتى زملاؤه في «ميلينيوم» لم يعرفوا ما يفعله. إريكا بيرغر تقول إنه في نوع من الإجازة. يبدو أنه كان يعمل بشكل أساسي على قصته عن الشيربا."

– "التي قد تكون لها علاقة بـ فورسيل."

– "قد تكون بالفعل، وهذا جعل الاستخبارات العسكرية (Must) متوترة، وكذلك الأمن السري (Säpo)."

– "هل يمكن أن تكون عملية أجنبية؟" قال سفينسون.

– "حقيقة اختراق كاميرات المراقبة توحي بذلك. ولا يعجبني استخدامهم لسيارة إسعاف مسروقة، هذا يبدو حقًا كاستفزاز، لكن في جميع الاحتمالات..."

– "... هناك صلة بـ سالاندر،" استنتجت موديغ.

– "هذا ما نعتقده جميعًا،" قال هولمبيرغ.

– "ربما نعتقد ذلك،" قال بوبلانسكي، وغرق في التفكير. ما الذي تخفيه سالاندر عنه؟

***

لم تخبر سالاندر بوبلانسكي عن شقة ستراندفاغن. كانت تأمل أن تقودها كاميلا إلى بلومكفيست، ولم ترد أن تفسد الشرطة الأمر عليها. لكن حتى الآن، بقيت كاميلا في مكانها. ربما كانت تنتظر نفس الشيء الذي تنتظره سالاندر، الشيء الذي تخشاه سالاندر: صور لـ بلومكفيست وهو يعذب ومطالبة بمقايضة، هي مقابل هو، أو أسوأ.

صور لـ بلومكفيست ميتًا وتهديدات بقتل آخرين مقربين منها ما لم تسلم نفسها لهم.

خلال الليل، تواصلت سالاندر مع أنيكا جيانيني، دراغان أرمانسكي، ميريام وو واثنين آخرين – حتى بولينا، التي يفترض أن لا أحد يعرف عنها – وأخبرتهم بالذهاب لمكان آمن. لم يكن الأمر ممتعًا، لكنها فعلت ما توجب عليها فعله.

لم تكن لديها أدنى فكرة إلى أين أخذوا بلومكفيست، سوى أنه يبدو شمالًا، ولهذا كانت تقيم في فندق كلاريون بمطار أرلاندا، في نفس الاتجاه على الأقل. لكنها كانت غير مدركة للغرفة التي هي فيها أو للفندق بقدر عدم إدراكها لأي شيء آخر، ولم يغمض لها جفن.

أمضت ساعات أمام المكتب تحاول العثور على أثر، ثغرة ما، ولم يحدث إلا الآن، حين تلقت إشارة أخيرًا، فجلست مستقيمة في كرسيها. كاميلا تغادر الشقة في ستراندفاغن. هذه فتاتي، فكرت. أرجوكِ كوني مهملة قليلًا الآن، وخذيني إليه. لكن ذلك كان أملًا مفرطًا. كاميلا لديها بوغدانوف، وبوغدانوف في نفس مستوى بليج.

لذا حتى لو أرتها أختها الطريق لمكان ما، فلن يكون ذلك بالضرورة اختراقًا. قد يكون فخًا بنفس القدر. محاولة لاستدراجها. كان عليها الاستعداد لكل شيء، لكن الآن... عيناها مثبتتان على الخريطة. السيارة التي تقل كاميلا تسلك نفس الطريق الذي سلكته سيارة الإسعاف بالأمس، متجهة شمالًا على طريق E-٤ السريع. هذا واعد. يجب أن يكون كذلك. حزمت سالاندر أشيائها ونزلت لتسجيل الخروج، قبل أن تنطلق بسرعة جنونية على دراجتها "الكاواساكي".

***

لفت كاترين ليندا س نفسها برداء حمام وذهبت لفتح الباب.

وجدت شرطيًا بزي رسمي يقف بالخارج، شابًا بشعر أشقر مفروق بعناية، فتمتمت بتوتر "صباح الخير".

– "نريد التحدث إلى الأشخاص في هذا الفندق الذين ربما رأوا أو كانوا على اتصال بالصحفي ميكائيل بلومكفيست،" قال ضابط الشرطة، وشعرت فورًا أنه يرتاب فيها، وربما يعاديها. كانت عيناه تشعان بالثقة ووقف منتصبًا، وكأنه يستعرض طوله وقوته.

– "ماذا حدث؟" قالت، وكان الخوف واضحًا في صوتها.

اقترب الشرطي وتفحصها بنظرة تعرفها جيدًا. واجهتها مرات عديدة أثناء تجوالها في المدينة، النظرة التي تريد تجريدها من ملابسها وإيذاءها في آن واحد.

– "ما اسمك؟"

كان ذلك جزءًا من الاستفزاز. استطاعت أن ترى أنه يعرف تمامًا من هي.

– "كاترين ليندا س،" قالت.

دون الاسم في دفتر ملاحظات.

– "كنتِ معه هنا، أليس كذلك؟ هل قضيتما الليلة معًا؟"

ما علاقة ذلك بالأمر؟ أرادت أن تصرخ. لكنها كانت خائفة، فتراجعت إلى الغرفة وأوضحت أن بلومكفيست كان قد غادر بالفعل عندما استيقظت ذلك الصباح.

– "هل سجلتِ الدخول باسم مستعار؟"

حاولت التنفس بهدوء وتساءلت عما إذا كان من الممكن حتى إجراء محادثة عقلانية معه، خاصة الآن وقد اقتحم الغرفة بغطرسة.

– "وهل لديك اسم؟" قالت.

– "ماذا؟"

– "لا أذكر أنك عرفت بنفسك."

– "المفتش كارل فيرنرسون، من شرطة نورمالم."

– "جيد يا كارل،" قالت. "في هذه الحالة ربما يمكنك أن تبدأ بإخباري بما يجري؟"

– "ميكائيل بلومكفيست تعرض لهجوم خارج هذا الفندق أثناء الليل واختُطف، لذا ستدركين أننا نأخذ هذا الأمر بجدية بالغة."

شعرت وكأن الجدران تطبق عليها.

– "يا إلهي،" قالت.

– "لذا من الأهمية القصوى أن تعطينا سردًا صادقًا لما حدث قبل ذلك."

جلست على السرير.

– "هل هو مصاب؟"

– "لا نعرف. لم تجيبي على سؤالي،" قال.

كان قلبها يخفق بشدة وتلعثمت بحثًا عن كلمات.

– "كان ذاهبًا لاجتماع مهم هذا الصباح، لكني اكتشفت للتو أنه لم يظهر أبدًا."

– "أي نوع من الاجتماعات؟"

أغمضت عينيها. لماذا تتصرف بحماقة؟ أقسمت ألا تخبر أحدًا. لكنها كانت مرعوبة ومشوشة، دماغها لا يعمل بشكل صحيح.

– "لا أستطيع إخبارك، أنا أحمي مصدرًا،" قالت.

– "إذًا ترفضين التعاون؟"

كانت تكافح للتنفس ونظرت من النافذة، تتلمس مخرجًا من الموقف. لكن فيرنرسون ساعدها دون قصد بالتحديق في صدرها، مما جعلها تستشيط غضبًا.

– "سأكون سعيدة بالتعاون. لكن قبل أن أفعل، أريد التحدث إلى شخص لديه معرفة أولية بقانون حماية المخبرين، ويحاول على الأقل إظهار بعض الاحترام لأشخاص تلقوا أخبارًا صادمة عن شخص مقرب منهم."

– "عما تتحدثين؟"

– "أقول لك اتصل برؤسائك واغرب عن وجهي."

بدا فيرنرسون وكأنه يريد اعتقالها فورًا.

– "الآن،" قالت، وغضبها يزداد، وتمتم هو بـ "حسنًا" بالفعل، رغم أنه لم يستطع مقاومة إضافة:

– "لكنكِ ستبقين هنا."

دون إجابة، فتحت الباب لتطرده، ثم جلست على السرير في صمت مذهول. أيقظها طنين هاتفها. كان خبرًا عاجلًا من سفينسكا داغبلادت:

الاعتداء على صحفي شهير واختطافه خارج فندق ليدمار في ستوكهولم

لبضع دقائق استغرقت في قراءة التقارير. كانت العناوين العريضة في كل مكان لكن المحتوى شحيح جدًا في القصص نفسها، فقط معلومة أنه قيل إنه نُقل في سيارة إسعاف، سيارة إسعاف لم يطلبها أحد. بدا الأمر... لا يصدق. ماذا بحق الجحيم يجب أن تفعل؟ أرادت الصراخ. ثم تذكرت شيئًا، شيئًا سمعته في الليل: صوت من الحمام،

همس، كما اعتقدت، صيحة من ميكائيل. ربما حتى همست هي ردًا: "ماذا تفعل؟"

أم كانت تحلم؟ لا يهم. الهمس قد يكون له علاقة بمغادرته لغرفتهما. التقارير قالت إنه اختُطف خارج الفندق حوالي الساعة ٢:٠٠ صباحًا، مما يعني – كانت تحاول التفكير بوضوح – أن شيئًا ما كان يقلقه. خرج، تاركًا إياها وحيدة، وهوجم فورًا. هل كان فخًا، خدعة لإخراجه؟ تبًا، تبًا. ما الذي يجري؟ ماذا حدث؟

فكرت في المتسول، وفي ريبيكا فورسيل والصوت اليائس لنبرتها، وحماس ميكائيل الليلة الماضية بشأن المقابلة. فليذهب ذلك الشرطي المعتوه للجحيم. بحزم، ارتدت ملابسها وحزمت أغراضها، ثم نزلت ودفعت الفاتورة في الاستقبال قبل أن تُنقل بسرعة في سيارة دبلوماسية سوداء تابعة للسفارة البريطانية كانت بانتظارها. لم يكن هناك أثر آخر للشرطي البغيض.

-٣٠-

٢٨ أغسطس

كانت الغرفة ذات السقف الشاهق تعج بالحرارة، ولهيب النار يتأجج داخل فرن غاز ضخم. لم يتسلل ضوء النهار إلى هذا المبنى الذي لم تضئه سوى بضع كشافات متفرقة. كانت النوافذ الزجاجية الكبيرة إما ملونة أو غطاها السخام؛ فراح ميكائيل بلومكفيست يجيل بنظره في أنحاء المكان، متفحصًا الأعمدة الخرسانية والهياكل الحديدية، وشظايا الزجاج المتناثرة على الأرض، والحواف المعدنية اللامعة للفرن التي عكست صورته.

انتهى به المطاف في موقع صناعي مهجور، لعله مصنع قديم للزجاج يقع على مسافة ما من ستوكهولم، لكنه لم يملك أدنى فكرة عن موقعه تحديدًا. فكر في أن الرحلة لم تكن قصيرة؛ فقد استبدلوا السيارات مرة أو مرتين، ورغم أنه كان تحت تأثير مخدر قوي، إلا أنه لم يحتفظ سوى بذكريات مجزأة عن الليل والصباح. والآن يقبع هنا، مكبلاً إلى فراش سفري أو نقالة، على مقربة من فوهة الفرن.

صرخ ملء فمه:

– "النجدة! بحق المسيح، هل من أحد هنا؟!"

لم يكن يؤمن أن صراخه سيجدي نفعًا، لكنه كان مضطرًا لفعل أي شيء سوى التلوي والعرق تحت الأحزمة الجلدية، بينما يشعر بحرارة

النار تلفح قدميه. وإلا فسيجن جنونه. كان للفرن فحيح كفحيح الأفاعي، وقد تملكه الرعب. قميصه غرق في العرق وريقه جف، والآن.. ما هذا؟ سمع صوت تهشم، ووقع أقدام تسحق شظايا الزجاج. كانت الخطوات تقترب، وأدرك على الفور أنها لا تحمل معها أي أمل في النجاة؛ بل على العكس، كانت خطوات وئيدة متبخترة، يرافقها صوت صفير.

أي نوع من البشر يصفر في وضع كهذا؟

– "صباح الخير يا ميكائيل."

كان هو الصوت الإنجليزي نفسه الذي خاطبه على الشرفة في المساء السابق. ومع ذلك، لم يستطع رؤية أحد. ربما كان ذلك مقصودًا، ربما لم يرغبوا في الكشف عن وجوههم. أجاب بالإنجليزية:

– "صباح الخير."

توقف وقع الأقدام وانقطع الصفير، والتقطت أذنا بلومكفيست صوت أنفاس، وشم ريح "عطر ما بعد الحلاقة" خفيفًا، فوطن نفسه لكل ما قد يأتي؛ ضربة، أو طعنة، أو دفعة للنقالة – التي بدت وكأنها تستند إلى عربة تسير على قضبان – لتقذف بقدميه داخل الفرن. لكن شيئًا لم يحدث.

قال الرجل:

– "لم أكن أتوقع ردًا بمثل هذه الحفاوة."

لم ينبس بلومكفيست ببنت شفة.

قال الصوت:

– "هكذا كانت نشأتي."

تمتم بلجاجة:

– "ماذا تقصد؟"

– "أن أتظاهر دائمًا بالهدوء، مهما حدث. لكن هذا ليس ضروريًا هنا حقًا. فأنا أفضل الصراحة، ولا أمانع في الاعتراف بأنني أشعر بشيء من.. عدم الارتياح. نوع من المقاومة الداخلية."

سأله بلومكفيست:

– "ولِمَ ذلك؟"

– "أنا معجب بك يا ميكائيل. أحترم تقديسك للحقيقة، وهذا الأمر.."

سكت لحظة ليضفي تأثيرًا على كلامه، ثم تابع:

– "..كان ينبغي أن يظل مجرد شأن عائلي بسيط. ولكن، كما هو الحال غالبًا في صراعات الدم، يُجرُّ آخرون إلى المعمعة."

لاحظ بلومكفيست أن جسده بدأ يرتجف.

قال متأوهًا:

– "أنت تتحدث عن زالا."

– "نعم بالفعل، الرفيق زالاتشينكو. لكنك لم تقابله قط، أليس كذلك؟"

– "لا."

– "أعتقد أنه يجدر بي تهنئتك على ذلك. لقد كانت تجربته مهيبة، لكنها تركت ندوبًا لا تُمحى."

– "هل كنت تعرفه؟"

– "كنت أحبه. لكن لسوء الحظ، كان حبه كحب إله؛ لا تنال منه شيئًا في المقابل، سوى وهج يبهر الأبصار، ويجعلك أحمق وضريرًا."

ردد بلومكفيست وهو يكاد يعي ما يقول:

– "ضريرًا؟"

– "بالضبط، ضريرًا ومجنونًا. وأخشى أنني لا أزال أحمل شيئًا من كليهما. لم يكن من الممكن قطع صلتي بـ زالاتشينكو، ولديَّ نزعة للمخاطرة غير المحسوبة. لا ينبغي لأي منا، أنا أو أنت، أن نكون هنا يا ميكائيل."

– "إذن لِمَ نحن هنا؟"

– "الإجابة البسيطة هي الانتقام. وصديقتك يمكنها أن تحدثك قليلًا عن قوته التدميرية."

قال:

– "ليزبيث."

– "بالضبط."

– "أين هي؟"

– "أين هي فعلاً؟ هذا هو السؤال الذي يراودنا تمامًا."

ساد صمت آخر، طويل بما يكفي ليخشى بلومكفيست أن يظهر الرجل مدى عماه وجنونه. وبدلاً من ذلك، تقدمت تلك الهيئة، وكان أول ما لاحظه بلومكفيست هو البدلة الكتان البيضاء، وهي نفسها التي كان يرتديها الرجل في المساء السابق. تملكه الرعب وهو يتخيل دماءه تلطخ تلك السترة. ثم رأى الوجه؛ كان وجهًا متناسقًا وواضح الملامح، بعينين غير متماثلتين تمامًا، وندبة شاحبة تمتد على خده الأيمن. كان للرجل شعر رمادي كثيف تخالطه خصلات بيضاء كالثلج. كان طويلاً، نحيفًا، دقيق البنية. في سياق آخر، كان يمكن اعتباره مثقفًا غريب الأطوار، يشبه إحدى شخصيات توم وولف. ولكن في هذه اللحظة، كان يفوح منه برود جليدي منفر، وتتجلى في حركاته رتابة غير طبيعية.

قال بلومكفيست:

– "لا أظنك وحدك."

– "هناك بضعة أوغاد هنا أيضًا، شبان لا يرغبون – لسبب غير مفهوم – في إظهار وجوههم. ولدينا كاميرا هناك في الأعلى."

أشار الرجل نحو السقف.

– "إذن ستقوم بتصويري؟"

قال الرجل، منتقلاً فجأة وبشكل غير مفهوم إلى السويدية:

– "لا تقلق بشأن ذلك يا ميكائيل. انظر للأمر كشيء خاص تمامًا بيني وبينك، نوع من الحميمية."

كان جسد بلومكفيست يرتعد أكثر فأكثر.

قال بهلع:

– "أنت تتحدث السويدية."

وكأن قدرة الرجل على الانتقال من لغة إلى أخرى أكدت انطباعه عنه بأنه الشيطان بعينه.

– "أنا عالم لغويات يا ميكائيل."

– "حقًا؟"

– "بالفعل. ولكن أنا وأنت سنرتحل إلى ما وراء اللغة."

فرد قماشًا أسود كان يمسكه بيده اليمنى، وراح يصفُّ بعض الأدوات اللامعة على الطاولة الفولاذية بجانبه.

– "ماذا تقصد بذلك؟"

كان اليأس يتسلل إلى نفس بلومكفيست وهو يتلوى فوق النقالة ويحدق في النار الفحيحة وفي انعكاس وجهه الملتوي الذي بدا بالكاد في الإطار المعدني للفرن.

تابع الرجل حديثه:

– "هناك الكثير من الكلمات الرائعة لمعظم الأشياء في الحياة. خاصة للحب، وأنا متأكد أنك توافقني الرأي. لابد أنك قرأت كيتس وبايرون وغيرهما في شبابك، وأقول إنهم أجادوا في وصف الحب. ولكن الألم المطلق يا ميكائيل، هو ما وراء الكلمات. لم يستطع أحد وصفه، ولا حتى أعظم الفنانين، وهذا هو المكان الذي نتجه إليه؛ إلى ما وراء البيان."

***

كان يوري بوغدانوف يجلس في المقعد الخلفي لسيارة مرسيدس سوداء متجهة شمالاً نحو ميرستا، وهو يعرض لـ كيرا مقطع الفيلم. كانت تشاهده بعينين ضيقتين، ولم يطق بوغدانوف صبرًا ليرى علامات الإثارة التي لا تخطئها العين في وجهها كلما رأت أعداءها يتألمون.

لكن لم يكن هناك أي أثر لذلك، بل بدت عليها ملامح الصبر النافد، وهذا لم يكن يبشر بالخير. لم يكن يثق في غالينوف وكان موقنًا أن الأمور قد تجاوزت حدها. لن يجني أحد خيرًا من ملاحقة بلومكفيست. كانت العواطف الجياشة طاغية، ولم يرق له مظهر كيرا الحازم.

قال لها:

– "بماذا تشعرين؟"

– "هل سترسل المقطع إليها؟"

– "عليَّ أولاً تأمين الرابط. ولكن بصدق يا كيرا.."

تردد قليلًا؛ كان يعلم أنها لن يعجبها كلامه فتجنب النظر في عينيها.

تابع قائلًا:

– "يجب أن تبتعدي عن ذلك المكان. علينا أن نعيدكِ إلى الوطن الآن، وفورًا."

– "لن أرحل إلى أي مكان حتى تموت."

بدأ قائلاً:

– "أعتقد.."

بأنها لن تسمح بوقوعها في الأسر بهذه السهولة، هذا ما أراد قوله. بأنكِ تستهينين بها. لكنه لم يزد حرفًا. لم يكن بوسعه أن يسمح لكلمة أو نظرة أن تفشي إعجابه الحقيقي بـ سالاندر، أو "واسب" كما عرفها. هناك مخترقون جيدون، وهناك عباقرة، ثم هناك "واسب". هكذا كان يراها. وبدلاً من الكلام، انحنى للأمام وأخرج صندوقًا معدنيًا أزرق.

سألت:

– "ما هذا؟"

– "صندوق عازل للضجيج. 'قفص فاراداي' لهاتفك المحمول. يجب ألا نترك أي أثر."

نظرت كيرا عبر النافذة ووضعت هاتفها في الصندوق. ثم جلسا في صمت، يحدقان في السائق وفي المناظر الطبيعية العابرة، حتى طلبت كيرا رؤية المزيد مما يحدث داخل المبنى الصناعي في مورجون سالا، فأراها بوغدانوف.

كانت صورًا يتمنى لو لم يرها قط.

***

كانت سالاندر تمر للتو بـ نورفيكن عندما انقطعت الإشارة عن نظاراتها (Google Glass)، فشتمت وضربت مقود الدراجة بيدها

اليمنى. كانت تتوقع حدوث ذلك، فخففت من سرعتها حتى لمحت رقعة صغيرة من الأشجار بجانب استراحة على الطريق بها مقعد وطاولة خشبيان. استقرت هناك مع حاسوبها المحمول، آملة أن تجني الآن ثمار تلك الساعات الطويلة التي قضتها في تتبع حاشية كاميلا ذلك الصيف.

كانت العملية لتصبح مستحيلة لولا خدمات أعضاء نادي سفافيلسيو للدراجات النارية (Svavelsjö M.C.)، ورغم أن سالاندر افترضت أنهم لا يحملون سوى هواتف مسبقة الدفع، إلا أنها أرادت أن تؤمن بأن أحدهم لابد أن يرتكب خطأً صغيراً في مكان ما. حاولت مجدداً تتبع الرجال الذين زاروا كيرا في شارع ستراندفيجن: ماركو، ويورما، وكوني، وكريل، وميرو. ومرة أخرى لم تصل لشيء، رغم أنها اخترقت مشغل الشبكة الخاص بهم وكان بإمكانها الوصول إلى محطات البث. ضربت الطاولة الخشبية بقبضتها غيظاً، وكانت على وشك الاستسلام والبحث عن حل آخر، عندما تذكرت فجأة بيتر كوفيتش.

من بين جميع أعضاء النادي، كان كوفيتش صاحب السجل الإجرامي الأسوأ، ويُقال إن لديه مشاكل مع الكحول والنساء والانضباط. لم تره في أي مكان بالقرب من شارع ستراندفيجن، لكنه كان أحد الرجال الذين تواجدوا في شارع فيسكارجاتان ذلك الصيف، فجربت هاتفه المحمول أيضاً. وبعد وقت قصير، صرخت صرخة انتصار. ففي وقت مبكر من ذلك الصباح، سلك كوفيتش الطريق نفسه الذي تسلكه كاميلا الآن، إلا أنه واصل المسير شمالاً نحو أوبسالا،

متجاوزاً ستورفريتا وبيورك لينجي. وبينما كانت على وشك الفحص بدقة أكبر، رن الهاتف.

في البداية لم تنوِ الرد، لكن المتصل كانت إريكا بيرغر من مجلة ميلينيوم. لم تسمع سوى صراخ إريكا، والكلمات الوحيدة التي استطاعت تمييزها كانت:

– "إنه يحترق.. إنه يحترق!"

بدأت تستوعب ما يحدث.

– "لقد قذفوا به في فرن ضخم. إنه يصرخ، إنه في عذاب أليم، ويقولون.. لقد كتبوا—"

– "ماذا؟"

– "أنهم سيحرقونه حياً ما لم تقابليهم أنتِ يا ليزبيث في الغابة خارج سونيرستا. يقولون إنهم إذا رأوا أي شرطة في المنطقة، أو أي شيء مريب، فسيموت ميكائيل ميتة شنيعة.. ثم سيلاحقون الآخرين المقربين منكِ ومن ميكائيل، ولن يتوقفوا حتى تسلمي نفسكِ. يا إلهي يا ليزبيث، الأمر مروع للغاية. قدماه—"

– "سأجده، هل تسمعينني؟ سأجده!"

– "طلبوا مني إرسال الفيلم إليكِ، وعنوان بريد إلكتروني للتواصل معهم. ليزبيث، عليكِ أن تخبريني بما يحدث!"

أغلقت سالاندر الخط؛ فلا وقت لديها. كانت بحاجة للعودة إلى بيتر كوفيتش. الليلة الماضية سلك الطريق نفسه الذي تسلكه كاميلا الآن، لكنه ذهب شمالاً على الطريق السريع E-٤ نحو تيرب وجافل، وهذا كان مشجعاً. في الواقع، بدأت الأمور تبدو واعدة، وبينما كانت تنقر بأصابعها على الطاولة، تمتمت:

– "هيا أيها السكير اللعين.. قدني إليهم."

لكن الأثر انقطع في مانكاربو. حدقت سالاندر في الطريق بذهول، وبدا عليها الغضب الشديد لدرجة أن شاباً توقف للتو في الاستراحة بسيارة رينو أصيب بالذعر وانطلق مبتعداً. لم تلحظه حتى. وبفكين مطبقين، شاهدت الفيلم الذي أرسلته بيرغر، ورأت لقطة مقربة لـ بلومكفيست.

كانت عيناه مفتوحتين على اتساعهما، وبياضهما شديداً كأن حدقتيه قد اختفتا في محجريهما، وكان وجهه بالكامل مشدوداً ومشوشاً لدرجة يصعب التعرف عليها. كان العرق يتصبب منه، من ذقنه، ومن شفتيه، وصدر قميصه كان مبللاً تماماً، بينما تحركت الكاميرا أسفل جسده نحو بنطاله الجينز وقدميه. كان يرتدي جوارب حمراء تُدفع ببطء نحو فرن ضخم من الطوب البني فيه نار تستعر وتفح. اشتعلت النيران في الجوارب وأطراف البنطال، وبعد برهة زمنية بدت دهراً، وكأن بلومكفيست كان يحبسها لأطول فترة ممكنة، انطلقت صرخة جنونية تمزق نياط القلب.

لم تنطق سالاندر بكلمة، ولم تحرك ساكناً تقريباً. لكن يدها، التي بدت في تلك اللحظة كالمخلب، حفرت ثلاثة أثلام غائرة في الطاولة أمامها. ثم قرأت الرسالة التي أرسلوها، وفحصت عنوان البريد الإلكتروني – كان مجرد هراء مشفر لعين – وأرسلت كل ذلك إلى بليج مع بعض التعليمات المقتضبة، وصورة لـ بيتر كوفيتش وخريطة للطريق E-٤ وشمال أوبلاند.

ثم حملت حاسوبها وسلاحها، ووضعت نظارات جوجل وانطلقت نحو تيرب.

صرخت إريكا بيرغر في الهاتف:

– "ليزبيث، عليكِ أن تخبريني بما يحدث!"

لكن الأشخاص الوحيدين الذين استطاعوا سماعها هم زملاؤها المجتمعون في مكاتب المجلة في شارع جوتجاتان، وكان بوسعهم تمييز أنها قد فقدت صوابها. كانت صوفي ميلكر، التي تقف على مقربة منها، تخشى أن تنهار إريكا، فأسرعت لتضع ذراعها حولها. كانت بيرغر تحاول يائسة التركيز لوضع خطة للتحرك. لقد كتبوا لها ألا تتصل بالشرطة تحت أي ظرف من الظروف. ولكن هل كان ذلك خياراً حقاً؟ لم يكن هذا أسوأ ما رأته في حياتها فحسب، بل كان بلومكفيست، صديق عمرها وحبها الكبير، ولم تكن مستعدة لهذا على الإطلاق. كانت قد تفقدت بريدها الإلكتروني بتلك الطريقة العفوية التي يفعلها المرء دون وعي، مجرد رد فعل غريزي، ثم فجأة، هذا..

عندما اتصلت بـ سالاندر، لم تكن قد استوعبت الأمر بعد، ولم تستبعد احتمال أن يكون مجرد مزحة سمجة، أو مقطع فيلم مفبرك. لكن أي أفكار من هذا القبيل تبددت على الفور عندما سمعت صوتها وفهمت أن هذا هو بالضبط ما كانت تتوقعه سالاندر: الشر المطلق.

كان الأمر لا يوصف، فشتمت بصوت عالٍ وبشكل غير مفهوم، ولم تدرك إلا حينها، كأنها كانت في بُعد آخر تماماً، أن صوفي كانت تحتضنها. للحظة خاطفة فكرت في إخبار الفريق بما يحدث تماماً، لكنها نفضت نفسها وتمتمت:

– "آسفة، أحتاج لأن أكون بمفردي. سأشرح لكم لاحقاً."

ثم دخلت مكتبها وأغلقت الباب بقوة، ولم تكن بحاجة حتى لقول ذلك: لن تنجو إذا تسبب أي فعل تقوم به في فقدان بلومكفيست

لحياته. لكن هذا لم يكن يعني أن تجلس مكتوفة الأيدي، ولا أن تتبع تعليمات العصابة ببساطة. كانت بحاجة إلى.. ماذا؟.. التفكير! التركيز بالطبع، أليس هذا هو النمط المعتاد دائماً في مثل هذه الجرائم؟

الجناة لا يريدون تدخل الشرطة. ولكن عندما يُقبض عليهم، يكون السبب دائماً هو أن الشرطة قد أُبلغت سراً. كان من الأفضل أن تتصل بـ بوبلانسكي عبر خط مؤمن، أليس كذلك؟ لكن عندما اتصلت، بعد لحظة تردد، لم تستطع الوصول إليه؛ فقد كان مشغولاً على خط آخر. فبدأت ترتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه.

فحَّت قائلة:

– "ليزبيث اللعينة.. كيف أمكنكِ جر ميكائيل إلى هذا؟ كيف؟"

***

تحدث المفتش الأول بوبلانسكي طويلاً مع كاترين لينداس. والآن سُلمت السماعة لرجل قدم نفسه باسم يانيك كوالسكي، وقال إنه مرتبط بالسفارة البريطانية. قدر بوبلانسكي أنه سيتعين عليه تصديق كلامه.

قال الرجل:

– "أنا قلق قليلًا."

وهو ما جعل بوبلانسكي يفكر للحظة في العادة البريطانية في التهوين من الأمور.

قال بجفاء:

– "بأي معنى؟"

– "لدينا قصتان منفصلتان تجتمعان معاً بشكل متقن هنا، وقد تكون تلك مصادفة.. أو لا. هناك روابط بين بلومكفيست وليزبيث سالاندر، أليس كذلك، وبين يوهانس فورسيل——"

قال بوبلانسكي بنفاذ صبر:

– "نعم؟"

– "قرب نهاية وقته في موسكو، عام ٢٠٠٨، كان فورسيل يعمل على تحقيق في قضية والد سالاندر، ألكسندر زالاتشينكو، وانشقاقه ولجوئه إلى السويد."

– "كنت أظن أن مجموعة (Säpo) فقط هي من كانت تعرف بالأمر آنذاك."

– "لا شيء يا سيادة المفتش يظل سراً كما يظن الناس. الأمر المثير للاهتمام هو أن كاميلا، الابنة الأخرى، شكلت لاحقاً رابطة مع الرجل في مخابرات G.R.U. الذي كان الأقرب إلى زالاتشينكو، والذي ظل على اتصال به حتى بعد خيانته."

– "ومَن هو؟"

– "اسمه إيفان غالينوف، ولأسباب لا نفهمها تماماً، ظل وفياً.. كيف أقولها؟.. حتى لما بعد القبر. لقد استهدف أعداء زالاتشينكو القدامى حتى بعد وفاته، وأسكت الأشخاص الذين يملكون معلومات مدمرة. إنه عديم الرحمة وخطير، ونعتقد أنه موجود في السويد الآن ومتورط في اختطاف بلومكفيست. سيعني لنا الكثير إذا تم القبض عليه، ولذلك نحن نعرض عليك المساعدة، خاصة وأن وزير الدفاع فورسيل لديه خططه الخاصة، التي باركتُها بتهور نوعاً ما."

– "أخشى أنني لا أفهم."

– "ستفهم في الوقت المناسب، أؤكد لك. سنرسل لك بعض المواد، وصوراً لـ غالينوف وهي ليست حديثة للأسف. وداعاً يا سيادة المفتش."

أومأ بوبلانسكي لنفسه. كان من غير المعتاد أن تُعرض عليه المساعدة من مسؤول كهذا، لأنه بحلول ذلك الوقت كان قد أدرك تماماً أي نوع من الأشخاص هو كوالسكي، وكان ذهنه مشغولاً بذلك وبأمور أخرى كثيرة. نهض وكان على وشك الذهاب لرؤية سونيا موديغ وإطلاعها على الأمر عندما رن الهاتف. كانت إريكا بيرغر.

***

كانت كاترين لينداس تجلس في مقعد وثير بني في غرفة معيشة كوالسكي، مقابل يوهانس فورسيل وبجانب ريبيكا. كانت تجد صعوبة في التركيز، فصورة بلومكفيست لا تفارق خيالها. استطاعت استعارة آلة تسجيل، بعد أن اضطرت لوضع هاتفها بعيداً، وظنت أن ذلك سيسمح لها بمواصلة العمل. ورويداً رويداً بدأت تستغرق في الأمر، رغم كل شيء.

سألت:

– "إذن لم تعد تقوى على خطو خطوة واحدة؟"

تابع فورسيل:

– "لا. كان الظلام قد حل، وكان البرد قارساً. كنت أتجمد حرفياً، وآمل أن ينتهي الأمر بسرعة. أن أنزلق إلى تلك الحالة الأخيرة من الخمول عندما يفقد الجسم حرارته ويشعر المرء ظاهرياً بالتحسن. لكن في تلك اللحظة سمعت الصرخات ورفعت بصري، وفي البداية لم أرَ شيئاً. ثم ظهر نيما ريتا مجدداً من وسط العاصفة، لكنه ظهر هذه المرة برأسين وأربعة أذرع، كأنه إله هندوسي."

– "ماذا تقول؟"

– "هكذا بدا لي. لكنه في الحقيقة كان يجر شخصاً ما. استغرق الأمر وقتاً قبل أن أدرك ذلك، ووقتاً أطول قبل أن أفهم من يكون. كنت مجهداً جداً لدرجة تمنعني من التفكير. مجهداً جداً لدرجة تمنعني من الأمل في النجاة. ربما كنت مجهداً لدرجة لا أرغب معها في أن يتم إنقاذي، ولابد أنني فقدت الوعي. أفقت عندما شعرت بجسد يرقد بجانبي مباشرة، امرأة ذراعاها ممدودتان بتصلب كأنها تريد احتضاني. كانت تهمس بشيء عن ابنتها."

– "ماذا كانت تقول؟"

– "لم أفهم قط. كل ما أذكره هو أننا نظرنا لبعضنا البعض، بيأس تام بالطبع، ولكن بذهول. أعتقد أننا تعرفنا على بعضنا البعض. كانت كلارا، فربتُّ على رأسها وكتفها، وأذكر أنني فكرت في أنها لن تعود جميلة أبداً. فقد دمر البرد وجهها. رأيت الجرح الذي تركه فأسي الجليدي في شفتها وربما قلت بضع كلمات. ربما ردت عليَّ. لا أدري. وبينما كانت العاصفة تعصف من حولنا، كان سفانتي ونيما يتشاجران فوق رؤوسنا. كانا يتبادلان الزمجرة والتدافع. كان المشهد غريباً جداً والشيء الوحيد الذي سمعته كان شيئاً عبثياً ومنفراً لدرجة ظننت معها أنني أخطأت السمع. سمعت تلك الكلمات الإنجليزية القبيحة: 'عاهرة' و'بغا'. لماذا تُستخدم تلك التعبيرات والأزمة في ذروتها؟ ببساطة لم أستطع فهم ذلك."

-٣١-

٢٨ أغسطس

لم يرغب بلومكفيست أبدًا في الموت، ليس بالطريقة التي تاقت إليها نفس فورسيل على إيفرست. بل لم يمر حتى بأزمة كبرى في حياته. لكن الآن، وهو ممدد على تلك النقالة، بحروق شديدة في ساقيه وقدميه، أراد أن يتلاشى ويختفي. لا شيء موجود سوى ألمه، ولم يكن قادرًا حتى على الصراخ. جسده متشنج وفكاه مطبقان، ولم يستطع تخيل أن الأمور قد تزداد سوءًا. لكنها ازدادت.

التقط الرجل ذو البدلة البيضاء، الذي عرف نفسه باسم إيفان، مبضعًا ملقى على الطاولة بجانبه وغرسه في حروق بلومكفيست، وحينها تقوس جسده وصرخ. عوى وصرخ حتى سُحب عائدًا إلى عالم الوعي. لكن استغرق الأمر بعض الوقت ليدرك ما حدث، ولم يكن واعيًا إلا بشكل مبهم بخطوات أخرى تقترب، صوت طقطقة كعب هذه المرة. أدار رأسه ورأى امرأة بشعر أشقر محمر ووجه بجمال غير أرضي. ابتسمت، وربما كان يجب أن يمنحه ذلك أملًا في نوع من الراحة. بدلًا من ذلك، شعر برعب أكبر.

– "أنتِ..." أخرج الكلمة بصعوبة.

– "أنا،" قالت.

مسدت كاميلا جبينه وشعره. جفل بلومكفيست من لمستها.

– "مرحبًا،" قالت.

لم يجب بلومكفيست. كيانه كله كان جرحًا صارخًا. ومع ذلك... تسارعت أفكاره، وكأن لديه شيئًا مهمًا ليخبرها به.

– "ليزبيث تقلقني،" قالت. "يجب أن تقلق بشأنها أنت أيضًا يا ميكائيل. الساعة تدق. تك، توك. لكنك ربما فقدت الإحساس بالوقت، أليس كذلك؟ أستطيع إخبارك أن الساعة تجاوزت الحادية عشرة، وكان لـ ليزبيث أن تتواصل الآن لو أرادت مساعدتك. لكننا لم نسمع كلمة واحدة."

ابتسمت مرة أخرى.

– "ربما ليست مولعة بك إلى هذا الحد في النهاية يا ميكائيل. ربما تغار من كل نسائك الأخريات. من صغيرتك كاترين."

ارتجف.

– "ماذا فعلتِ بها؟"

– "لا شيء يا عزيزي، لا شيء. لا شيء حتى الآن. لكن يبدو أن ليزبيث تفضل رؤيتك ميتًا على التعاون معنا. إنها تضحي بك – بنفس الطريقة التي ضحت بها بالكثيرين غيرك."

أغمض بلومكفيست عينيه وحاول البحث في عقله عن شيء عرف أنه يريد قوله، لكن كل ما كان هناك هو ألمه.

– "أنتِ من تضحين بي،" قال. "ليست ليزبيث."

– "نحن؟ لا، لا، ليزبيث تلقت عرضًا لم تقبله، وليس لدي اعتراض على ذلك. سأكون سعيدة لها لتكتشف شعور فقدان شخص مقرب. ألم تكن مهمًا لها ذات مرة؟"

مررت يدها مرة أخرى على شعره، وفي تلك الثانية رأى شيئًا غير متوقع في وجه كاميلا. رأى شبهًا بـ سالاندر، ليس في المظهر ربما، بل في الغضب الأخرس في عينيها، وتمكن من التلعثم:

– "الذين..."

كافح للسيطرة على الألم.

– "ماذا يا ميكائيل؟"

– "... الذين كانوا يعنون شيئا لها هم والدتها، وهولغر، وقد فقدتهما بالفعل،" قال، وفي تلك اللحظة أدرك ما كان يبحث عنه.

– "ما الذي تحاول قوله؟"

– "أن ليزبيث تعرف جيدًا ما هو فقدان شخص مقرب، بينما أنتِ يا كاميلا——"

– "بينما أنا..."

– "... فقدتِ شيئًا أسوأ."

– "وماذا عساه أن يكون؟"

بصق الكلمات من بين أسنانه المطبقة:

– "قطعة من نفسك."

– "ماذا تعني؟"

ومض الغضب في عينيها.

– "فقدتِ والدتك ووالدك معًا. أم لم ترد رؤية ما يُفعل بك، وأب... أحببتِه... لكنه استغلك، وأنا أعتقد——"

– "ماذا تعتقد بحق الجحيم؟"

أغمض عينيه وحاول بجهد جهيد التركيز.

– "أنكِ أصبحتِ الضحية الأكبر في العائلة. الجميع خذلك."

أمسكته كاميلا من حنجرته:

– "ما الذي وضعته ليزبيث في رأسك؟"

كان يواجه صعوبة في التنفس، ليس فقط بسبب يد كاميلا. شعر وكأن النار تقترب أكثر وتأكد أنه ارتكب خطأ. أراد إيقاظ شيء بداخلها. لكنه لم ينجح إلا في إثارة غضبها.

– "أجبني!" صرخت.

– "ليزبيث قالت إن..."

شهق بحثًا عن الهواء.

– "ماذا؟"

– "أنه كان يجب عليها أن تفهم لماذا كان زالا يأتي إليكِ ليلًا، لكنها كانت مركزة جدًا على حماية والدتها لدرجة أنها لم تستوعب الأمر."

رفعت كاميلا يديها عن حنجرته وركلت النقالة فاصطدمت قدماه بجانب الفرن.

– "أهذا ما قالته لك؟"

تسارع نبضه.

– "لم تفهم."

– "هراء! عرفت طوال الوقت، بالطبع عرفت،" صرخت كاميلا.

– "اهدئي يا كيرا،" قال غالينوف.

– "أبدًا،" هسهست. "ليزبيث كانت تكذب عليه بوقاحة."

– "لم تكن تعلم،" تلعثم ميكائيل.

– "إذًا هذا ما تقوله؟ هل تريد معرفة ما حدث حقًا مع زالا؟ أتريد؟ زالا جعل مني امرأة. هذا ما كان يقوله دائمًا." ترددت كاميلا

وبدت وكأنها تبحث عن كلمات. "جعل مني امرأة، تمامًا كما أجعل منك رجلًا الآن يا ميكائيل،" قالت، مائلة للأمام وتنظر مباشرة إليه، وإذا كان الغضب والانتقام فقط في عينيها في البداية، فقد تغيرتا الآن. كان هناك لمحة لشيء ضعيف فيهما، وتخيل أن رابطًا قد تشكل بينهما، ربما تعرفت على شيء من نفسها في عجزه. لكنه قد يكون مخطئًا. في الثانية التالية استدارت وخرجت، تصرخ بشيء بالروسية بدا وكأنه أمر.

الآن أصبح بلومكفيست وحيدًا مع الرجل الذي لم يعرفه سوى باسم إيفان، ولم يكن بوسعه سوى محاولة التحمل، وعدم النظر في اللهب.

***

١٣ مايو ٢٠٠٨

عندما رأت كلارا المتسلقين في الضباب الثلجي، انهارت وتدحرجت أسفل المنحدر، بعيدًا عن نيما ريتا، وسقطت على جسد ملقى هناك، رجل. هل هو ميت؟ لا، لا، إنه حي، يتحرك. نظر إليها، وهز رأسه. كان يرتدي قناع أكسجين. لم تستطع رؤية من هو. لكنه ربت على كتفها.

ثم خلع قناعه ونظارته الشمسية وعندما ابتسمت عيناه لها، ابتسمت له في المقابل، أو حاولت على الأقل. لكن ليس لوقت طويل — سرعان ما سمعت جدالًا يدور فوق رأسيهما. التقطت شذرات فقط. كان يتعلق بكل ما فعله يوهانس — هل قالا حقًا يوهانس؟ — لـ نيما، وما سيفعله. يبني منزلًا. يعتني بـ لونا. لكنها لم تستطع فهم المعنى.

كانت تتألم بشدة. ظلت ملقاة هناك في الثلج، عاجزة، لا تستطيع النهوض وصلّت لله أن يساعدها نيما مرة أخرى، ونعم، ها هو ذا الآن، ينحني فوقها، وشعرت وكأن العالم كله يمد يده لأسفل. ستكون آمنة. ستعود للمنزل، وترى ابنتها ثانية. لكن نيما لم يسحبها لتقف على قدميها.

كان الرجل الآخر، وفي البداية لم تقلق بشكل مفرط. هم فقط يرفعونه أولًا. نظرت للأعلى لترى الرجل محمولًا على ظهر نيما، تمامًا كما كانت هي معلقة على ظهره من قبل، وظنت أن الشخص الآخر هناك سيساعدها، الشخص الذي كان يصرخ في نيما. لكن الدقائق مرت ثم حدث شيء مقلق للغاية. ترنحوا مبتعدين عنها. لا يمكن أن يتركوها خلفهم، أليس كذلك؟

— "لا،" صرخت. "لا تتركوني، أرجوكم!"

لكنهم تركوها، دون أن ينظروا خلفهم، وحدقت في ظهورهم وهي تختفي في العاصفة، وفقط عندما تُركت مع لا شيء سوى صوت وقع خطواتهم المبتعدة، ضربها الرعب المحض، فصرخت حتى نفدت قواها ولم يعد بوسعها سوى النحيب بهدوء، في يأس لم تتخيل قط أنه ممكن.

***

كان يوري بوغدانوف جالسًا في ملحق حديث البناء مقابل كيرا، التي استقرت في كرسي جلدي وكانت ترشف بتوتر نبيذًا أبيض فاخرًا من "بورغوندي" أُرسل خصيصًا لأجلها. كانت عينا بوغدانوف مثبتتين على حاسوبه. كان عليه تتبع سلسلة كاملة من لقطات الفيديو، ليس

فقط تلك التي تظهر بلومكفيست يتلوى ألمًا، بل أيضًا تغطية للريف المحيط.

كان المبنى مصنع زجاج، مهجورًا الآن، كان ينتج مزهريات وأوعية عالية الجودة حتى أفلس قبل بضع سنوات، حين اشترته كيرا. كان في بقعة معزولة بعيدة عن أي منطقة سكنية، قريبًا من حافة الغابة، ورغم أن النوافذ كانت كبيرة وطويلة، كان من المستحيل الرؤية عبرها؛ كان بوغدانوف مهووسًا بضمان اتخاذ كل الاحتياطات. ينبغي أن يكونوا آمنين هنا. لكنه مع ذلك لم يكن واثقًا تمامًا، وذهبت أفكاره إلى "واسب" (الدبور) وما سمعه عنها. قيل إنها دخلت الشبكة الداخلية لوكالة الأمن القومي (N.S.A) وقرأت أشياء لم يُسمح حتى للرئيس برؤيتها. نجحت في فعل ما اعتبر مستحيلًا، وفي عالمه كانت أسطورة، بينما كيرا... حسنًا، ماذا عن كيرا؟

نظر بوغدانوف إلى حيث تجلس، كيرا الجميلة التي انتشلته من الحضيض وجعلته غنيًا. كان يجب أن لا يشعر سوى بالامتنان تجاهها، ومع ذلك — وشعر بذلك كثقل مفاجئ في جسده — كان قد سئم منها. مل من تهديداتها وضرباتها، وتعطشها للانتقام، ولذا، ودون أن يعرف السبب تمامًا، ذهب إلى عنوان البريد الإلكتروني الذي أنشأه وتوقف لبضع ثوانٍ، شاعرًا بنوع غريب من الإثارة في جسده.

ثم كتب إحداثيات نظام تحديد المواقع العالمي (G.P.S).

إذا لم يتمكنوا من تعقب "واسب"، فسيتعين عليها أن تأتي إليهم.

***

توقفت سالاندر في استراحة أخرى، ليست بعيدة عن إسكيستا على طريق E-٤، وكانت تجلس هناك بحاسوبها المحمول عندما توقفت

سيارة بجانب الطريق. كانت "فولفو V٩٠" سوداء وذلك جعلها تنتفض وتمد يدها للسلاح تحت سترتها. لكنهم كانوا مجرد زوجين في منتصف العمر مع صبي صغير يحتاج للتبول.

عادت سالاندر لشاشتها. أرسل لها بليج للتو رسالة تحتوي على... حسنًا، لم يكن اختراقًا كبيرًا، ليس تمامًا، لكنه مع ذلك، اتجاه جديد، نحو الشرق.

تمامًا كما كانت تأمل، أخطأ ذلك الأحمق من سفافيلسيو، بيتر كوفيك، والتقطته كاميرا مراقبة في محطة وقود بشارع إندوستريغاتان في روكنو، شمال تييرب، في الساعة ٣:٣٧ من ذلك الصباح. بدا بحالة مزرية. ضخم ومبتل ومنتفخ. في لقطات الفيديو شوهد يخلع خوذته ويشرب من زجاجة ماء فضية اللون، قبل أن يسكب الباقي على شعره ووجهه. ربما يحاول التعافي من صداع كحول رهيب.

كتبت ردًا:

<هل تمكنت من تتبعه أبعد من ذلك؟>

أجاب بليج:

<بعد ذلك، لا شيء>

<ماذا عن أي إشارات من هاتفه المحمول؟>

<ميت تمامًا>

ذلك المعتوه السكير كان يمكن أن يذهب لأي مكان. إما للداخل، إلى أعماق نورلاند، أو صعودًا نحو الساحل. ولم تكن لديها أدنى فكرة لعينة إلى أين أخذوا بلومكفيست. شعرت برغبة في الصراخ والضرب. لكنها تمالكت نفسها وجلست تتساءل عما إذا كان الأمر يستحق التواصل مع الأوغاد، لترى إن كان ذلك سيساعدها على استنتاج شيء

ما. دخلت حساب البريد الإلكتروني الذي أُعطي لها واكتشفت شيئًا جديدًا: سطرين من الأرقام والحروف لم تفهمهما في البداية. ثم رأت أنها إحداثيات G.P.S، لمكان في أبرشية أوبلاند بمنطقة مورغونسالا.

مورغونسالا.

ماذا يعني ذلك؟ في المرة الأخيرة، استدعوها لمكان خارج سونيرستا، بتعليمات مفصلة بشكل لا يصدق حول كيفية الوصول إلى هناك. الآن، لا توجيهات، ولا كلمة واحدة، مجرد إشارة لموقع يقع... أين؟... ألقت نظرة أقرب – في مكان ناءٍ، في منتصف حقل. رأت أن مورغونسالا مجتمع صغير يضم ثمانية وستين ساكنًا، شمال شرق تييرب، يتكون أساسًا من غابات وسهول. كانت هناك كنيسة، بالطبع، وبعض الأطلال القديمة بالإضافة إلى بضعة مواقع صناعية مهجورة من السبعينيات والثمانينيات، حين كانت المنطقة تضج بروح المبادرة.

ظنت أن ذلك يبدو واعدًا، وعندما وضعت الإحداثيات في "غوغل إيرث" اكتشفت مبنى طويلًا مستطيلًا من الطوب بنوافذ زجاجية كبيرة يقع في منتصف حقل، ليس بعيدًا عن الغابة.

أي مبنى في السويد تقريبًا يمكن أن يكون مخبأً للمجرمين، هناك بلد كامل للبحث فيه. لماذا الإشارة مباشرة إلى ذاك؟ لماذا إرسال أي إحداثيات لها أصلًا؟ هل كان تمويهًا؟ فخًا؟

نظرت مرة أخرى للخريطة ورأت أن روكنو، حيث توقف كوفيك في محطة الوقود، كانت بجوار المفرق المؤدي إلى مورغونسالا. هل وشى أحد أتباع كاميلا؟ هل هذا معقول؟ صحيح أنه لم يكن تصرفًا شعبيًا أن تأمر طاقم سفافيلسيو بملاحقة شخص مثل بلومكفيست. كان سيبدو

محفوفًا بالمخاطر، لكن لماذا تسريب المعلومات إليها؟ ماذا كانوا يأملون في المقابل؟

لم يكن الأمر منطقيًا. كتبت لـ بليج:

<ربما لدي خيط في مورغونسالا>

<أخبريني>

أرسلت له إحداثيات G.P.S وكتبت:

<ذاهبة إلى هناك الآن. هل يمكنك إحداث بعض الفوضى في الحي؟>

<سعيد دائمًا بإثارة المشاكل. كيف؟>

<كهرباء، رسائل جوال متعددة>

<فهمت>

<ابقَ على اتصال>

ثم ركبت دراجتها النارية وانطلقت بسرعة متهورة إلى مورغونسالا. وسرعان ما لاحظت اشتداد الرياح. كانت السماء تتلبد بالغيوم وأمسكت بالمقود بقوة لدرجة ابيضت معها أصابعها داخل قفازاتها.

-٣٢-

٢٨ أغسطس

نظر إيفان غالينوف شزرًا إلى الصحفي الممدد على النقالة. يا له من مقاتل صلب؛ فمنذ زمن بعيد لم يرَ شخصًا يتجرع هذا القدر من الألم بمثل هذا الصمود الأسطوري. لكن ذلك لن يجدي نفعًا الآن، فالساعات تمر ولم يعد بوسعهم الانتظار أكثر من ذلك. كان على الصحفي أن يموت – ربما بلا طائل – لكن الأمر لم يعد يهم. فكر غالينوف في أن الأقدار – بخيرها وشرها – ساقته إلى هنا، مدفوعًا بظلال الماضي، وبلهيب النار ذاتها إذا جاز التعبير.

على نقيض الكثير من زملائه في مخابرات G.R.U.، لم يصفق غالينوف حين ألقت ابنة زالاتشينكو ذات الاثني عشر ربيعًا زجاجة حارقة (مولوتوف) داخل سيارته وراحت تشاهده وهو يحترق. بل انزوى بعيدًا، وأقسم أن يلاحق تلك الفتاة يومًا ما. ولا يمكن نكران أنه قد صُعق قبل كل تلك السنين حين علم أن زالاتشينكو، صديقه الصدوق ومعلمه، قد انشق عن صفوفهم وأصبح أسوأ الخونة؛ خائنًا لوطنه.

لكنه أدرك لاحقًا أن الأمر لم يكن بتلك البساطة، فعاودا التواصل من جديد، مستأنفين علاقتهما من حيث توقفت تقريبًا. كانا يلتقيان

سرًا لتبادل المعلومات، وأسسا معًا منظمة زفيزدا براتفا. لم يكن لأحد – ولا حتى لوالده – تلك المكانة التي احتلها زالاتشينكو في قلبه.

سيظل غالينوف يقدس ذكراه، رغم علمه أن "زالا" كان مصدرًا لشرور مستطيرة، ليس في مهنته فحسب، بل في جوانب أخرى أيضًا، حتى ضد لحمه ودمه. وكان هذا جانبًا آخر من الدراما التي أتت به إلى هنا.

كان مستعدًا لفعل أي شيء من أجل كيرا؛ فقد رأى فيها "زالا" ونفسه في آن واحد، رأى الخائن والمخون، والضحية والجلاد. ولم يرَها قط في حالة من الذهول كما كانت بعد حديثها مع بلومكفيست وهو على النقالة.

اعتدل غالينوف في وقفته. كان الوقت قد شارف على الظهيرة، وجسده يرزح تحت وطأة التعب، وعيناه تؤلمانه. لكنه كان هناك، وعليه إنهاء المهمة. لم يكن يهوى هذا النوع من العمل قط، بخلاف كيرا أو "زالا"؛ فبالنسبة له، لم يكن الأمر سوى واجب محتم.

قال له:

– "لننهِ هذا الأمر يا ميكائيل. ستتدبر أمرك جيدًا."

لم يرد بلومكفيست؛ اكتفى بإطباق فكيه واستجماع ما تبقى من إرادته. كانت النقالة التي يرقد عليها مبللة بالعرق، وقدماه قد أثخنتا بحروق وجروح غائرة، بينما كان الفرن يزفر بلهيب مستمر، كوحش فاغر فاه أمامه. لم يجد غالينوف صعوبة في تخيل نفسه مكان بلومكفيست.

فقد تعرض هو نفسه للتعذيب، وفي لحظة ما تيقن أن حكم الإعدام سينفذ فيه. وكعزاء يسديه لنفسه ولـ بلومكفيست، آمن بأن

للألم المطلق حدودًا، لحظة يقرر فيها الجسد الانغلاق على نفسه. فلا منطق بيولوجيًا يبرر المعاناة بلا حدود، خاصة عندما ينقطع كل رجاء.

سأله:

– "هل أنت مستعد؟"

حاول الصحفي النطق قائلًا:

– "أنا.. لدي.."

لكنه وصل – على ما يبدو – إلى تلك الحدود القصوى، فلم يخرج منه صوت آخر.

تأكد غالينوف من أن النقالة لا تزال تتحرك بسلاسة على قضبانها، ومسح العرق عن وجنتيه. لمح انعكاس صورته في الإطار المعدني للفرن، واستعد للقيام بالحركة الأخيرة.

تمنى بلومكفيست لو استطاع قول أي شيء، ولو لمجرد كسب برهة من الوقت. لكن قواه خارت، واكتسحته الذكريات والأفكار كموج طامٍ. رأى ابنته أمام عينيه، ووالديه، وليزبيث، وإريكا. كان الأمر أكبر مما يمكنه استيعابه، وشعر بظهره يتقوس لاإراديًا. كانت ساقاه وخصره يرتجفان، وأدرك أن النهاية قد حانت: سأحترق حيًا. حاول رفع بصره نحو غالينوف، لكن الرؤية كانت مشوشة تمامًا.

بدت الغرفة بأكملها ضبابية، ولم يستطع تمييز ما إذا كانت الأضواء قد بدأت تخبو فعلًا أم أنها مجرد هلاوس. لبرهة، ظن أن الظلام جزء من رعب الموت، لكنه سمع وقع أقدام وأصواتًا، ورأى غالينوف يلتفت ويقول بالسويدية:

– "ما الذي يحدث بحق الجحيم؟"

أجابت عدة أصوات مضطربة. ما الخبر؟ لم يعرف بلومكفيست سوى أن جلبة مفاجئة سادت المبنى، وأن التيار الكهربائي قد انقطع على ما يبدو. انطفأ كل شيء إلا الفرن، الذي ظل يتقد بذات الشدة المهددة، تاركًا إياه على بُعد دفعة واحدة من موت شنيع. لكن هذه الجلبة لابد أن تعني.. أن هناك أملًا. تطلع حوله فرأى أشباحًا تتحرك في الظلام.

ربما وصلت الشرطة. حاول التفكير والتعالي على ألمه. هل هناك ما يمكنه فعله لإخافتهم أكثر؟ هل يخبرهم بأنهم محاصرون؟ لا، فقد يدفعهم ذلك لقذفه داخل الفرن بسرعة أكبر. انقبضت حنجرته وكاد يختنق. نظر إلى الأحزمة الجلدية التي تطوق ساقيه؛ كانت حرارة الفرن قد لفحتها وصهرتها لتلتصق بجلده. شق ألم وحشي ربلتي ساقيه النابضتين، وتمزق جلده، ومع ذلك.. ربما يستطيع تحرير نفسه؟ سيكون الأمر مؤلمًا لدرجة لا تُطاق، لكن لا وقت للتفكير الآن. أغمض عينيه وقال بصعوبة:

– "يا للهول، السقف ينهار!"

رفع غالينوف بصره، فاستجمع بلومكفيست أنفاسه وانتزع ساقيه من الأحزمة بصرخة مدوية شقت عنان السماء. وبدون تفكير، أرجح الجزء السفلي من جسده وركل الرجل في معدته، ثم اختلطت الصور في عينيه. كان آخر ما ذكره قبل أن يفقد وعيه هو صوت صياح يقول:

– "علينا قتله."

***

١٤ مايو ٢٠٠٨

عاد إليه كل شيء في اليوم التالي، وهو في طريقه نزولًا نحو "مخيم القاعدة": تلك الكلمات التي بدت خافتة وسط العاصفة والثلوج المتطايرة، آخر ما سمعوه من كلارا، تلك الصرخة اليائسة:

– "لا تتركني، أرجوك!"

كان الأمر يفوق طاقته، وعلم حينها أن تلك الكلمات ستظل تتردد في أعماقه ما بقي له من عمر. ومع ذلك، كان لا يزال حيًا، وكان شعور النجاة يبعث في نفسه نشوة طاغية. راح يتضرع إلى الله مرارًا أن يبلغ أسفل الجبل بسلام، ليتمكن من الارتماء في أحضان ريبيكا مرة أخرى. كان ينوء تحت وطأة الذنب، لكن غريزة الحياة كانت قوية، وشعر بالامتنان أيضًا، ليس لـ نيما ريتا فحسب، بل لـ ليندبرغ أيضًا؛ فبدونه كان سيلقى حتفه هناك في الأعالي. ومع ذلك، لم يجرؤ على النظر في عينيه، وركز اهتمامه بدلاً من ذلك على نيما. ولم يكن هو الوحيد؛ فقد كان الجميع قلقين بشأنه.

كان نيما حطامًا بشريًا. جرى الحديث عن نقله إلى المستشفى بمروحية، لكنه رفض أي مساعدة، خاصة من ليندبرغ وفورسيل. كان الرجل قنبلة موقوتة، ولا مجال لنكران ذلك. ماذا سيقول عندما يستعيد قوته؟ كان هذا السؤال يؤرق فورسيل، ويبدو أنه كان يؤرق ليندبرغ أكثر، فتوترت الأجواء بشكل متزايد. في النهاية، قرر فورسيل ترك الأمور وشأنها، فلتأخذ المجريات مجراها. وبينما كان يزداد ضعفًا وهم يتجهون نحو أمان مخيم القاعدة، حلَّ الخمول محل إرادة الحياة، وعندما تمكن أخيرًا من ضم ريبيكا بين ذراعيه، لم يجد تلك المشاعر التي حلم بها؛ لا شعور بالأمان، ولا فخر بالوصول للقمة، ولا شوق إليها.. بل مجرد قلب مثقل بالهموم.

لم تكن له رغبة في الأكل أو الشرب؛ نام فقط لأربع عشرة ساعة متواصلة، وعندما استيقظ، كان شبه أبكم. كأن مشهد الجبال الشاهقة قد اتشح بالرماد، ولم يجد عزاءً في أي شيء، حتى في ابتسامة ريبيكا. بدا كل شيء ميتًا في عينيه، وفكرة واحدة كانت تسيطر عليه: عليه أن يروي ما حدث. لكنه ظل يؤجل الأمر، ليس فقط بسبب ليندبرغ ونظراته القلقة، بل لأن إشاعة سرت في المخيم بأن مسيرة نيما ريتا كمتسلق قد انتهت. فهل سيكون هو من يدق المسمار الأخير في نعش تلك المسيرة؟ هل سيكون هو من يكشف أن الرجل، الذي كان بكل المقاييس البطل الأوحد على الجبل، قد ترك امرأة تموت في العاصفة لينقذ حياته هو، يوهانس فورسيل؟

كان الأمر غير وارد تقريبًا. ومع ذلك، كان هذا ما سيحدث على الأرجح لولا أن ليندبرغ فاتحه في الأمر أثناء رحلة النزول من مخيم القاعدة. كانوا بمحاذاة منطقة "نامتشي بازار"، على مقربة من منحدر ينساب فيه جدول رقراق. كان يسير بمفرده، بينما كانت ريبيكا في المقدمة تعتني بـ شارلوت ريختر القلقة بشأن قضمات الصقيع في أصابع قدميها. وضع ليندبرغ ذراعه حول كتفي فورسيل وقال:

– "لا يمكننا النطق بحرف عما حدث، أبدًا.. أنت تدرك ذلك، أليس كذلك؟"

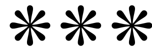
أجابه:

– "أنا آسف يا سفانتي. لابد أن أتكلم، وإلا فلن أستطيع العيش مع نفسي."

قال ليندبرغ بألطف نبرة لديه:

– "أنا أتفهمك يا صديقي، صدقني. لكننا في وضع حرج هنا."

ثم شرع يخبره بما تملكه الاستخبارات الروسية ضدهما، ليرد فورسيل بأنه قد ينتظر ليرى ما ستؤول إليه الأمور في النهاية. ربما رأى في ذلك وسيلة للهرب، مخرجًا يلوذ به عندما يملي عليه صوته الداخلي واجب قول الحقيقة عما جرى.



كانت معالم المنطقة غير واضحة. قررت سالاندر تجنب الطريق المعتاد، مفترضة أنها قد حددت المبنى الصحيح. انطلقت بدراجتها عبر ممر غابوي، وهي تقف الآن بجوار دراجتها النارية وسط شجيرات التوت خلف شجرة صنوبر سامقة، تراقب المبنى عبر حقل ممتد.

في البداية، لم تلمح أي أثر للحياة، وظنت أن الأمر مجرد خدعة لصرفها عن الأثر. كان المبنى المشيد من الطوب والحجر طويلاً يشبه الإسطبل، وتظهر عليه علامات التهالك. بدت النوافذ الضخمة وكأنها لم تُنظف منذ عقد من الزمان، والسقف بحاجة للترميم، والطلاء يتقشر عن الجدران. ومن موقعها، لم ترَ أي سيارات أو دراجات نارية. لكنها لاحظت دخانًا يتصاعد من المدخنة، فأعطت تعليماتها لـ بليج لبدء العملية.

بعد وقت قصير، أطلَّ شخص من باب المبنى، رجل ذو شعر طويل يرتدي ثيابًا داكنة. لم تلمحه إلا للحظة، لكنها سجلت تعبيرات وجهه المتوترة وهو يتفحص المحيط، وكان ذلك كافيًا بالنسبة لها.

نصبت جهاز اعتراض الهوية الدولية للمشترك الجوال (I.M.S.I.-catcher) ومحطتها الأساسية المتنقلة، وبعد لحظات أطلَّ رجل آخر، وبدا هو الآخر شديد القلق. لابد أنهم هم، باتت الآن متيقنة من ذلك. لابد من وجود آخرين أيضًا، فمن المحتم وجود

حراسة إذا كان بلومكفيست هناك. صورت المبنى وأرسلت إحداثيات الموقع إلى المفتش الأول بوبلانسكي في رسالة مشفرة، آملة أن تصل الشرطة بسرعة. ثم اقتربت من المنزل.

رغم الرياح والسماء الملبدة بالغيوم، كانت المخاطرة جسيمة؛ فلا يوجد مكان للاختباء في تلك الأرض المكشوفة. لكنها أرادت إلقاء نظرة عبر النوافذ الطويلة على جانب المبنى والتي تصل إلى الأرض. تقدمت وهي منحنية، وسلاحها في يدها، لكن النوافذ كانت مظللة ولم تستطع رؤية شيء. شعرت بالخطر فبدأت بالتراجع؛ لقد اقتربت أكثر مما ينبغي. التفتت فجأة وتفقدت هاتفها لتجد رسالة تم اعتراضها:

علينا إنهاء أمره والخروج من هنا.

بالنظر إلى الأحداث لاحقًا، يصعب الجزم بما حدث بالضبط. بالنسبة لـ سالاندر، شعرت وكأنها ترددت، تمامًا كما فعلت في شارع "تفرسكوي". لكن كوني أندرسون، الذي رصدها عبر الكاميرات في تلك اللحظة، انطبعت لديه صورة شخصية صلبة وعازمة تركض نحو الغابة.

لمحها بوغدانوف على شاشته، لكنه — على عكس أندرسون — لم يطلق إنذارًا. بل اكتفى بالمراقبة بإعجاب مشوب بالاستياء وهي تختفي بين الأشجار. لثوانٍ معدودة غابت عن الأنظار، ثم انطلق صوت محرك يتسارع، ورأى ذلك على شاشته: كانت تقود دراجتها النارية وتندفع نحوهم مباشرة وبسرعة جنونية. كانت الدراجة تقفز وهي تخترق الفضاء المفتوح، وافترض أن هذه هي المرة الأخيرة التي سيراها فيها.

سمع دوي إطلاق نار وصوت تحطم زجاج، وانحرفت الدراجة النارية هناك في الحقل. لكن بوغدانوف لم ينتظر ليرى النهاية؛ التقط مفاتيح السيارة الملقاة على الطاولة بجانبه وأسرع بالخروج، يحدوه

شوق عارم للتحرر أخيرًا، والهرب من أمر لا يمكن أن ينتهي على خير، لا بالنسبة لهم ولا بالنسبة للدبورة.

فتح بلومكفيست عينيه ليرى خيال رجل أمامه مباشرة، رجل مترهل لم يحلق ذقنه في الأربعينيات من عمره، ذو شعر طويل وفك مربع وعينين محتقنتين بالدم. كانت يدا الرجل ترتجفان وهو يمسك بمسدس يرتجف هو الآخر بينما ينظر بتوتر نحو غالينوف، الذي كان لا يزال يحاول التقاط أنفاسه.

صاح الرجل:

– "هل أطلِق النار عليه؟"

قال غالينوف:

– "أطلِق النار.. علينا الخروج من هنا."

وعندها بدأ بلومكفيست يركل بجنون كأنه يستطيع صد الرصاص بقدميه الجريحتين. تسنى له رؤية عيني الرجل تضيقان وعضلات ساعده تتوتر. صرخ للتو: – "لا، بحق الله، لا!" عندما سمع زئير مركبة تقترب بأقصى سرعتها. حينها التفت الرجل بحدة.

اندلع إطلاق النار في كل مكان، ربما من رشاشات آلية، لا يمكن الجزم بذلك. المؤكد الوحيد هو أن المركبة كانت متجهة نحوهم مباشرة. وقع اصطدام مدوٍ، وتطايرت شظايا الزجاج في أرجاء المصنع. اقتحمت دراجة نارية المكان عبر إحدى النوافذ، وعلى متنها شخص نحيل يرتدي الأسود. اصطدمت الدراجة بأحد الرجال الواقفين هناك، وقُذفت قائدتها نحو الجدار من قوة الاصطدام.

استمر إطلاق النار، وكان الرجل المترهل ذو الفك المربع يصوب مسدسه الآن، ليس نحوه، بل نحو ذلك الشخص الذي سقط عن

الدراجة. لكنها كانت قد نهضت بالفعل وبدأت تتحرك. سُمع وقع أقدام مسرعة تندفع نحوه، ورأى بلومكفيست وجه غالينوف يتصلب خوفًا أو تركيزًا. سمع مزيدًا من الرصاص والصرخات قبل أن يغلبه الألم والغثيان ويفقد وعيه مرة أخرى.

***

تناولت ليندا وكوالسكي وآل فورسيل طعامًا هنديًا جاهزًا بعد أن توقفوا عن العمل. والآن يجلسون في غرفة المعيشة، بينما تحاول ليندا استجماع شتات أفكارها؛ فقد كانت تتوق لفهم أعمق لما قاله ليندبرغ لـ فورسيل أثناء رحلة النزول من مخيم القاعدة.

قال فورسيل:

– "ظننتُ أنه يضع مصلحتي نصب عينيه. أخبرني بأنه يخشى أن نواجه اتهامات أخرى إذا أخبرنا الناس بما حدث، وأن وضعنا كان مهزوزًا بالفعل."

– "ماذا كان يقصد بذلك؟"

– "كبار المسؤولين في G.R.U. كانوا يعرفون من نكون بالطبع. وكانوا سيتساءلون عما إذا كانت هناك صلة بين موت غرانكين ووجودنا على الجبل. وتابع سفانتي بذات النبرة الودودة: 'لقد كانوا يتربصون بك منذ فترة، كما تعلم يقينًا'، والحق أنني كنت أعرف ذلك. كانت G.R.U. تعتبرني مصدر خطر وإزعاج. ثم، وبذات الصوت المتفهم اللعين، ذكرني بأنهم يملكون على الأرجح kompromat ضدي."

–"Kompromat؟ "

– "مواد مساومة وفضائح."

– "وإلى ماذا كان يشير؟"

– "حادثة مع وزير حكومي يدعى أنطونسون."

– "وزير التجارة؟"

– "بالضبط. في ذلك الوقت، أوائل عام ٢٠٠٠، كان ستين أنطونسون قد تطلق حديثًا ويشعر ببعض الضياع، فوقع في حب شابة روسية تدعى أليسا. كان الرجل المسكين في قمة سعادته. لكن خلال زيارة لمدينة سانت بطرسبرغ – وكنت أنا في المدينة حينها – احتسيا كميات كبيرة من الشمبانيا في غرفته بالفندق. وفي غمرة تلك الأجواء، بدأت أليسا في استدراج معلومات حساسة، وأعتقد أن الرجل أدرك الحقيقة حينها. لم يكن حبًا حقيقيًا، بل مجرد 'فخ عسل' تقليدي، ففقد أعصابه تمامًا. بدأ في الصراخ وهرع حراسه الشخصيون، وسادت حالة من الفوضى العارمة. خطرت لأحدهم فكرة حمقاء بأن أقوم أنا باستجواب المرأة، فاستُدعيتُ إلى الغرفة."

– "وماذا حدث؟"

– "دخلتُ بأسرع ما يمكن، وأول ما رأيته كان أليسا بملابسها الداخلية المثيرة. كانت في حالة هستيرية وحاولتُ تهدئتها. ثم بدأت في الصراخ بأنها تريد مالًا، وإلا فستقاضي أنطونسون بتهمة الاعتداء. باغتني الأمر، وبما أنني كنت أحمل رزمة من الروبلات، أعطيتها لها. لم يكن تصرفًا لائقًا تمامًا، لكنه كان الحل الوحيد الذي خطر ببالي في تلك اللحظة الحرجة."

– "وكنت تخشى وجود صور؟"

– "نعم، وتذكير ليندبرغ لي بتلك الحادثة جعل كل شيء أكثر تعقيدًا. فكرتُ في بيكا ومدى حبي لها، وتملكني الرعب من أن تظن أنني مجرد شخص وضيع."

– "لذا التزمت الصمت عما حدث؟"

– "قررتُ الانتظار، وعندما رأيتُ أن نيما لم يتكلم هو الآخر، نحيتُ الأمر جانبًا. وعلى أية حال، بدأت تواجهنا مشاكل أخرى بعد ذلك."

– "أي نوع من المشاكل؟"

أجاب كوالسكي:

– "سرب أحدهم لـ G.R.U. أن يوهانس حاول تجنيد غرانكين."

– "وكيف أمكنهم فعل ذلك؟"

قال كوالسكي:

– "ظننا أنه ستان إنجلمان. ففي ذلك الصيف والخريف، كانت تصلنا تقارير مقنعة تشير إلى أنه عضو في زفيزدا براتفا أيضًا. اشتبهنا في وجود جاسوس لـ إنجلمان في البعثة أخبره عن الصداقة بين يوهانس وفيكتور. حتى أننا ظننا أنه قد يكون نيما ريتا."

– "ولم يكن هو؟"

– "لا، ومع ذلك لم يكن هناك شك في أن G.R.U. قد أُبلغت بطريقة ما، رغم أننا لم نظن أنهم يعرفون شيئًا يقينيًا. ومع ذلك.. قُدمت شكوى رسمية للحكومة السويدية. وقيل إن ضغوط يوهانس زادت من حدة التوتر الذي كان يعاني منه غرانكين على إيفرست وأدت لموته. وكما تعلمين، فقد طُرد يوهانس من روسيا."

قالت ليندا:

– "إذن لهذا السبب؟"

– "جزئيًا. في الحقيقة كان الروس يطردون عددًا كبيرًا من الدبلوماسيين في ذلك الوقت. لكن نعم، كان ذلك جزءًا من الصورة، وكان خسارة فادحة لنا جميعًا."

قال فورسيل:

– "لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لي. فبالنسبة لي، كانت بداية لشيء جديد وأفضل. تركتُ السلك العسكري وشعرتُ براحة عظيمة. كنتُ واقعًا في الحب وتزوجنا، وبنيتُ عمل والدي ورزقتُ بأطفال. شعرتُ أن الحياة رائعة مجددًا."

قال كوالسكي:

– "وهذا مكمن الخطر."

قالت ريبيكا:

– "لا تكن متشائمًا هكذا."

– "لكنه الحق. الرجل السعيد يرخي دفاعاته."

قال فورسيل:

– "أصبحتُ مهملًا ولم أربط الأمور ببعضها كما ينبغي. في نظري، ظل ليندبرغ صديقًا ومؤيدًا موثوقًا. حتى أنني عينته وكيلًا لي في الوزارة."

سألت كاترين:

– "وتعتقد الآن أن ذلك كان خطأً؟"

– "هذا أقل ما يقال؛ فمباشرة بعد ذلك، بدأت الأمور في ملاحقتي."

– "لقد كنت ضحية لحملة تضليل."

– "هذا أيضًا، ولكن الأهم من ذلك، أنني تلقيت زيارة من يانيك."

– "وماذا كان يريد؟"

قال كوالسكي:

– "أردتُ الحديث عن نيما ريتا."

قال فورسيل:

– "دعني أشرح لكِ. لقد ظللتُ على اتصال بـ نيما لفترة طويلة. ساعدته بالمال وبنيتُ له منزلًا في 'خومبو'. لكن في النهاية لم ينفع كل ما فعلته. فبعد وفاة لونا، انهارت حياته تمامًا وأصبح مريضًا جدًا. تمكنتُ من الوصول إليه بضع مرات عبر الهاتف، لكنني كنتُ بالكاد أفهمه. كان يهذي فقط. كان عقله مشوشًا تمامًا ولم يعد أحد يكترث لسماعه. كان يُنظر إليه كشخص غير مؤذٍ – حتى من قِبَل ليندبرغ. لكن بحلول خريف عام ٢٠١٧، تغير الوضع. فقد كانت صحفية في مجلة The Atlantic، تدعى ليليان هينديرسون، تكتب كتابًا عن أحداث إيفرست. وكان من المقرر نشره في العام التالي، بمناسبة الذكرى العاشرة للدراما. كانت ليليان ملمة بالتفاصيل بشكل مذهل؛ فلم تكن تعرف عن قصة الحب بين فيكتور غرانكين وكلارا فحسب، بل وعن صلات ستان إنجلمان بـ زفيزدا براتفا أيضًا. بل إنها بحثت في إشاعة مفادها أن إنجلمان أراد موت زوجته وغرانكين معًا على الجبل."

– "يا إلهي."

– "بالضبط. وأجرت مقابلة قوية مع ستان إنجلمان في نيويورك. أنكر ستان كل الاتهامات بالطبع، ولم تكن هناك ضمانات بأن تتمكن ليليان من تقديم أدلة تدعم ما كشفته. ومع ذلك، لابد أن الأمر كان جليًا لـ إنجلمان بأنه في ورطة حقيقية."

قالت ليندااس:

– "وماذا حدث؟"

– "ارتكبت ليليان هينديرسون خطأً بذكر أنها ذاهبة إلى نيبال لمقابلة نيما ريتا. وكما قلتُ، في الظروف العادية كان نيما غير مؤذٍ تمامًا، لكن ربما ليس أمام صحفية استقصائية تملك من المعلومات ما يكفي لفرز الحقائق من الأوهام."

– "وماذا كانت الحقائق؟"

قال كوالسكي:

– "تلك التي كانت ليليان مهتمة بها، من بين أمور أخرى."

– "ماذا تقصد؟"

– "قرأ أحد رجالنا في السفارة في كاتماندو صحف الحائط الخاصة بـ نيما. وكان من بين كل تلك المعلومات أن إنجلمان طلب من نيما قتل 'مامساهيب' على الجبل، رغم أن نيما كان يتحدث عن 'ملاك' (Angelman)، مما جعل الأمر يبدو وكأن التعليمات صدرت من ملاك ظلام من السماء."

سألت ليندا س:

– "وتعتقدون أن هذا صحيح؟"

تابع كوالسكي:

– "نعم، نعتقد ذلك. نعتقد أن إنجلمان كان يداعب لفترة فكرة استخدام نيما ريتا."

– "هل هذا ممكن حتى؟"

– "لا تنسي أن إنجلمان لابد أنه كان يائسًا عندما أدرك أن كلارا وغرانكين يخططان للإطاحة به."

– "وكيف كان رد فعل نيما؟ هل نعرف شيئًا عن ذلك؟"

قال فورسيل:

– "كان مهزوزًا بشدة كما يمكنكِ التخيل. فكل ما فعله، كل مسيرته، كانت تهدف لمساعدة الناس لا لزهق الأرواح، فرفض الاستماع. ولكن بعد ذلك، عندما رأى أنه ساهم في النهاية في موتها، لم يتركه الأمر وشأنه. يمكنكِ فقط التخيل؛ فقد كان محطمًا بالذنب والبارانويا. وفي خريف عام ٢٠١٧، عندما جاء يانيك لرؤيتي، كان نيما يحاول يائسًا الاعتراف بذنوبه في كاتماندو. أراد أن يخبر العالم كله."

قال كوالسكي:

– "هذا ما بدا عليه الأمر بالتأكيد، وأخبرتُ يوهانس أن احتمال لقاء نيما بـ ليليان هينديرسون سيعرض حياته للخطر. كان هناك خطر من أن يرغب إنجلمان وزفيزدا براتفا في التخلص منه، وقال يوهانس على الفور إن من واجبنا رعايته وتوفير الحماية له."

– "وفعلتم؟"

– "نعم."

– "وكيف فعلتم ذلك؟"

– "أبلغنا كلاس بيرج في جهاز Must ونقلناه إلى هنا على متن رحلة دبلوماسية بريطانية. وأدخلناه إلى 'الجناح الجنوبي' في خليج 'أورستافيكن'، حيث للأسف..."

سألت ليندا س:

– "ماذا؟"

تردد يوهانس:

– "لم يحظَ برعاية جيدة بشكل خاص، وأنا..."

– "وأنت..."

– "لم أذهب لزيارته كما كنت أنوي. ليس فقط لأنني كنت مشغولًا جدًا.. بل كان من المؤلم جدًا رؤيته في تلك الحالة."

– "لذا استمررت في كونك سعيدًا؟"

– "أفترض أنني فعلت، لكن ذلك لم يدم طويلاً أيضًا."

-٣٣-

٢٨ أغسطس

طأطأت سالاندر رأسها بينما كانت دراجتها النارية تخترق النافذة محطمة إياها، وعندما رفعته مجددًا رأت رجلًا بصديرية جلدية يصوب مسدسًا نحوها. قادت دراجتها مباشرة باتجاهه. كان الاصطدام عنيفًا لدرجة أنها قُذفت عن الدراجة واصطدم جسدها بالجدار، ثم سقطت بألم على عارضة حديدية على الأرض.

كانت على قدميها في ثانية وقفزت خلف عمود معدني بينما كانت عيناها تمسح تفاصيل المبنى، وعدد الأشخاص وأسلحتهم،
والمسافات، والعوائق، وعلى مسافة أبعد، الفرن الذي رأته في لقطات الفيديو.

كان رجل ببدلة بيضاء يقف بجوار بلومكفيست مباشرة، يمسح وجهه بمنديل، وأدركت أنها كانت تندفع نحوهم بالفعل، مدفوعة بقوة داخلية لا يمكن كبتها. انحرفت رصاصة عن خوذتها. وأخرى صفرت حولها. أطلقت النار ردًا فسقط أحد الرجال بجوار الفرن متكومًا، وكان ذلك شيئًا جيدًا. لكن لم تكن لديها خطة حقيقية.

انقضت فقط ورأت أن الرجل ذا البدلة البيضاء قد أمسك بالنقالة لدفع بلومكفيست داخل النيران. أطلقت رصاصة أخرى، لكنها أخطأت،

فركضت مباشرة نحو الرجل وسقط كلاهما مرتطمًا بالأرض. ما حدث بعد ذلك لم يكن واضحًا تمامًا.

عرفت فقط أنها نطحته برأسها، مهشمة أنفه، ثم وقفت على قدميها وأطلقت النار على شخصية شبحية أخرى. تحسست بيديها لفك الحزام الجلدي حول إحدى ذراعي بلومكفيست، وكان ذلك خطأً غبيًا. ومع ذلك بدا ضروريًا لها. كان على نقالة موضوعة على نوع من العربات التي تسير على قضبان. دفعة واحدة كانت ستدخله الفرن، ورغم أن الأمر استغرق بضع ثوانٍ فقط لفك الإبزيم، إلا أنها تشتتت.

شعرت بضربة على ظهرها وأصابت رصاصة ذراعها فسقطت للأمام، عاجزة عن صد ركلة ليدها أطارت مسدسها بعيدًا. كارثة. قبل أن يتسنى لها الوقت للنهوض كانت محاصرة، وموقنة بأنهم سيطلقون النار عليها فورًا. لكن كان هناك ارتباك وتوتر، ربما كانوا ينتظرون الأوامر.

كانت هي من يطاردونها طوال الوقت، فبحث بعينيها عن وسيلة للهرب، مدركة أن رجلين قد سقطا وثالثًا جُرح لكنه لا يزال واقفًا. تركها ذلك وحيدة ضد ثلاثة رجال. ولن يكون بلومكفيست قادرًا على المساعدة. بدا مشوشًا، وساقاه...

أشاحت بوجهها ونظرت إلى البلطجية مرة أخرى. أصدقاؤها القدامى يورما وكريل من نادي سفافيلسيو، وأيضًا بيتر كوفيك، هو من كان مصابًا. كان الحلقة الأضعف، وكريل لم يكن في حالة جيدة جدًا أيضًا. هل كان هو من اصطدمت به بدراجتها؟

على بعد مسافة قصيرة كان هناك باب أزرق يؤدي إلى ملحق. سيكون هناك المزيد منهم بالداخل، فكرت، واستطاعت سماع أنين

الرجل الذي نطحته خلفها. لا بد أنه غالينوف. لم يخرج من المعركة هو الآخر، والآن الدم يتدفق من ذراعها. أصبح من الواضح بشكل متزايد أنها منتهية. حركة طائشة واحدة وسيطلقون النار عليها. لكنها رفضت الاستسلام. عمل دماغها بأقصى طاقته. أي نوع من الإلكترونيات لديهم في المكان؟ كاميرا، بالطبع، وكمبيوتر واتصال بالإنترنت، وربما نظام إنذار أيضًا. لكن لا... ليس لديها وصول لكل ذلك الآن. على أية حال، الكهرباء مقطوعة.

خيارها الوحيد هو كسب الوقت، فنظرت إلى بلومكفيست مرة أخرى. كانت بحاجة إليه. بحاجة لكل مساعدة ممكنة، وعليها التفكير بإيجابية الآن. على الأقل أنقذت بلومكفيست، ولو مؤقتًا. كل شيء آخر كان فشلًا ذريعًا. منذ ترددها في جادة تفيرسكوي، لم تسبب سوى المتاعب والمعاناة، فوبخت نفسها بينما كان دماغها يبحث عن حلول.

درست لغة جسد الرجال وقاست المسافة إلى الفتحة في النافذة ودراجتها النارية وقضيب حديدي، أداة لنفخ الزجاج كانت ملقاة على الأرض. فكرت في خطط عمل مختلفة ورفضتها. كان الأمر وكأنها تصور كل تفصيل في المبنى، واستمعت للأصوات وأي شيء بارز، لكنها شعرت أيضًا بنذير غريب. بعد لحظة، انفتح الباب الأزرق فجأة واتجهت شخصية مألوفة جدًا نحوها، بخطوات يتردد صداها بالانتصار، ولكن باليأس أيضًا. ملأ التوتر والجدية الهواء، وخلفها قال صوت متعب بالروسية:

– "بحق المسيح يا كيرا، ألا تزالين هنا؟"

***

٣٠ سبتمبر ٢٠١٧، كاتماندو

كان نيما ريتا يجلس القرفصاء في زقاق خلفي ليس بعيدًا عن نهر باغماتي، حيث تُحرق جثث الموتى، وكان يتصبب عرقًا في سترته المبطنة، نفس السترة التي كان يرتديها آخر مرة رأى فيها لونا في الصدع الجليدي بأعلى تشو أويو. استطاع رؤيتها أمامه؛ كيف كانت ممدة على بطنها وذراعاها مفرودتان وكأنها تطير، تنادي من عالم ما وراء الأحياء:

– "أرجوك، أرجوك لا تتركني!"

بدا نداؤها مثل نداء "مامساهيب". كانت يائسة بنفس القدر، والتفكير في ذلك كان لا يُطاق. تجرع نيما ريتا جعته. ليس أن الكحول يسكت الصرخات – لا شيء يفعل ذلك – لكنه يخفف حدتها، فيغني العالم لحنًا أكثر نعومة. نظر لأسفل فرأى أنه يملك ثلاث زجاجات متبقية، وكان ذلك جيدًا. سيشربها. ثم يعود للمستشفى لمقابلة ليليان هندرسون، التي سافرت طوال الطريق من الولايات المتحدة لرؤيته، وكان ذلك شيئًا عظيمًا حقًا، ربما الشيء الوحيد منذ زمن طويل الذي منحه الأمل، رغم خوفه بالطبع من أنها قد تنتهي هي الأخرى بالابتعاد عنه.

لقد حلت عليه لعنة. لا أحد يستمع إليه الآن. كلماته تتطاير بعيدًا، كما يتطاير الرماد عن ضفة النهر. كان مثل مرض يتحاشاه الناس. شخص مصاب بالطاعون. ومع ذلك صلى لآلهة الجبل أن يفهم شخص مثل ليليان. وكان يعرف بالضبط ما يريد إخبارها به. كان سيقول إنه كان مخطئًا، "مامساهيب" لم تكن شخصًا سيئًا. الأشخاص السيئون هم من قالوا إنها كذلك، "ساهيب إنجلمان" و"ساهيب ليندبيرغ"، اللذان أرادا موتها، وخدعاه وهمسا بكلمات مروعة في أذنيه. هم الأشرار،

وليست هي، هذا ما كان سيقوله – لكن هل سيتمكن من ذلك؟ كان مريضًا. كان يعرف ذلك بنفسه.

كانت الأمور تختلط عليه، كلها. شعر وكأنه لم يترك "مامساهيب" لتموت في الثلج فحسب، بل لونا أيضًا، ولذلك كان عليه أن يحزن ويحب "مامساهيب" بنفس الطريقة التي يحزن بها ويحب لونا، كل يوم، وهذا جعل تعاسته مضاعفة. بل أكبر مائة مرة. لكنه سيتحامل على نفسه ويحاول التمييز بين الأصوات وألا يخلط بينها جميعًا ويخاطر بإخافة ليليان، كما أخاف الآخرين، ولذا شرب جعته، بسرعة وبشكل منهجي وعيناه مغلقتان. رائحة التوابل والعرق تحيط به. حشود من الناس تتحرك، لكنه الآن سمع خطوات تقترب جدًا ورفع بصره. رأى رجلين، أحدهما أكبر سنًا والآخر أصغر. وقالا له، بإنجليزية ذات لكنة بريطانية:

– "نحن هنا لمساعدتك."

– "يجب أن أخبر مامساهيب ليليان،" قال.

– "ستحصل على فرصتك للكلام،" قالا.

لم يكن متأكدًا مما حدث بعد ذلك، عرف فقط أنه وجد نفسه في سيارة في الطريق إلى المطار، وأنه لم يقابل ليليان هندرسون أبدًا. لم يكتشف أحد ما حدث حقًا، ولم يهم كم مرة صلى للآلهة طلبًا للمغفرة. كان ضائعًا.

سيموت رجلًا ملعونًا.

***

مالت كاترين لينداس للأمام ونظرت في عيني فورسيل.

– "إذا كان نيما يريد التحدث للصحفيين، لماذا لم يُسمح له بذلك؟"

– "تقرر أن حالته سيئة للغاية."

– "قلت إنه تلقى رعاية بائسة. وأنه أمضى معظم وقته محتجزًا. لماذا لم يساعده أحد في ترتيب قصته؟"

نظر فورسيل للأسفل. تحركت شفتاه بتوتر.

– "لأن..."

– "... لأنك لم ترغب في ذلك حقًا،" قاطعته بنبرة أكثر حدة مما قصدت. "لم ترد لأي شيء أن يفسد سعادتك، أليس كذلك؟"

– "بحق السماء،" قال كوالسكي. "تحلي ببعض الرحمة. يوهانس ليس الشرير في هذه القصة، وكما نعلم، سعادته لم تدم طويلًا."

– "أنت محق، أنا آسفة،" قالت. "تابع."

– "لا داعي للاعتذار،" قال فورسيل. "صحيح أن سلوكي كان مؤسفًا. أخرجت نيما من عقلي، وكنت مشغولًا بالتعامل مع حياتي وعملي."

– "موجة الكراهية تلك؟"

– "لم تؤثر علي بشدة أبدًا. رأيتها على حقيقتها – خدعة وتضليل. لا، الكارثة حلت قبل بضعة أسابيع فقط."

– "ماذا حدث؟"

– "كنت في مكتبي بالوزارة. علمت منذ أيام أن نيما ريتا قد اختفى من الجناح الجنوبي، وكنت قلقًا وأفكر في الأمر حين دخل ليندبيرغ. كان من الواضح أن هناك خطبًا ما. ترين، لم أخبره أبدًا أننا أحضرنا نيما إلى هنا. لم أذكره قط. كانت تلك أوامر يانيك هنا، ومجموعته.

لكنني لم أستطع كتمان الأمر. رغم أنني كنت أعرف جيدًا كم هو متلاعب، إلا أنني كنت أعتمد عليه في الأزمات. كان شيئًا حملته معي من إيفرست، فأخبرته بكل شيء. خرج الكلام وحسب."

– "كيف كان رد فعله؟"

– "هادئ، متماسك. كان متفاجئًا، بالتأكيد. لكني لم ألحظ أي شيء مقلق. أومأ برأسه وغادر، وظننت أن كل شيء سيكون على ما يرام. بحلول ذلك الوقت كنت قد تواصلت بالفعل مع كلاس بيرغ، الذي وعد بالعثور على نيما وإعادته للمستشفى. لكن شيئًا لم يحدث. لم يتصل ليندبيرغ إلا يوم الأحد، ١٦ أغسطس. كان في سيارته خارج منزلنا في ستوكسوند ويحتاج للتحدث. طلب مني عدم إحضار هاتفي، فاستنتجت أن الأمر حساس. كان يشغل موسيقى صاخبة داخل السيارة."

– "فماذا قال؟"

– "إنه وجد نيما ريتا واكتشف أنه كان يعلق صحفًا حائطية تصف ما حدث على إيفرست. وأنه كان يحاول الاتصال بصحفيين. «لا يمكننا تحمل السماح لهذا النوع من المعلومات بالخروج الآن،» قال ليندبيرغ، «ليس ونحن في هذا الوضع الهش»."

– "بماذا أجبت؟"

– "بصدق لا أعرف. أذكر فقط قوله إنه اهتم بالأمور، ولم أعد بحاجة للقلق. جن جنوني وطالبته بإخباري بما فعله بالضبط، فأجاب بهدوء: «سأكون سعيدًا بالحديث عن ذلك، لكن حينها ستكون متورطًا أيضًا. سنكون اثنينا في نفس المركب،» فصرخت فيه. «لا أهتم،» قلت. «أريد أن أعرف ما فعلته.» وعندها أخبرني الوغد بالقصة كاملة."

– "ماذا أخبرك؟"

– "أنه وجد نيما ريتا في نورا بانتورغيت وأعطاه زجاجة ملوثة دون أن يتعرف نيما عليه، وأنه مات بسلام في نومه في اليوم التالي. كانت تلك كلماته، «مات بسلام في نومه»، وأضاف أن أحدًا لن يتخيل أبدًا أنه أي شيء آخر غير موت طبيعي أو جرعة زائدة. «الرجل كان يبدو كالقذارة،» قال، «قذارة.» وحينها غضبت، فقدت أعصابي حقًا. قلت إنني سأبلغ عنه وأجعله يسجن مدى الحياة. لكنه نظر إلي بهدوء، وحينها فهمت كل شيء. اتضح كل شيء، وكأن صاعقة ضربتني. من هو وما هو قادر عليه. الكثير من الأشياء أصبحت واضحة لدرجة أنني لا أعرف من أين أبدأ. لكنني أذكر التفكير في حساء التوت الأزرق على إيفرست."

– "حساء التوت الأزرق؟" بدت كاترين لينداس مندهشة.

– "حصل ليندبيرغ على رعاية من شركة في دالارنا تنتج حساء توت أزرق مغذيًا بشكل خاص، وبالطبع تعلمين أن هذا شيء سويدي جدًا. لكن على إيفرست تحدث بحرارة عن الحساء لدرجة أن الجميع في بعثتنا كانوا يشربونه، وبينما كنا جالسين في السيارة تذكرت كيف وزع زجاجات في المخيم الرابع قبل انطلاقنا للقمة مباشرة. حملها الشيربا الخاصون بنا إلى هناك. أذكره يعطي فيكتور وكلارا زجاجة لكل منهما، وكنت أفكر في مدى الخمول الذي أصابهما بعد ذلك، وحينها أدركت——"

– "أنه لوث الزجاجات من قبل."

– "ليس شيئًا يمكنني إثباته، وبالتأكيد لم يعترف به. لكنني أدركت أن هذه هي الطريقة. وضع شيئًا في شرابهم أضعفهم، وربما منومًا أيضًا.

لا بد أنه اتفق على ذلك مع إنجلمان. كلاهما كان يعمل لحماية نفسه وزفيزدا براتفا."

– "لكنك لم تجرؤ على الإبلاغ عنهما؟"

– "لا، وهذا ما حطمني حقًا."

– "ماذا كان يمسك ليندبيرغ عليك؟"

– "كانت لديه صور لي وأنا أعطي المال لعشيقة أنطونسون كبداية. كان ذلك سيئًا بما يكفي، لكنه لم يكن كل شيء بأي حال. كانت هناك تقارير مختلفة تفيد بأنني ذهبت مع عاهرات وكنت عنيفًا مع النساء. ادعى أن هناك ملفًا كاملًا عني، وكان الأمر عبثيًا لدرجة أنني جلست هناك ألهث. لم أمد يدي بسوء على امرأة أبدًا بتلك الطريقة، كما تعلمين يا بيكا. لكن الأمر كان مكتوبًا على وجهه بوضوح، وكأنني أراه لأول مرة."

– "ماذا؟"

– "أنه بالنسبة له لم يكن يهم قيد أنملة أن كل ذلك ملفق. وصداقتنا لم تكن ذات أهمية أيضًا. سيدمرني إذا ناسبه ذلك، ولن أنسى أبدًا أنه هدد حتى بتلفيق تهمة قتل نيما ريتا لي إذا عاديتُه. كنت مرعوبًا، بصراحة. رأيتنا نواجه كارثة يا بيكا، ولم أستطع التحمل. بدلًا من فعل شيء، أخذت إجازة لمدة أسبوع وذهبت إلى ساندون والباقي تعرفونه. لم أستطع التعايش مع الأمر، فركضت إلى البحر."

– "يا له من خنزير شرير،" قالت ليندااس.

– "لا يوصف،" قالت ريبيكا.

– "ماذا عن الملف الذي ذكره ليندبيرغ؟ هل هو موجود، أم كان يخدعك؟"

– "إنه موجود، للأسف،" قال كوالسكي بصوت اكتسب عمقًا جديدًا. "لكن ربما من الأفضل أن تتعامل مع ذلك أيضًا يا يوهانس، وسأتدخل إذا احتجتني."

***

كانت كيرا على وشك الاستمتاع بما تطلعت إليه طوال حياتها كراشدة، ومع ذلك شعرت... بماذا؟... في الحقيقة، بخيبة أمل في الغالب. ليس فقط لأن كل شيء سينتهي حينها، ولن تتمكن من الحلم به بعد الآن. بل لأن الانتصار لم يكن مجيدًا تمامًا كما تخيلت. لأن العجلة والقلق في الجو قد سلب هذه اللحظة العظيمة بريقها. وفوق كل شيء، بسبب سالاندر نفسها.

لم تبدُ سالاندر كما كانت تأمل – لا محطمة ولا خائفة. كانت قذرة ونحيلة بشكل لا يوصف وهي ممدة على بطنها، والدم يسيل من ذراعها. ومع ذلك، بطريقة ما، ظلت تبدو كقطة تستعد للانقضاض. كانت مستندة على مرفقيها، وكأنها تتأهب للهجوم. عيناها السوداوان تنظران مباشرة متجاوزة الجميع نحو الباب المؤدي للخارج، وذلك وحده – الشعور بأنها لا تلاحظ وجودها حتى – جعل كيرا تستشيط غضبًا. انظري إلي، يا أختي، أرادت أن تصرخ. انظري إلي. لكن لا يجب أن تظهر أي علامة ضعف.

– "إذًا حصلنا عليكِ أخيرًا هنا،" قالت.

صمتت سالاندر. نظرت فقط حول الغرفة ورأت بلومكفيست وساقيه المحروقتين بشدة والفرن خلفه. بدت وكأنها تبحث عن انعكاسها في المعدن اللامع، وذلك منح كيرا دفعة صغيرة. ربما كانت سالاندر خائفة قليلًا في النهاية.

– "ستحترقين، تمامًا مثل زالا،" قالت، وأخيرًا ردت أختها.

– "هل سيشعركِ ذلك بتحسن، برأيكِ؟"

– "يجب أن تعرفي أنتِ."

– "إنه لا يُشعركِ بتحسن."

– "بالنسبة لي سيفعل."

– "أتعلمين ما أندم عليه يا كاميلا؟"

– "لا أهتم."

– "أندم لأنني لم أرَ."

– "هذا هراء."

– "أندم لأننا لم نتحد معًا، ضده."

– "لم يكن ذلك أبدًا..." بدأت كيرا، لكنها توقفت، إما لأنها لم تكن تعرف ما تريد قوله، أو لأنها عرفت أن أيًا كان ما ستقوله سيكون خطأ. بدلًا من ذلك صرخت:

– "أطلقوا النار على ساقيها وخذوها للفرن."

وذلك أرسل قشعريرة إثارة عبر صدرها.

فتح أولئك الحمقى النار بالفعل، لكن لا بد أنهم ترددوا لثانية واحدة أكثر من اللازم. تمكنت سالاندر من التدحرج وفجأة كان بلومكفيست واقفًا على قدميه، الله وحده يعلم كيف فعلها. تراجعت كيرا للخلف، ورأت أن أختها قد أمسكت بقضيب حديدي صدئ كان ملقى على الأرض.

مع انصباب كل الاهتمام الآن على سالاندر، تمكن بلومكفيست من سحب يديه من الأحزمة الجلدية وحاول الوقوف. كانت ساقاه

بالكاد تحملانه، لكن تدفق الأدرينالين مكنه من البقاء منتصبًا والإمساك بإحدى السكاكين على الطاولة القريبة.

على بعد أمتار قليلة، كانت سالاندر قد تدحرجت عبر الأرض ممسكة بقضيب حديدي وتمكنت من الوصول لدراجتها النارية. بجذبة مفاجئة وعنيفة، أوقفتها على عجلاتها، واستخدمتها لثانية أو اثنتين كدرع ضد الرصاص. ثم قفزت عليها وشغلت المحرك، وانطلقت خارجة عبر النافذة واختفت عبر الحقل. كان الأمر غير متوقع لدرجة أن العصابة توقفت عن إطلاق النار. هل كانت تهرب؟

بدا الأمر لا يصدق. لكن صوت المحرك خفت بالفعل وتلاشى في النهاية. شعر بلومكفيست وكأن ريحًا باردة تجتاحه.

نظر إلى الفرن المشتعل وإلى ساقيه المصابتين بجروح مروعة، وشعر أن السكين في يده مثير للشفقة، كعصا خشبية في معركة حتى الموت، وانهار على الأرض في ألم مبرح.

توقف كل شيء فجأة. كان عدم التصديق يملأ الجو، وأنفاس ثقيلة وهمهمات، وصوت جلاده، غالينوف، ينهض. أنفه مدمى ومهشم، وبقع دم ورماد تغطي بدلته البيضاء، وكان يتمتم بأن عليهم الخروج من هناك فورًا. التقت كاميلا بعينيه وقامت بحركة غير محددة برأسها، قد تعني نعم أو لا أو لا شيء على الإطلاق. بدت مصدومة كأي شخص آخر. شتمت بصوت خافت وركلت أحد الرجال الجرحى على الأرض. على مسافة أبعد كان رجل ينادي بشيء عن بوغدانوف.

في تلك اللحظة بالضبط سمع بلومكفيست صوتًا جديدًا، محركًا يهدر، يتسارع نحو المبنى. لا بد أنها سالاندر. ماذا تفعل؟ كانت تتجه نحوهم مرة أخرى، لكن ليس بهذه السرعة هذه المرة، ولم تكن تقصد

الفتحة التي حطمتها في النافذة. كانت تتجه نحوه ونحو الفرن، وبدأ البلطجية يطلقون النار مرة أخرى، بجنون وتهور الآن. لكن صوت المحرك استمر في الاقتراب والآن جاءت الدراجة النارية تقتحم النافذة أمامه مباشرة.

مرة أخرى، دخلت سالاندر وسط وابل هائل من الزجاج المكسور، الذي تناثر على الأرض وأصاب رأس غالينوف وكتفيه، وجعله يقفز كمن رأى شبحًا. كان من السهل فهم السبب. كانت سالاندر شاحبة كالموت وتبدو مخبولة تمامًا، وهذه المرة لم تكن تمسك بالمقود. ملوحة بالقضيب الحديدي، أطاحت بمسدس من يدي أحد الرجال قبل أن تصطدم بالنقالة وتسقط فوق بلومكفيست، مباشرة في الجدار. لكنها كانت على قدميها في لمح البصر، وأمسكت بالسلاح الذي انزلق على الأرض وبدأت تطلق النار.

كانت الومضات في كل مكان حول المبنى، ولم يعد بلومكفيست قادرًا على استيعاب ما يجري. لم يسمع سوى الطلقات والصراخ، والخطوات والتنفس، والهمهمات والأجساد المتساقطة. عندما هدأ الضجيج أخيرًا، ولو للحظة، قرر التصرف، فعل شيء... أي شيء.

أدرك أنه لا يزال يمسك بالسكين وحاول النهوض. لكن الألم كان شديدًا. أخذ نفسًا عميقًا وحاول مرة أخرى، ونجح في الوقوف هذه المرة. مذهولًا، نظر حوله، ورأى أن ثلاثة أشخاص فقط بقوا واقفين: سالاندر، غالينوف وكاميلا. فقط سالاندر تحمل سلاحًا. الموقف مال لصالحها وحان وقت إنهاء كل شيء. لكنها بقيت ساكنة بشكل غريب، وكأن حركاتها تجمدت. حتى عيناها كانتا ثابتتين، وبالكاد ترمش. هناك

خطب ما. شعر بلومكفيست بوخزة خوف في صدره، والآن رأى ذلك هو أيضًا: يد سالاندر كانت ترتجف.

لم تستطع إطلاق النار، وتجرأ غالينوف وكاميلا على التقدم، كل من اتجاه مختلف، غالينوف ينزف ومذهول وكاميلا ترتجف غضبًا. لبضع ثوان حدقت كاميلا في سالاندر، عيناها مفعمتان بالكراهية وشيء يشبه الجنون. ثم فجأة، وكأنها تريد أن يُطلق عليها الرصاص، ركضت مباشرة نحو أختها. لكن سالاندر لم تطلق النار عليها — ليس هذه المرة أيضًا.

بدلًا من ذلك سقطت للخلف وضربت رأسها بالطوب بالقرب من الفرن. ركض غالينوف إليها، وأمسك بها. رجل ملقى بعيدًا ترنح ناهضًا. مرة أخرى، بدا أنها النهاية.

-٣٤-

٢٨ أغسطس

قال فورسيل:

– "كان اليأس يتملكني أكثر فأكثر في ذلك الوقت، ولم يكن الأمر مجرد خوف؛ بل كان ازدراءً للذات أيضًا. ليندبرغ لم يكتفِ بتهديدي، بل نجح في تشويه نظرتي لنفسي بالكامل. تسللت تلك الاتهامات التي ادعى امتلاكها ضدي إلى عروقي، حتى بدأت أشعر بأنني شخص لا يستحق الحياة. لقد ذكرتُ قبل قليل كل ذلك الكره الذي فاضت به وسائل الإعلام؛ لم أكن أعرْه اهتمامًا كبيرًا في البداية، ولكن بعد حديثي مع ليندبرغ في سيارته، بدا كل ما قيل عني حقيقة واقعة، وكأنه جزء من كينونتي، ولم أعد أقوى على الاحتمال. لزمتُ فراشي في 'ساندون' وأنا في حالة من الشلل التام."

قالت ريبيكا:

– "ومع ذلك سمعتُك تصرخ في الهاتف؛ بدوتَ حينها مستعدًا للمواجهة."

– "هذا صحيح، أردتُ القتال فعلاً. اتصلتُ بـ يانيك هنا وأخبرتُه بكل شيء، وكثيرًا ما كان الهاتف في يدي وأنا على وشك الاتصال برئيس الوزراء وقائد الشرطة. كنتُ أعدُّ نفسي لاتخاذ إجراء ما، أو هذا ما أود تصديقه على الأقل. ولا شك أن غيابي أثار قلق ليندبرغ، فجاء

إلى 'ساندون'. وبالنظر إلى الماضي، أتساءل إن كان قد فعل ذلك لمجرد مراقبتي."

سألت ليندلس:

— "ولِمَ تقول ذلك؟"

— "لأنه في صباح أحد الأيام، وبينما خرجت بيكا للتسوق، ظهر فجأة دون سابق إنذار. وقفنا على الشاطئ نتحدث، وحينها أطلعني على الملف. كان كله مزيفًا، لكنه كان متقن الصياغة بشكل مخيف؛ صور لنساء غطت الكدمات الزرقاء أجسادهن، وإفادات شهود، ونسخ من بلاغات للشرطة وأدلة ثبوتية، وشهادات بدت وكأنها تقارير علمية أو فنية موثقة. كانت مجموعة شاملة من الوثائق، ومن الواضح أنها عمل محترفين. أدركتُ فورًا أن الكثير من الناس سينخدعون بها لفترة كافية لإلحاق ضرر لا يمكن إصلاحه. أذكر أنني عدتُ إلى المنزل وأنا أجول بنظري في أركانه؛ فاستحالت كل قطعة فيه — كل سكين مطبخ، ونوافذ الطابق العلوي، ومآخذ الكهرباء — إلى أدوات قد أستخدمها لإيذاء نفسي. في تلك اللحظة، لم أكن أريد سوى الموت."

قال كوالسكي:

— "ليس تمامًا يا يوهانس، فلا أظنك فقدتَ كل روح المقاتل فيك؛ فقد عاودتَ الاتصال بي وأخبرتني بكل شيء."

— "هذا صحيح، فعلتُ ذلك."

— "وقد زودتنا بمعلومات كافية مكنتنا من التأكيد بأن سفانتي ليندبرغ قد تم تجنيده من قِبل منظمة زفيزدا براتفا في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. لم ندرك حينها أنه كان فاسدًا حتى النخاع فحسب، بل فهمنا أخيرًا حقيقة ما جرى."

– "أنه خدر غرانكين وكلارا إنجلمان؟"

– "كنا نعرف دوافعه بالضبط طوال الوقت. فتمامًا مثل ستان إنجلمان، كان قلقًا للغاية مما قد يكشفه فيكتور وكلارا. لا نعتقد أن غرانكين كان يعرف دور ليندبرغ في تلك المنظمة، ولكن هذا لا يهم كثيرًا؛ فبمجرد أن تُستدرج إلى منظمة كهذه، ستفعل ما تؤمر به. وبحلول ذلك الوقت، كان لدى زفيزدا براتفا كل الأسباب للتخلص من فيكتور وكلارا."

قالت لينداس:

– "بدأتُ أفهم الآن."

– "إذن ستدركين أن ليندبرغ كان لديه أكثر من سبب لترك كلارا تموت هناك في الأعالي؛ لم يكن الأمر مجرد مساعدة لصديق."

– "أراد إسكاتها."

– "كانت عودتها من الموت تعني أن المنظمة في خطر مرة أخرى. لكن المحزن في الأمر أننا ركزنا كل اهتمامنا على الوثائق التي نملكها، ونسينا أن نبقي يوهانس في الصورة."

قالت ريبيكا:

– "لقد تركتموه يواجه مصيره وحده."

– "نسينا أن نقدم له الدعم الذي يستحقه، وهذا يؤلمني بشدة."

– "أتمنى ذلك حقًا."

– "أنتِ على حق تمامًا. كان أمرًا مؤسفًا وغير عادل، وآمل أن يكون هذا هو رأيكِ أيضًا يا كاترين بعد استماعكِ لكل هذا."

سألت:

– "ماذا؟"

– "أن يوهانس كان طوال الوقت يحاول فعل الشيء الصحيح فحسب."

لم تجب ليندا؛ كانت تحدق بذهول في خبر عاجل ظهر على شاشة هاتفها.

قالت ريبيكا:

– "هل حدث شيء ما؟"

– "هناك عملية للشرطة تجري الآن في 'مورجون سالا'، ربما للأمر علاقة بـ ميكائيل."

***

ارتطم رأس سالاندر بالجدار الآجري، وشعرت بلفحة الحرارة المنبعثة من الفرن. أدركت أن عليها التماسك، ليس من أجل نفسها فحسب.

ما خطبي اللعنة؟ يمكنني كوي الرجال بالمكواة، ويمكنني وشم الكلمات على بطونهم، ويمكنني أن أفقد صوابي تمامًا.. لكنني لا أستطيع إطلاق النار على أختي، حتى لو كانت حياتي رهناً بذلك.

ترددت مرة أخرى، والآن، وفي خضم الجنون الذي يلف المكان، قبضت كاميلا على ذراعها المصابة وحاولت سحبها نحو الفرن. سمعت فحيح خصلات شعرها وهي تحترق، وكانت على وشك السقوط في اللهيب، لكنها استعادت توازنها ورأت رجلاً – ظنت أنه يورما – يصوب مسدسه نحوها من الجانب الآخر للغرفة، فردت عليه بإطلاق النار وأصابته في صدره. كانت الحركة والخطر يحيطان بها من كل جانب، والآن انحنى غالينوف ليلتقط سلاحًا من الأرض، وكانت على وشك إطلاق النار عليه هو الآخر، لكن الوقت لم يسعفها.

انهار بلومكفيست وهو يلوى وجهه من الألم، لكنه أثناء سقوطه تمكن من التشبث بكتف غالينوف. في تلك اللحظة، تراجعت كاميلا خطوة إلى الوراء وحدقت في سالاندر بكراهية لا تعرف حدودًا. كان جسدها كله يرتجف وهي تستجمع قواها، ثم اندفعت للأمام لتدفع أختها داخل الفرن. لكن سالاندر تنحت جانبًا، فدفع الزخم كاميلا للأمام. انتهى كل شيء في لمح البصر.

ومع ذلك، بدا وكأن الزمن قد توقف؛ لم تكن الحركة نفسها والسقوط وتخبط اليدين هي ما استغرق دهرًا، بل ذلك الصوت المدوي لارتطام جسدها بالنار، وأزيز الجلد المحترق، واشتعال خصلات شعرها، ثم الصراخ الذي تلا ذلك والذي خنقه اللهيب ومحاولاتها اليائسة للخروج، ثم تلك الخطوات الأولى المترنحة وهي تعود للأرض، والنار تلتهم شعرها وقميصها.

عوت كاميلا وهزت رأسها وهي تتلوى من الألم، بينما وقفت سالاندر بلا حراك تراقب المشهد. لبرهة خاطفة تساءلت إن كان عليها مساعدة أختها، لكنها ظلت جامدة، ووقع أمر آخر بدلاً من ذلك. صمتت كاميلا فجأة كأنها أصيبت بالشلل؛ فلابد أنها لمحت انعكاس صورتها في الإطار المعدني للفرن، لأنها بدأت فجأة في الصراخ مرة أخرى:

— "وجهي! وجهي!"

بدت وكأنها فقدت شيئًا أغلى من الحياة نفسها. ومع ذلك، وبطريقة ما، كانت لا تزال قادرة على الفعل؛ فانحنت والتقطت السلاح الذي أسقطه غالينوف وصوبته نحو أختها، مما دفع سالاندر للتحرك. كانت الآن مستعدة للرد.

كان شعر كاميلا لا يزال يحترق، مما لابد أنه أثر على رؤيتها. ترنحت في مكانها وهي ترفع المسدس عالياً، وكانت أصبع سالاندر على الزناد مستعدة للإطلاق. ولجزء من الثانية ظنت أنها قد أطلقت بالفعل؛ فقد دوى صوت طلقة، لكنها لم تكن من مسدسها.

كانت الطلقة من مسدس كاميلا؛ فقد أطلقت النار على رأسها. ودون أن تدرك سالاندر ما تفعله، مدت يدها وكأنها كانت على وشك قول شيء ما، لكن مهما كان ذلك الشيء، فقد ظل حبيس أنفاسها. تهاوت كاميلا جثة هامدة، ووقفت سالاندر تنظر إلى أختها بينما مرت صور العالم كله في مخيلتها؛ عالم يبتلعه الحريق والدمار.

فكرت في والدتها، وفي زالا وهو يحترق داخل سيارته المرسيدس. وبعد وقت قصير، تناهى إلى مسامعها دوي محركات مروحية تحلق فوق المكان، فنظرت للأسفل نحو بلومكفيست الذي كان لا يزال ممددًا على الأرض، غير بعيد عن كاميلا وغالينوف.

تمتم قائلًا:

– "هل انتهى الأمر؟"

قالت:

– "انتهى."

وفي تلك اللحظة نفسها، سمعت صياح رجال الشرطة في الخارج وهم يقتربون من المبنى.

-٣٥-

٢٨ أغسطس

كان بوبلانسكي – أو «الضابط بوب» كما يُلقب أحيانًا – يسير في الحقل الممتد أمام مصنع الزجاج القديم. كان رجال الشرطة والطواقم الطبية يملأون المكان. وثمة طاقم تلفزيوني يبث تغطية حية، وقد أُبلغ بأن بلومكفيست والعديد من المصابين قد نُقلوا بالفعل. ولكن لدهشته، لمح طيفًا مألوفًا يجلس داخل سيارة إسعاف على بعد مسافة قصيرة.

كانت الأبواب مشرعة، والشخصية مغطاة بالجروح والأوساخ، وشعرها محترق الأطراف وذراعها مضمدة. كانت تحدق بجمود في نقالة تُحمل بعيدًا عن المبنى، وعليها جسد ملفوف ببطانية رمادية. اقترب بوبلانسكي بتردد.

قال:

– "ليزبيث... كيف حالك؟"

لم تجب. لم تنظر إليه حتى، فتابع قائلًا:

– "نحن مدينون لكِ بالشكر. لولاكِ..."

– "لما حدث هذا،" قاطعته.

– "لا تُلقي على نفسك باللوم. هل أجرؤ أن أطلب منكِ وعدًا..."

– "لن أعد بشيء،" قالتها بنبرة أخافته.

تذكر مجددًا الملاك الساقط في الفردوس: لا يخدم أحدًا، ولا ينتمي لأحد. ابتسم بارتباك وحث طاقم الإسعاف على نقلها للمستشفى بأقصى سرعة.

التفت إلى سونيا موديغ، التي كانت تعبر الحقل نحوه، وللمرة الألف فكر في أنه قد كبر على هذا النوع من الجنون. تاق إلى البحر، أو إلى أي مكان ينعم بالسلام ويقع بعيدًا جدًا.

***

جلسوا هناك وقد تسمرت عيونهم على هواتفهم المحمولة. كان شخص ما يقدم تقريرًا مباشرًا على التلفزيون الوطني يفيد بأن بلومكفيست وسالاندر قد أُخرجا من المبنى، مصابين لكنهما واعيان، فشعرت ليندا بالدموع تترقرق في عينيها. ارتعشت يداها وحدقت في الفراغ أمامها. شعرت بيد على كتفها.

قال كوالسكي:

– "يبدو أنهما سينجوان."

– "لنأمل ذلك،" قالت، متسائلة عما إذا كان من الأفضل لها المغادرة فورًا.

لكنها أدركت أنها لن تستطيع تقديم أي مساعدة في هذه المرحلة. قد يكون من الأفضل إنهاء ما بدأته، ولا تزال هناك مسألة واحدة تحتاج لإجابة.

قالت:

– "أتخيل أن الناس سيتعاطفون مع محنتك يا يوهانس، على الأقل أولئك الذين يريدون الفهم."

– "عادة لا يكون هؤلاء كثرًا،" قالت ريبيكا.

– "لا يوجد ما يمكنني فعله حيال ذلك الآن،" قال فورسيل. "هل يمكننا إيصالك لمكان ما يا كاترين؟"

– "سأكون بخير، شكرًا،" قالت. "لكن هناك شيئًا آخر أود سؤالك عنه. قلت إنك لم تزر نيما ريتا كثيرًا في الجناح الجنوبي. لكنك ذهبت بضع مرات، أليس كذلك؟ وبالتأكيد لاحظت أنه لم يكن بخير؟"

– "فعلت."

– "إذًا لماذا لم تطلب فعل شيء ما؟ لماذا لم تحرص على نقله لمكان أفضل؟"

– "أصررت على كل أنواع الأشياء. حتى أنني صرخت في وجه الناس هناك. لكن ليس بما يكفي، أفترض، وربما استسلمت بسهولة شديدة. هربت من الأمر. ربما كان أكبر من قدرتي على الاحتمال."

– "بأي معنى؟"

– "لدينا جميعًا أشياء لا نستطيع التعامل معها،" قال. "في النهاية تشيح بوجهك وتتظاهر بأنها لا تحدث."

– "هل كان الأمر بهذا السوء؟"

– "في البداية، كنت أذهب كثيرًا. ثم انتظرت لعام كامل تقريبًا. هكذا جرت الأمور، وأذكر شعوري بالتوتر وعدم الارتياح حين عدت. جاء يجر قدميه نحوي، مرتديًا ملابس رمادية. بدا كسجين محطم. نهضت ولففت ذراعي حوله، لكن جسده كان متصلبًا وبلا حياة. حاولت الحديث. سألته أسئلة لا حصر لها. كانت إجاباته مقتضبة. بدا وكأنه استسلم، فكان لي رد فعل عنيف. شعرت بغضب هائل."

– "تجاه العيادة؟"

– "تجاهه."

– "لا أفهم."

– "هكذا كان الأمر، ببساطة، هذا ما يفعله الشعور بالذنب بك. ينتهي به المطاف بتوليد كم هائل من الغضب. كان نيما مثل... الوجه الآخر لي. كان الثمن الذي دفعته لأحظى بحياة سعيدة كهذه."

– "هل يمكنك توضيح ذلك؟" قالت ليندا س.

– "ألا تفهمين؟ كنت مدينًا له بدين لا يمكنني سداده أبدًا. لم أستطع حتى شكره دون العودة إلى الشيء ذاته الذي مزقه إربًا. كنت حيًا لأن كلارا ضُحي بها. لأنه هو ضُحي به، وفي النهاية زوجته أيضًا، ولم أستطع تحمل ذلك. لم أعد أبدًا إلى الجناح الجنوبي."

-٣٦-

٩ سبتمبر

هزت إريكا بيرغر رأسها مجددًا؛ لا، لم تكن تملك أدنى فكرة كيف حدث كل ذلك، لكنها أوضحت بجلاء أنها لم تستسغ اختيارهم للكلمات. فهي ليست "الآنسة المثالية" ولا أخلاقية تفتقر للحس الإبداعي؛ بل هي – في واقع الأمر – بارعة حد اللعنة، وتكتب بشغف وقوة، وكان الأحرى بهما الفخر بدلًا من التذمر.. لذا، عليهما الانصراف فورًا لمزاولة عملهما.

قالت لهما:

– "الآن."

تمتما:

– "حسنًا، حسنًا.. ظننا فقط أن––"

– "بماذا ظننتما؟"

– "أوه، لا تهتمي."

تسلل المراسلان الشابان، ستين أوستروم وفريدي ويلاندر، خارج مكتبها، فودعتهما ببضع كلمات غاضبة أخرى. لكنها في سرها كانت تتساءل أيضًا، فلا مجال لنكران ذلك: كيف حدث هذا بحق الجحيم؟ لقد كانت نتيجة غير متوقعة لعلاقة عابرة، وليلة في فندق، هذا كل ما عرفته، ومع ذلك.. كاترين لينداس.

كانت كاترين هي آخر شخص على وجه الأرض تتوقع بيرغر أن تراه يكتب لمجلة ميلينيوم. لكن ليนداس قدمت كشفًا مذهلًا، وحملت قصتها حماسًا خامًا، وقبل أن تُنشر حتى، استقال وزير الدفاع فورسيل، وقُبض على وكيله سفانتي ليندبرغ لوجود أسباب معقولة للاشتباه في تورطه في جرائم قتل وابتزاز وتجسس مشدد. ومع ذلك، فإن أياً من المعلومات التي تسربت بالفعل إلى وسائل الإعلام وتصدرت العناوين العريضة يوماً بعد يوم وساعة تلو الأخرى، لم تسلب المجلة هيبتها أو تخمد التوقعات المتلهفة لعددها الأخير.

جاء في البيان الصحفي الذي أدلى به فورسيل:

"بالنظر إلى الحقائق التي ستُنشر في العدد القادم من مجلة ميلينيوم، سأتقدم باستقالتي من منصبي في الحكومة."

كان الأمر رائعًا بكل المقاييس، وحقيقة أن بعض موظفيها لم يستطيعوا الابتهاج بنجاحهم، بل شعروا بضرورة النيل من الشخص الذي حقق هذا السبق، لم تكن سوى دليل على مدى الحسد الذي قد يتملك الصحفيين. كما اشتكوا من الاضطرار للتعاون مع المجلة الألمانية Geo، التي كتبت فيها بولينا مولر – وهي كاتبة لم يسمع بها أحد منهم من قبل – مقالًا عن العمل العلمي الذي ساعد في تحديد هوية "الشيربا" نيما ريتا.

أما بلومكفيست نفسه، فلم يكتب سطرًا واحدًا، رغم أنه قام بالعمل التأسيسي بالطبع. فقد أمضى معظم الوقت مستلقيًا في غشاوة من المورفين، يصارع الألم وسلسلة من العمليات الجراحية. كان الأطباء مطمئنين: سيتمكن على الأرجح من المشي بشكل طبيعي مرة أخرى في غضون نصف عام، وكان هذا مبعث ارتياح عظيم. ومع ذلك،

ظل كتوماً ومحبطاً، ولم يبدُ كعهده القديم إلا نادراً، كما حدث عندما ناقشا طلاقها؛ فقد ضحك عندما أخبرته أنها تعيش قصة حب مع رجل يدعى ميكائيل.

قال لها:

– "يا للمصادفة."

لكنه لم يرغب في الحديث عن نفسه أو عن محنته. كان يكبت معاناته، مما أثار قلقها عليه. ولعله ينفتح قليلاً اليوم، فقد سُمح له بالعودة للمنزل، وفكرت في زيارته ذلك المساء. لكنها أرادت أولاً مراجعة قصته عن "مصانع الذباب الإلكتروني" (troll factories)، التي لم يرغب في نشرها ولم يرسلها لها إلا على مضض. وضعت نظاراتها وبدأت في القراءة؛ حسنًا، ليست بداية سيئة بالنظر لكل الظروف، هكذا فكرت. فهو يجيد كتابة الاستهلال، ولكن بعد ذلك.. استطاعت فهم سبب عدم رضاه عنها.

كانت القصة مترهلة؛ فقد أغرق في التعقيد، محاولاً قول الكثير في آن واحد. ذهبت لإحضار بعض القهوة قبل أن تبدأ في شطب بعض الجمل هنا وهناك. ولكن بعد ذلك.. ما هذا بحق السماء؟ قرب نهاية المقال، كانت هناك إضافة فجة تقول إن رجلاً يدعى فلاديمير كوزنيتسوف لا يمتلك مصانع الذباب الإلكتروني في روسيا فحسب، بل هو المسؤول الأول عنها. وهو أيضاً الرجل الذي يقف وراء حملة الكراهية التي سبقت عمليات قتل أفراد مجتمع L.G.B.T.Q. في الشيشان، وهو أمر لم يكن معروفاً من قبل.

تحققت من الأمر، لكن كل ما وجدته على الإنترنت عن كوزنيتسوف كان يبدو.. محبباً تقريباً. فهو على ما يبدو صاحب مطاعم

وشخصية مميزة، من عشاق هوكي الجليد، ومتخصص في طهي "ستيك الدب" وتنظيم حفلات باذخة للنخبة الحاكمة. لكن مقال بلومكفيست قال شيئاً مختلفاً تماماً؛ فقد حدده كشخص أطلق حملات التضليل وهجمات التسلل الإلكتروني التي أدت إلى انهيار سوق الأوراق المالية ذلك الصيف. كان هو القوة الدافعة وراء جزء كبير من الأكاذيب والكراهية المنتشرة في العالم. كم هذا مثير! وما الذي يفعله بلومكفيست بحق الجحيم؟ كيف يمكنه إخفاء كشف كهذا في أعماق القصة، وتقديمه دون ذرة دليل؟

قرأت بيرغر النص مرة أخرى ورأت أن اسم كوزنيتسوف يحتوي على رابط لمجموعة من الوثائق باللغة الروسية، فاستدعت إيرينا، المحررة والباحثة التي ساعدت بلومكفيست في وقت سابق من ذلك الصيف. كانت إيرينا ممتلئة القوام، ترتدي نظارات كبيرة ذات إطار عظمي، وتملك ابتسامة دافئة مائلة. استقرت فوراً على كرسي بيرغر وانغمست في المادة، تترجمها بصوت عالٍ، وفي النهاية نظرتا لبعضهما البعض وتمتمتا:

– "يا للهول!"

***

كان بلومكفيست قد عاد لتوه إلى شقته في شارع بيلمانس جتان مستنداً على عكازين، ولم يستطع فهم ما كانت بيرغر تتحدث عنه عبر الهاتف. لم يكن في كامل يقظته؛ فقد كان تحت تأثير المورفين ورأسه ثقيل، وتطارده ذكريات الماضي. في البداية كانت سالاندر معه في المستشفى، مما منحه نوعاً من الهدوء؛ فربما شعر بتحسن مع وجود شخص بجانبه يدرك تماماً ما مر به. ولكن بمجرد أن اعتاد على

وجودها، غادرت دون كلمة وداع. ساد الهرج والمرج بالطبع؛ وركض الأطباء والممرضات بحثاً عنها، وكذلك فعل بوبلانسكي وموديغ، اللذان لم يكملا استجوابها كشاهدة. وكأن ذلك يشكل فارقاً بالنسبة لها!

لقد غابت سالاندر، فتأثر بذلك بشدة. اللعنة عليكِ يا ليزبيث، لماذا تهربين مني دائماً؟ ألا ترين أنني بحاجة إليكِ؟ لكنه اضطر للتعايش مع الأمر، وعوض غيابها بصب جام غضبه في الشتائم وزيادة جرعته من مسكنات الألم.

أحياناً، في تلك المنطقة الفاصلة بين الليل والنهار، كان يُدفع إلى حافة الجنون، وإذا ما استطاع الغفو خلال تلك الساعات، كان يحلم بالفرن في مورجون سالا؛ كيف يُدفع جسده تدريجياً إلى ذلك البحر من النار وتلتهمه النيران، ثم عندما يستيقظ فجأة بصرخة، كان ينظر إلى ساقيه بذهول، ليتأكد من أنهما لا تحترقان.

كان في أهدأ حالاته في فترات بعد الظهر، عندما يأتيه الزوار؛ وأحياناً كان ينسى نفسه تماماً، أو على الأقل ينجح في إبعاد ذكريات مصنع الزجاج. وقد فوجئ تماماً عندما ظهرت امرأة سوداء ذات عينين متألقتين، تحمل باقة زهور بين ذراعيها. كانت ترتدي بدلة زرقاء زاهية ببنطال واسع، وشعرها مضفر بعناية. بدت وكأنها عداءة أو راقصة وتتحرك بصمت تقريباً. في البداية لم يستطع تذكر سبب شعوره بأنها مألوفة، ثم أدرك الحقيقة: إنها كادي ليندر، الخبيرة في مجالس الإدارة وعالمة النفس التي التقى بها عند مدخل ما أصبح الآن شقتها في شارع فيسكارجاتان.

قالت كادي إنها جاءت لترى إن كان بإمكانها تقديم أي مساعدة، متأثرة بشدة بما قرأته عنه في الصحف، لكن بدا أنها تريد إخباره بشيء آخر أيضاً. وعندما رآها تتململ وتبدو مرتبكة بعض الشيء، سألها عما يقلقها.

قالت:

– "لقد تلقيتُ بريداً إلكترونياً. في الواقع، كلمة بريد إلكتروني ليست دقيقة؛ فقد ومضت شاشتي، وكأنما بالسحر ظهر هذا الملف عن فريدي كارلسون من بنك Formea. هل تعرفه؟ ذلك الرجل الذي كان يضايقني وينال من سمعتي لسنوات لأنني قلت إنه غير نزيه في مجلة Veckans Affärer."

قال:

– "أذكر ذلك بشكل غامض."

– "حسنًا، احتوى ذلك الملف على دليل قاطع بأنه عندما كان مسؤولاً عن أعمال البنك في منطقة البلطيق، انخرط فريدي في عمليات غسيل أموال معقدة، ورأيتُ أنه لم يكن مجرد شخص غير نزيه فحسب، بل كان في الحقيقة مجرماً بكل ما للكلمة من معنى."

– "يا إلهي!"

– "لكن لم يكن ذلك هو ما أدهشني أكثر، بل كانت الرسالة الموجودة أسفل رابط الملف مباشرة."

سألها:

– "وماذا جاء فيها؟"

– "شيء من قبيل: 'لقد كنتُ أراقب كاميرات الأمن تحسباً لعدم إدراك أحدهم أنني قد انتقلت'. هذا كل شيء، وفي البداية لم أملك أدنى

فكرة عما يعنيه ذلك. لم يكن هناك مرسل ولا اسم. ولكن بعد ذلك فكرتُ في زيارتك والأحداث الدرامية في مورجون سالا، وفهمت الحقيقة: لقد اشتريتُ شقة ليزبيث سالاندر، وهذا جعلني——"

قاطعها قائلاً:

— "لا داعي للقلق."

— "القلق؟ أوه لا، يا إلهي، على الإطلاق! لقد شعرتُ بالانبهار! استطعتُ أن أرى أن ملف فريدي كارلسون كان طريقة سالاندر للتعويض عن أي مضايقات قد أواجهها بسببها. صراحةً، شعرتُ بالامتنان الشديد، وهذا جعلني أرغب في مساعدتكما أكثر."

قال لها:

— "هذا ليس ضرورياً على الإطلاق. يكفي كرمكِ بزيارتي."

وفي خطوة ملهمة لدرجة أنه فاجأ بها نفسه، سأل بلومكفيست كادي عما إذا كانت تفكر في تولي رئاسة مجلس إدارة المجلة، مع الأخذ في الاعتبار وضع ميلينيوم المكشوف في سوق الإعلام وكل المحاولات الشرسة لشرائهم. تهلل وجهها بذلك ووافقت على الفور، وفي اليوم التالي مباشرة جعل إريكا والآخرين يوافقون على الفكرة.

كانت كاترين بالطبع زائرته الأكثر تردداً في المستشفى، ليس فقط لأنهما أصبحا ثنائياً الآن، بل لأنه كان يعمل معها أيضاً على تقريرها. قرأ المسودات المتتالية وناقشا القصة مراراً وتكراراً. قُبض على كل من ليندبرغ وإنجلمان، وكذلك إيفان غالينوف. وأخبرته أنيكا جيانيني، التي كانت تزور شقيقها بلومكفيست بين الحين والآخر، أن ليندبرغ سيحصل على الأرجح على حكم بالسجن المؤبد بتهمة الخيانة، وسيواجه بالتأكيد مصادرة مكاسبه غير المشروعة. وبدا الأمر وكأنه

النهاية لنادي سفافيلسيو، وإن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لمنظمة زفيزدا براتفا ، التي كان حُماتها يتمتعون بنفوذ طاغٍ.

أما فورسيل، فقد بدا وكأنه سيخرج من الأمر بسلام نسبي، وأحياناً كان بلومكفيست يظن أن كاترين تتساهل معه أكثر مما ينبغي. لكن فورسيل قد منحهم السبق الصحفي في النهاية. وعلاوة على ذلك، فقد أحب الرجل، لذا افترض أنه تنازل سيتعين عليه التعايش معه. على أية حال، كان الأمر مبعث ارتياح لـ ريبيكا والأولاد.

ومما أثلج الصدر بشكل خاص أن نيما ريتا قد جرى إحراق جثمانه وفقاً للتقاليد البوذية في وطنه في تينجبوشي بجمهورية نيبال. وكان من المقرر أيضاً إقامة حفل تأبين، وسيحضر بوب كارسون من "دنفر"، وستكون فريدريكا نيمان هناك أيضاً. بدا أن كل شيء يستقر في مكانه الصحيح، ومع ذلك لم يجعله أي من ذلك سعيداً حقاً. شعر أنه على هامش الأحداث، خاصة الآن وإريكا تثرثر معه بحماس عبر الهاتف. عن ماذا تتحدث بحق الجحيم؟

سألها:

– "مَن هو كوزنيتسوف؟"

– "هل فقدتَ صوابك تماماً؟"

– "ماذا تقصدين بفقدان صوابي؟"

– "لقد فضحته تماماً."

– "أنا فعلت؟"

– "أي أدوية يعطونك إياها؟"

– "ليست كافية على الإطلاق."

– "كما أن أسلوب الكتابة رديء أيضاً."

– "لقد حذرتُكِ."

– "لكنك بأسلوبك الرديء المعتاد، أكدتَ بوضوح شديد أن فلاديمير كوزنيتسوف هو من تسبب في انهيار سوق الأوراق المالية هذا الصيف. وكان أيضاً أحد الأشخاص وراء عمليات قتل المثليين في الشيشان."

لم يكن لديه أدنى فكرة عما تتحدث عنه. توجه متعثراً نحو حاسوبه وفتح مقاله القديم.

– "هذا يبدو جنونياً حقاً."

– "ليس بنصف جنون رد فعلكِ على أسئلتي."

– "لابد أنه..."

لم يكمل جملته، لكنه لم يكن مضطراً لذلك أيضاً؛ فقد خطرت الفكرة نفسها لـ إريكا.

– "هل لهذا علاقة بـ ليزبيث؟"

قال بصدمة:

– "صراحةً لا أعلم يا إريكا. لكن أخبريني الآن؛ كوزنيتسوف، كما تقولين."

– "سيتعين عليك قراءتها بنفسك. إيرينا مشغولة بترجمة الوثائق والأدلة المرفقة. لكنها قصة مذهلة حقاً. كوزنيتسوف هو الشخص الذي تغني عنه فرقة Crazy Sisters في أغنية 'نقتل العالم بالأكاذيب'."

– "في ماذا؟"

– "آسفة، أنسى دائماً أنك فقدت الصلة بالموسيقى منذ أيام تينا تيرنر."

– "كفى سخرية."

– "سأبذل قصارى جهدي."

– "على الأقل أعطيني فرصة للبحث في الأمر."

– "سأمر عليكِ هذا المساء ويمكننا التحدث."

فكر في كاترين التي كان من المفترض أن تأتي في وقت متأخر من بعد الظهر.

– "لنلتقِ غداً، سيعطيني ذلك وقتاً لاستيعاب المزيد من هذا الأمر."

– "حسناً. وكيف تشعر بالمناسبة؟"

فكر قليلاً، وقرر أنها تستحق إجابة جادة.

– "لقد كان الأمر صعباً للغاية."

– "أتخيل ذلك."

– "لكن الآن..."

– "ماذا؟"

– "بدأتُ للتو أشعر أنني حي من جديد."

كان على عجلة من أمره لإنهاء المكالمة.

تابع قائلاً:

– "عليَّ أن..."

– "تتواصل مع شخص معين."

– "شيء من هذا القبيل."

قالت:

– "اعتنِ بنفسك إذن."

أنهى المكالمة وحاول مجدداً ما حاول فعله لمرات لا تحصى من المستشفى؛ الوصول إلى سالاندر. لم يلمح أي أثر للحياة منها منذ

اختفائها، ولم يسمع عنها شيئاً على الإطلاق سوى أنها أرسلت تلك الرسالة إلى كادي ليندر، وكان قلقاً. كان ذلك جزءاً من قلقه العام، انزعاج يتسلل إليه ويكون في أسوأ حالاته ليلاً وفي الصباح الباكر. كان يخشى ألا تستطيع التوقف؛ أن تبحث عن ظلال جديدة من ماضيها، وأن يخونها الحظ في النهاية. كان الأمر — ولم يستطع إخراج الفكرة من رأسه — وكأنها مقدر لها نهاية عنيفة، ولم يستطع تحمل هذه الفكرة.

التقط هاتفه المحمول؛ ماذا سيكتب هذه المرة؟ كانت الغيوم تتلبد في الخارج، والرياح تشتد وتضرب زجاج النوافذ، وشعر بضربات قلبه في صدره. اجتاحته ذكريات الفرن الفاغر فاه في مورجون سالا، وراودته فكرة جعل رسالته تبدو حازمة: عليها أن تتصل به، وإلا فسيجن جنونه.

لكن في النهاية، كانت الرسالة مرحة، وكأنه يخشى إظهار مدى قلقه.

إذن، لم يكن كافياً منحِي سبقاً صحفياً؟ كان عليكِ تسليمي رأس كوزنيتسوف على طبق من فضة أيضاً!

لكن لم يأته رد. مرت الساعات وتحول النهار إلى ليل وجاءت كاترين. تبادلا القبلات وشربا زجاجة نبيذ، ولفترة من الوقت نسي همومه. لم يتوقفا عن الحديث حتى ناما معاً في حوالي الساعة الحادية عشرة، وهما متعانقان. استيقظ بعد ثلاث ساعات بشعور بوقوع كارثة وشيكة، والتقط هاتفه بتوتر. لكن لم يصله شيء من سالاندر. تناول عكازيه، وتوجه متعثراً نحو المطبخ وجلس هناك حتى الفجر، يفكر فيها.

خاتمة

كانت السماء مثقلة بعاصفة تقترب عندما أوقف المفتش آرثر ديلوف سيارته على الطريق الترابي خارج بقايا منزل متفحم في جورروديشي، شمال غرب فولغوغراد. لم يستطع فهم سبب الضجة الكبيرة التي أحدثها هذا الحريق.

لم يصب أحد بأذى، ولم يكن المنزل شيئاً يذكر. كان الحي بأكمله فقيراً ومتهالكاً، ولم يطالب أحد حتى بملكية المبنى. ومع ذلك، كان هناك شخصيات مهمة (V.I.P.s)، ورجال استخبارات، وعصابات أيضاً كما ظن، وأيضاً عدد من الصبية الصغار الذين كان من المفترض أن يكونوا في المدرسة أو في منازلهم مع أمهاتهم. طردهم بعيداً وتفحص الأنقاض؛ الشيء الوحيد المتبقي تقريباً كان موقداً حديدياً قديماً ومدخنة منهارة. كل شيء آخر قد دُمر واحترق تماماً، ولم تكن هناك حتى جمرات متوهجة. كانت الأرض بأكملها مشهداً أسوداً مقفراً، وفي وسط كل ذلك كانت هناك فجوة واسعة، كأنها باب يؤدي إلى العالم السفلي. كانت بعض الأشجار المتفحمة الشبيهة بالأشباح تقف بجانب الموقع، وأغصانها تبرز كأصابع محترقة.

كانت هبات الرياح تثير الرماد والسخام من الأرض وتجعل التنفس صعباً. كان هناك شعور بالسموم في الهواء، وانقبض صدر آرثر.

لكنه نفض الفكرة عن رأسه والتفت إلى زميلته آنا مازوروفا، التي كانت تقف هناك تنظر بأسى إلى مخلفات الحريق.

سألها:

— "عن ماذا يدور كل هذا؟"

كانت ذرات السخام عالقة في شعر آنا.

— "نعتقد أنه بيان أو رسالة ما."

— "ماذا تقصدين؟"

— "اشتُري المنزل قبل أسبوع عبر مكتب محاماة في ستوكهولم. وانتقلت العائلة التي كانت تعيش هنا إلى سكن جديد وأفضل في فولغوغراد. ومساء أمس، عندما أُخرجت آخر قطعة أثاث، سُمع دوي انفجارات من الداخل. اشتعلت النيران في المنزل واحترق تماماً."

سألها:

— "ولماذا يهتم الناس بذلك؟"

— "ألكسندر زالاتشينكو، الرجل الذي أسس منظمة زفيزدا براتفا — 'عصابة النجم' — أمضى السنوات الأولى من حياته هنا. وبعد وفاة والديه، نُقل إلى دار للأيتام في سفيردلوفسك في جبال الأورال. وقد احترق ذلك المبنى أول أمس، وهو ما بدا أنه أثار قلق بعض الكبار، خاصة وأنه يتزامن مع عدد من النكسات الأخرى للمنظمة."

قال بنظرة متأملة:

— "إذن يبدو أن هناك من صمم على إحراق جذور الشر نفسها."

دوى الرعد في السماء، وهبت ريح عاتية، جرفت معها الرماد والسخام من الأنقاض وحملتها بعيداً عن الأشجار وعن الحي.

وسرعان ما بدأ المطر يتساقط، زخات محررة بدت وكأنها تنقي الهواء، وشعرت آرثر ديلوف بانقشاع الضيق عن صدره.

بعد ذلك بوقت قصير، هبطت سالاندر في ميونيخ، وفي سيارة الأجرة المتجهة إلى المدينة، نظرت إلى هاتفها ورأت سلسلة من الرسائل النصية من بلومكفيست. وقررت أخيراً الرد.

كتبت له:

وضعتُ نقطة النهاية.

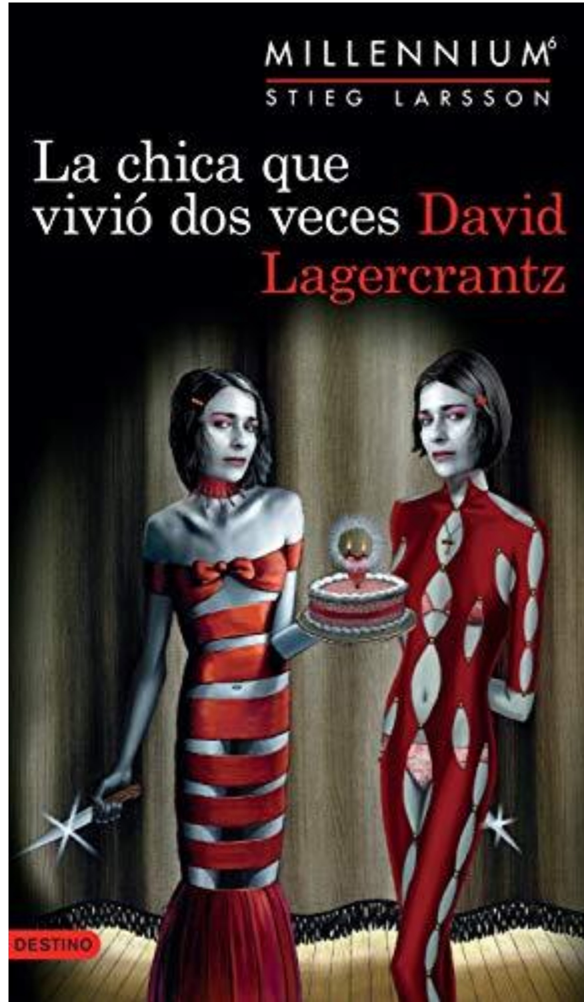
جاء الرد على الفور:

نقطة نهاية؟

آن أوان البداية من جديد.

ثم ابتسمت، ورغم أنها لم تكن تعلم، فقد ابتسم بلومكفيست أيضاً، في منزله بشارع بيلمانس جتان. فقد شعر أن الوقت قد حان لشيء جديد.

ـ تمت ـ



غلاف الرواية الأصلي باللغة السويدية

الفتاة التي عاشت مرتين

ديفيد لاغركرانتز

الجزء السادس من سلسلة "ميلينيوم" الشهيرة.. حيث تعود "الفتاة ذات وشم التنين".

"ما خطوتكِ التالية؟"

"سأكون أنا الصياد.. لا الطريدة."

أصبحت الفتاة ذات وشم التنين أخيراً على أهبة الاستعداد لمواجهة عدوتها اللدودة؛ المرأة الوحيدة التي تضاهيها دهاءً وقوة في كل شيء. لن تنتظر "سالاندر" حتى تُطارد، بل ستبادر هي بالهجوم. وحين تضرب، ستكون ضربة مزدوجة: انتقاماً لفظائع حديثة، وتصفية لحسابات عمر بأكمله.

منذ أشهر وسالاندر تُضيق الخناق على هدفها. غادرت ستوكهولم، وتخلت عن ثقوب وجهها المعدنية، وظهرت بتسريحة شعر جديدة. قد تمر بجوارك كأي سيدة أعمال عادية.. لكن سيدات الأعمال لا يخفِينَ مسدس "بيريتا شيتا" تحت ستراتهن، ولا يملكن تلك القوة الفتاكة لعبقرية القرصنة الإلكترونية. هنّ لا يحملن ندوباً ووشوماً تذكرهن دائماً بأنهن نجَوْن مما لا يمكن النجاة منه.

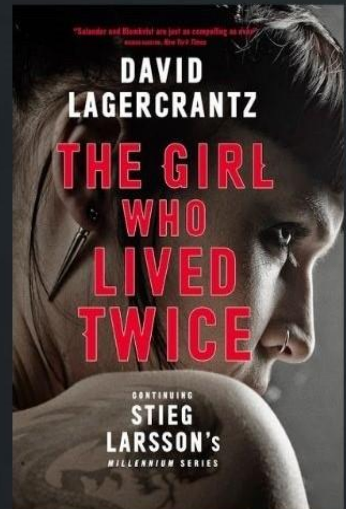
يأتي هذا الفصل الجديد من السلسلة العالمية الأكثر مبيعاً -التي يكملها "ديفيد لاغركرانتز" ببراعة- كرحلة تحبس الأنفاس؛ تتسلق قمم "إيفرست" وتهوي إلى أعماق "مصانع الذباب الإلكتروني" الروسية.

تبدأ الشرارة بالعثور على رقم هاتف الصحفي بمجلة ميلينيوم "ميكيل بلومكفيست" في جيب رجل مشرد مجهول الهوية، مات وعلى شفتيه اسم وزير في الحكومة.

يقتفي بلومكفيست أثر صديقته القديمة معرضاً نفسه لخطر محدق ليحميها قدر استطاعته، لكنه يقف عاجزاً عن سحق أعدائها بمفرده. أما بالنسبة لـ "ليزبيث سالاندر"، فالأمر الشخصي هو دائماً أمر سياسي... وقاتل.







ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks